تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني

للعلامة القاضي العارف بالله سيدي أحمد

بن الحاج العياشي سكيرج

تحقيق الأستاذ : محمد الراضي كنون الإدريسي الحسني

رقم الإيداع القانوني

ردمك

مطبعة

المؤلف ... محمد الراضي كنون

الهاتف ... 066168339 9.

الموقع الإلكتروني:

www.cheikh-skiredj.Com

مقـــــدمـة

بسم الله الرحمان الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

أود في صدر هذه المقدمة أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا التقييد المبارك. المنسوب لعالم فاضل. صاحب فكر ومنهج وصدق وإخلاص. وسلوك قائم على أسس الإسلام و قواعده الصحيحة. ومقومات الشخصية المغربية الفذة. كيف لا وقد أعطى لوطنه أجزل العطاء. وكانت حياته سجلا ناصعا لمرحلة هامة من حياة المغرب العلمية والثقافية.

وبدون إطالة فالعلامة سيدي أحمد سكيرج هو واحد من أبرز الشخصيات التي جمعت بين فضائل العلم والأدب والأخلاق. والتصوف والأصالة والوطنية الصادقة. أضف إلى ذلك اعتزازه العظيم بالعقيدة الإسلامية السمحة. وهي صفة بارزة من خلال مواقفه وقيمه وسلوكه. فقد كان عالما فذا. يجسد شخصية الفقيه المغربي المدافع عن حوزة الدين. المتصدي ببسالة لكل من خولت له نفسه الإساءة لشيء من أركانه أو واجباته ومكوناته.

كما كان محبا لوطنه. دائم التغني بخصائصه ومميزاته. وفيا لملكه. صادق الولاء لعرشه. مؤمنا بدوره العظيم في حماية المقدسات الدينية والوطنية.

ترجمة المؤلف

ولادتـه

هو من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295 هـ - أبريل 1878 م. وبها نشأ داخل أسرة فاضلة. ذات مآثر جليلة ومزايا جمة. وقد أنجبت هذه الأسرة نخبة من علية العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار. إذ يكفينا أن نذكر منهم الأديب الشاعر الكاتب محمد بن الطيب سكيرج.. والمؤرخ الفقيه عبد السلام بن أحمد سكيرج. مؤلف كتاب: نزهة الإخوان وسلوة الأحزان. في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان. والعلامة المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج.

نشأته وتحصيله

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مختلف مراحل تعليمه. تحت عناية دقيقة من والده الحاج العياشي بن عبد الرحمان سكيرج. الذي أولاه اهتماما خاصا. نظرا لما لاحظه فيه منذ البداية من شفوف ونبل وتطلع إلى المعالي والكمالات. وذكاء وفطنة عجيبة.

وعموما فقد أدرك مراده في الدراسة والتحصيل. وبلغ منيته في التربية والسلوك. فحصل معظم ما كانت تعج به جامعة القرويين من علوم وفنون مختلفة. حيث برع في الفقه والنحو واللغة. والسيرة والحديث والتصوف.والأدب والحساب والشعر.

وقد أسهمت في تكوينه نخبة من خيرة علماء الجامعة المذكورة. كعبد الله البدراوي. وعبد المالك العلوي الضرير. والحبيب الداودي. وابراهيم اليزيدي. وعبد الله بن خضراء وغيرهم.

مؤلفـاته

للعلامة سكيرج مؤلفاته كثيرة. تزيد على مائة وستين تصنيفا. مما يدل على غزارة علمه ورصيده المعرفي الواسع. وتعود كثرة تآليفه إلى حبه الكبير للكتب. وتعلقه بها. وإقباله على مطالعتها. فقد كان يمضي جل أوقاته منشغلا بها. ولوعا بمحتوياتها. يقرأ ويكتب. ويعلق ويشرح ويؤلف.

وللإشارة فقد تعرضنا لذكر عناوين مؤلفاته بتدقيق في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج. فلينظرها من أراد التوسع في هذا الباب.

وظائفـه

تنقل العلامة سكيرج بين عدة وظائف. نجملها في ما يلي:

ناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ - 1336هـ موافق 1914م- 1918م.

قاضي لمدينة وجدة ونواحيها ما بين عامي 1337هـ - 1340هـ موافق 1919م – 1922م.

عضو ثاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط ما بين عامي 1340هـ - 1342هـ موافق 1922م – 1924م.

قاضي لمدينة الجديدة ونواحيها ما بين عامي 1342هـ - 1347هـ موافق 1924م-1928م.

قاضي لمدينة سطات ونواحيها ما بين عامي 1347هـ - 1363هـ موافق 1928م-1944م أي إلى حين وفاته رحمه الله.

سلـوكه

كان رحمه الله مضرب المثل بفاس وبغيرها من المدن التي استوطنها. وذلك بجده وتدينه وعلمه. وورعه وشكره وقناعته. فقد كان متواضعا. بعيدا عن الكبر والإدعاء. غير ميال للتفاخر ولا محب للظهور. على درجة عالية من الورع والتقوى والثبات على الحق. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكثيرا ما كان يغير المنكر بيده. لطيف الروح. عذب الحديث. رائع النكتة. يخفي الألم. ويبدي الإبتسام. لم يقعده مرضه (داء السكري) عن خدمة دينه وجيله وأبناء وطنه.

انخراطه في الطريقة التجانية

أتيح للمؤلف التدرج بين يدي كبار مشايخ عصره. لاسيما بمدينة فاس مسقط رأسه. وناهيك في هذا الشأن بالعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون. وأحمد العبدلاوي. وعبد المالك العلوي الضرير. وحميد بناني. وعبد الله البدراوي. وعبد الكريم بنيس. وغيرهم من جلة علماء الطريقة المذكورة.

وعلى هؤلاء تمسك بهذه الطريقة. وانضوى في سلك رجالها الأبرار. ولم يقتصر على مجرد الأخذ والإنضواء فقط. بل عمق معارفه بكثرة المطالعة لكتبها. والإعتكاف على ذكر أورادها الساعات الطوال. كما سعى إلى لقاء العديد من مشاهير رجال هذه الطريقة. خصوصا منهم العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. فقد كان يقضي الكثير من وقته في مذاكرته. لا يمل من ذلك ولو جلس إليه النهار بأتمه.

وخلاصة القول فقد انخرط في الطريقة التجانية عام 1316هـ - 1898م. وكان عمره إذذاك لا يتجاوز الإحدى وعشرين خريفا.

اهتمامه العريض بالشعر

يعتبر الشعر واحدا من أهم المجالات التي تجلت فيها شخصية صاحبنا المذكور. فقد قرضه منذ حداثة سنه. وظل على ذلك إلى حين وفاته رحمه الله. حيث ترك ثروة شعرية مهمة. توزعت بين كافة الأغراض السائدة إذ ذاك. من مدح ووصف وغزل ورثاء ومولديات ومساجلات وإخوانيات. وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.

ويتميز شعره بالقوة والجزالة. وحسن الصياغة. ودقة المعاني. مما ينم على اطلاعه الواسع بقواعده وأدواته. ذلك الإطلاع الذي جعله أحد جلة شعراء جيله. فكان محط إعجاب كثير من القراء والدارسين. وذوي الاهتمام بالقريض وشؤونه.

ويمكننا تلخيص ثروته الشعرية فيما يلي:
مدح النبي صلى الله عليه وسلم: 15 ديوانا
مدح شيخه أبي العباس سيدي أحمد التجاني: 3 دواوين
إلى غير ذلك من مئات القصائد المتنوعة الأغراض. لاسيما في المجال التربوي. مع ميادين السلوك والنصح والمواعظ.

تلامذتـه

تخرجت بصاحبنا المذكور طائفة من الفقهاء والأدباء الكبار. ممن استفادوا من خبرته واقتبسوا من أنواره. نذكر منهم السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ العلوي. ومحمد الحافظ المصري. وأحمد بن الحسين الدويراني. ومحمد امغارة. ومعاوية التميمي التونسي. والشيخ ابراهيم انياس الكولخي. وأخويه محمد الخليفة ومحمد زينب.

وفاتـه ومدفنـه

كان رحمه الله مصابا بداء السكري. يعاني من شديد مضاعفاته. لاسيما في آخر حياته. حيث استفحل عليه المرض. مما اضطره للخضوع لعملية جراحية بإحدى مستشفيات مدينة مراكش. وقد توفي إثر هذه العملية بقليل. وذلك يوم السبت23 شعبان عام 1363هـ- 12غشت 1944م.
وشيعت جنازته في اليوم الموالي إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض. فدفن فيه بعد أن عاش ثمانية وستين سنة. كانت كلها رحلة حياة مليئة بالمواقف العلمية الموفقة والتضحيات الجسام.
وقد تألمت لوفاته جل الأوساط العلمية والثقافية. سواء بوطنه المغرب. أو بغيره من الدول المجاورة كالجزائر وتونس ومصر وسنغال والسودان.

دِرَاسَةٌ حَوْلَ كِتَابِ تِيجَانِ الغَوَانِي
فِي شَرْحِ جَوَاهِرِ المَعَانِي

مدخل حول الطريقة التجانية

أنجبت الطريقة التجانية منذ ظهورها الأول قبل ما يزيد على القرنين من الزمن علماء فطاحل وأدباء وقراء وفقهاء وزعماء ومجاهدين وغيرهم، وامتد فضلها واسترسل عطاؤها الروحي والتربوي والأخلاقي والعلمي وما زال ولله الحمد في تزايد عظيم، لا سيما وقد تجاوز إشعاع طريقتنا هذه بلاد المغرب إلى معظم دول العالم الإسلامي.

ويحق لأهل هذه الطريقة، خصوصا منهم قاطنوا بلاد المغرب الإعتزاز بالزاوية الكبرى بمدينة فاس، تلك الزاوية التي ضربت بجذورها في أعماق التاريخ، فكانت منبع علم ومنار فكر، وقلعة مجد وحصن حضارة.

ويعز علينا كتجانيين أن تضيع حلقات ذهبية، أو تتعطل، أو تطوى صفحات مشرقة، أو تنسى مواقف مشرفة من تاريخ هذه الزاوية وإرثها الثقافي والحضاري، فقد كانت دائما ولا زالت محط تقدير واحترام واعتبار، مقربة لدى ملوك الدولة العلوية الشريفة، مكرمة معززة عندهم، يستشيرون أهلها ويعتمدونهم.

مكانة كتاب جواهر المعاني
لدى مريدي الطريقة التجانية

كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه، للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، هو أشهر مؤلفات الطريقة التجانية على الإطلاق، وهو كتاب ذو أهمية عظيمة تجعله في مصاف أهم الكتب الصوفية التي

يحتاجها كل قارئ، ولعل من أبرز مزايا هذا الكتاب الفترة الزمنية التي اختص بها، وهي فترة انبعاث الطريقة المذكورة وظهورها جليًا على مسرح الأحداث.

ويعد هذا الكتاب مرجعا أساسيا لجميع مؤلفات الطريقة التجانية التي جاءت بعده، وقد قال بعضهم في هذا الصدد: كل ما أُلِّفَ بعد كتاب جواهر المعاني فهو عالة عليه، مع ضرورة استثناء كتاب الجامع للعلامة سيدي محمد بن المشري لكونه كان معاصرًا لسيدنا الشيخ رضي الله عنه ومن تلامذته أيضا، وقد نهل من نفس مناهل صاحب كتاب الجواهر.

وعموما فإن أهم خصائص كتاب جواهر المعاني تكمن في جمعه لرسائل وتقاييد الشيخ الختم أبي العباس التجاني رضي الله عنه، مع ترجمته وفتاويه وأقواله. وهو على سبيل الإختصار كتاب عقيدة وتفسير وحديث وفقه وتصوف وأدب وسيرة، ولا داعي للتعريف بشخصية الشيخ الذي صنف في حقه هذا الكتاب المبارك، فقد كان بحرا جامعا بين الشريعة والحقيقة، يرجع إليه ويهتدي بإرشاداته كبار علماء وقته، وكان علاوة على ذلك مثالا للورع والسكينة والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

نص الصفحة الأولى من الجزء الأول من كتاب جواهر المعاني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، وهي بخطه رضي الله تعالى عنه

نص الصفحة الأولى من الجزء الثاني من كتاب جواهر المعاني للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي، وهي بخطه رضي الله تعالى عنه

السبب الدافع للعلامة سكيرج
لتأليف كتاب تيجان الغواني

كان العلامة سيدي أحمد سكيرج رضي الله عنه شديد الإهتمام بكتاب جواهر المعاني، دائم المطالعة له، يدرسه ويتمعن في محتوياته، ويستغرق الأوقات الطوال في استخراج درر معانيه الدقيقة، وقد وقفت له في هذا الإطار على رسالة بعثها لأحد تلامذته، قال في ضمنها: إني ولله الحمد أبذل الجهد في جمع هذا الكتاب وإخراجه، يعني كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، فإن وفقت إلى ذلك وأصبت فهو من عند الله، وله المنة، وإن كان غير ذلك فأستغفر الله، وعذري أني سأستفرغ في البحث جهدي، والله تعالى أسأل القبول، إنه تعالى على كل شيء قدير.

ومما وقفت عليه في هذا الصدد أيضا رسالة أخرى بعثها المؤلف لأستاذه العلامة سيدي عبد الكريم بنيس، قال له فيها: أما الداعي الذي دفعني لجمع هذا الكتاب، يعني كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، هو ضرورة الإلمام بكتاب جواهر المعاني وما احتواه من رسائل وتقاييد مولانا الختم أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ورد افتراءات المنكرين والمتشككين في بعض كلام سيدنا رضي الله عنه، وإظهار وجه الصواب في ذلك القول، مع التنبيه على أن سوء فهم قول سيدنا رضي الله عنه ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم والدقائق والفهوم، إذ أن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضا للزوم التوافق بينها، والمعلوم أن الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع، فمن لم يتبين معنى مدلولاته أغلق عليه باب الإستيعاب، وأشكل عليه فهم السياق.

نص الصفحة الأولى كتاب تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني

بخط الفقيه العدل سيدي محمد زروال

المنهجية المتبعة
في تأليف هذا الكتاب

المعروف عن هذا الكتاب أنه من عداد مؤلفات العلامة سكيرج التي لم تعرف طريقها إلى التمام، واكتفى فيه بذكر ترجمة موسعة لمؤلف كتاب الجواهر العارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة، وختم هذه الترجمة بذكر نصوص بعض إجازاته، فكانت ذات قيمة عظيمة من الناحية المعلوماتية، لا يمكن أن يختلف عليها، فهي بحق وافية شافية كافية، وكنت قد عثرت فيما قبل على رسالة للمؤلف تحدث فيها عن المنهجية المزمع اتباعها لدى جمعه للكتاب المذكور، حيث بيَّن أن منهجيته فيه ستقتصر على التعليق والشرح لبعض الألفاظ التي تحتاج في نظر القارئ إلى تعليق مع تبسيط بعض العبارات والمفاهيم المقتضية بيانا وإيضاحا.

تاريخ كتابة هذا التأليف

لم يذكر المؤلف تاريخ شروعه في هذا الكتاب المبارك، كما أنه لم يذكر تاريخ فراغه من كتابته لكونه لم يتمه، وقد بحثت طويلا عن هذا التاريخ في بطون الرسائل والوثائق والمستندات إلى أن وقفت على بيان ذلك في إحدى كنانيش المؤلف، حيث أفصح عن التاريخ الذي راودته فيه فكرة جمع هذا الكتاب، وكذلك عن تاريخ شروعه في تدوينه، فذكر أن طروء الفكرة عليه بتأليف هذا المصنف كانت منذ زمن تحصيله، وأنه شرع في كتابته في شهر صفر الخير عام 1343 هـ.

ما جاء عن عنوان هذا الكتاب

سماه مؤلفه باسم تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، وهو ما كتبه بخطه الجميل على الصفحة الأولى من هذا الكتاب، وظل رحمه الله محافظا على هذا العنوان، لم يغيره

بعنوان آخر إلى حين وفاته، ويبدو هذا جليا من خلال قائمة عناوين مؤلفاته التي كتبها أوائل سنة 1363 هـ- 1944م، وهي السنة ذاتها التي توفي فيها رحمه الله.

ولدي نسخة من هذا الكتاب بخط تلميذه العدل الفقيه محمد زروال، كان المؤلف قد بعثها لصاحبه وتلميذه السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ، وذلك لمكان إقامته بالعاصمة الفرنسية باريز، فاختار هذا الأخير أن يكون لهذا الكتاب عنوانا آخر غير عنوانه الأول، فكتب على مطلع الصفحة الأولى من هذه النسخة ما نصه كعنوان بديل: تيجان المعاني في جمع ما في الجامع وجواهر المعاني مما فاض من بحر الختم التجاني سقانا الله من فيضه بأعظم الأواني.

نص العنوان المقترح لهذا الكتاب من طرف السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ، وهو بخطه، وإليه يشير الأستاذ الأديب سيدي عبد الكريم سكيرج في أعلى الصفحة وبخطه

نص تقريظ للكتاب بخط العلامة الفيلسوف سيدي محمد الرافعي الدكالي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

نحمد الله الذي فتح أبواب مواهبه بيد إمداده لمن أقبل عليه بتوفيقه وعنايته، ومنح بفضله هدايته لمن شاء من عباده لعبادته، فسهل لهم السلوك بها لإدراك كرامته، بعد أن نادى جميع المكونات إلى الإقرار بربوبيته، فأقرت في عالم الأرواح بأنه ربها وخالقها، وكل ذرة في الكون فهو موجدها من العدم لأسرار عالية المقدار، وفق ما اقتضته حكمته التي هي من نفس الإيجاد والإعدام، والإمداد الخاص والعام.

أَوْجَدَ اللَّهُ سَائِرَ الأَكْـوَانِ * وَأَمَـدَّ الـجَمِيعَ بِالإِحْسَانِ
فَدَعَا الكُلَّ فِي بُطُونِ بُطُونٍ * فَـأَقَـرَّ الـجَمِيعُ بِـالإِيـمَانِ
وَحَبَا فِي الظُّهُورِ أَهْلَ هُدَاهُ * بِـرِضَـاهُ بِـغَـايَةِ الإِتْـقَـانِ

دعا سبحانه في عالم البطون الأرواح فأقرت بالتوحيد، وخص بالهداية في عالم الظهور من أراد الخير به، فأجابت طبق إقرارها الأولي هذه الأرواح، في قفص الأشباح، من غير إيجاب شيء عليه سبحانه وتعالى فيما حفهم به من التأييد على التأبيد، وقد عم جميع العوالم بنعمتي الإيجاد والإمداد، فلم يخلو مكون منهما حتى في حالة الإدناء وحالة الإبعاد،وكلهم في بحر العبودية سابحون،وهم له طوعا أو كرها مسبحون[1].

عَلِمَ الـخَلْقُ كُلُّهُمْ أَنَّهُ اللّـ * ـهُ وَمَا لِـلعِبَادِ مَوْلَى سِوَاهُ
هُـوَ سُبْحَانَهُ الإِلَـهُ وَلَا مَعْـ * ـبُودَ بِالحَقِّ فِي الوَرَى إِلاَّ هُو

سبحانه وتعالى عما لا يليق بكماله الواجب وصفاته، فتبارك الله المتفرد بالعظمة والكبرياء التي لم يقف على حدها أحد من مخلوقاته، ونشكره جل وعلا على ما تفضل به على الخلق من النعم التي لا يحصيها سواه، ولا يفي بشكرها أحد منهم من سائر الوجوه في الوجود إلا هو، بقبول شكر من وفقه للشكر عليها ممن ارتضاه، ونستزيد فيض فضله ما يقتضيه كرمه من الكرم بدوام النعم، فنحن في الدارين فقراء إليه، وما لنا خروج عن دائرة الفقر وإن لم نؤد ما وجب علينا من حق الشكر.

---

[1]- إشارة لقوله تعالى: "ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال". سورة الرعد. الآية 15.

سُبْحَانَ مَـنْ لَـوْ سَجَدْنَا بِـالعُيُونِ لَـهُ * عَلَى شَفَا الشُّوكِ وَالمُحْمَى مِنَ الإِبَرِ

لَـمْ نَبْلُغِ الـشُّكْرَ مِـنْ مِعْشَارِ نِعْمَتِهِ * وَلاَ الـعَشِيرَ وَلاَ عُـشْراً مِـنَ الـعُشُرِ

ونستغفره لذنوبنا مما علمناه منها وما لم نعلم، وما تعمدنا فعله مما أهم وما لم يهم، ونفوض إليه الأمر فيما قضى به وجرى به منه الحكم في سابق العلم، ونسأله اللطف الخفي في ذلك كله، ونتعرض لنفحاته فإنه لا يخيب من استعطف جنابه، واستفتح بالإعتراف بالفقر الذاتي أبوابه.

فَهْوَ الكَرِيمُ الَّذِي مَا خَابَ سَائِلُهُ * وَاللَّهُ أَكْرَمُ أَنْ يَخِيبَ مَنْ قَصَدَهْ

عَـمَّ العِبَادَ بِفَضْلٍ مِنْهُ يَمْنَحُهُ * وَحَـاشَ يَمْنَعُ مَنْ إِلَيْهِ مَدَّ يَدَهْ

ونصلي ونسلم على من جعله الله الحجاب الأعظم بين الربوبية والعبودية، ولولاه لاندثر الكون، وجعله واسطة في جميع النعم الوهبية من الحضرة القدسية، وبه كان له كمال الصون فلا نعمة إلا على يديه وصلت للخلق أو ستصل، ولا رحمة للعباد من معبودهم أتم منه في الوجود بما خص منه، وشمل عين الرحمة الربانية والرحمة المهداة للعوالم من الحضرة الإحسانية، محمود الخالق والمخلوقات، وحميد الفعل والذات والصفات.

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ * ـنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ[1]

صلاة وسلامًا لائقين بجنابه المعظم، شاملين لكل من لاذ به من آل وأصحاب وتابع على منهاجه الأقوم، ويعم كل محب لحضرته المحمدية، ومتمسك بحبل الطريقة الأحمدية، مع كل من نظر إلى أهل الله بعين التعظيم والإحترام، وأحبهم محبة خصوصية لمحبة الله لهم على طول الدوام، فإنهم بين خلقه كالنجوم يهتدى بهم في المضايق، وهم الحبال التي أدلاها الحق من حضرة امتنانه للتعلق بهم في سلوك الطريقة، قد تجردوا عن هواهم لما أمرهم، وتقلدوا بقلادة الإقتداء بالرسول عليه السلام فشكرهم، ألا إنهم هم الأولياء الذين قام مقامهم في المدافعة عنهم بمحاربة من عاداهم أو آذاهم بأدنى ما لا يرضاه الله لهم

---

[1] البيت من قصيدة البردة للشيخ محمد بن سعيد البوصيري، ورقمه 33.

ممن لا يعد منهم، فهم القوم يُحْسَبُ منهم محبهم بأدنى سبب[1]، ويُطْرَدُ مبغضهم ولو حل في أعلى الرتب، لاستنادهم عليه، وتخصيصه لهم بما أولاهم لديه، فتعظيمهم من تعظيم جنابه، لكونهم مع كل من أحبهم أحبابه.

أَبَـى اللَّـهُ إِلاَّ أَنْ يُعَـظِّمَ جَانِبَهْ * وَيُرْغِـمَ مَـنْ يـزْرِي بِـهِ وَيُجَانِبَهْ

وَكُلُّ امْرِئٍ أَضْحَى بِرِيشِ سِهَامِهِ * لِيُـودِيَ أَهْلَ اللَّهِ فَهْوَ مُحَارِبُهْ

وَلَيْسَ بِنَاجٍ لاَ مَحَالَةَ مَنْ غَدَا * مُحَارِبَهُ هَيْهَاتَ وَاللَّهُ طَالِبُهْ

فخص سبحانه بالخصائص الكبرى والمزية العظمى أولياءه، الذين تولاهم بقبوله لهم حين وفقهم بالإقبال عليه، وإن من أكرمهم لديه بعد الأنبياء والصحابة خاتم الولاية المحمدية، قد حمله سر الخلافة الأحمدية، وفتح له من خزائن الفضل أبوابا لا تنسد، ومنحه بفضائل لا تحصر، بعدما أنعم به عليه من صدق المحبة في الجناب النبوي المصطفوي، وقد أظهر في هذا المقام في كل عصر عينا من عيونه، وهو محل النظرة الخاصة بين خلقه، لأنه أكمل الختام في الظهور، ولم يكن مثله في الخصوصية على ممر الدهور، حامل لواء السعداء، والمقدم أمامهم بين الأصفياء، صاحب المشرب الخصوصي في المدد والإستمداد، والممد بالسر لسواه بالوراثة الأحمدية سرا من غير شعور بجمع بحري الشريعة والحقيقة، والسالك على أوضح طريقة، من شاعت مناقبه بين أهل الله، وظهرت فضائله ظهور شمس الظهيرة بلا اشتباه، فأقرت أعداؤه بفضله، وجلالة فضل أصله ونسله، القطب الصمداني، والغوث الفرداني، والعارف الرباني، أبو العباس سيدنا ومولانا أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به

آمِينَ آمِينَ لاَ أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ * حَتَّى أُضِيفَ لَهَا آلاَفُ آمِينَا

ولقد اعتنى بجمع ما يتعلق بأحواله وذكر بعض ما يستحقه مقامه العلي، وفضله الجلي، ونزر يسير من فضل طريقته وأوراده، مما يدل على فخامته قدره وكماله جماعة من خاصة أصحابه، ممن تلاقوه وأخذوا عنه مشافهة وعاشروه زمنا طويلا، واستفادوا منه ما وصلوا

[1]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: هم الجلساء لا يشقى جليسهم، وفي رواية أخرى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. من حديث طويل، رواه البخاري (كتاب الدعوات) باب فضل ذكر الله عز وجل. رقم 2661. ورواه الإمام مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة) باب فضل مجالس الذكر رقم 6790.

به للحضرة المحمدية، فحصلوا على سر الوصول، وبلغوا غاية المنى والسول، ثم قفا أثرهم جمع من أعيان الإخوان، من زمانه إلى هذا الزمان، وألفوا في ذلك كتبا عديدة، ومصنفات مفيدة، ولا زال الجميع يلهج بما حصل لهم من الفتح اللدني على يده.

ولا يزال الأحباب من هذه الطريقة التجانية يبدون من أسراره ما يبهر العقول، مؤيدين بالتأييد الإلهي، وسائق العناية يسوق إليها من هو معدود من أهلها لنيل فضلها، والصارف الإلهي يصرف عن التقييد بحبلها من لا نصيب له من فضلها، إلى أن يأتي أمر الله مع ظهورها على غيرها من الطرق طبق الوعد الصادق، بدليل ساطع نورها في الأفق، وهو أقوى دليل على أنها متمكنة في الفضل على غيرها، فالمحروم من حرم من خيرها بعد أن تحقق بما بنيت عليه من مقامات اليقين المؤيدة بالفتح المبين، فقام باتباع الهوى ينكر فضلها جحودا وانتقادا، ولم يسلك طريقة الهدى ولو بالتسليم لأهل الله انقيادا اعتقادا، ولو عذر المنتقد نفسه المسكينة ما ذبحها بسكين الطعن على أهل الله، ولو رام السلامة لنفسه ما اتبع بتقليد أهل الهوى والرضى عن النفس الأمارة العورات التي كشفها أهل البغض بقصد تشويه سمعتها الحسنة، وإفراغ الحسن منها في قالب الأمور المستهجنة، تنفيرا عنها.

فلقد رأينا من أهل الأهواء أهوالا وهم على ما هم عليه من المنكر يحملون من الإنكار ما أورثهم خبالا، لا سيما إن ساعده المقدور بتحصيله على مزية في عين العامة بكلمة مخزنيه أو نفوذ مالي، أو كونه مسموع الكلمة من حيثية أخرى، خصوصا ممن يظن به أنه من العلماء بين العوام الأميين وأشباههم ممن لهم أغراض في هتك الأعراض، فيتعامى عن رؤية نورها الساطع، ويتصامم عن سماع ما خص الله به أهلها من الفضائل، ويبادر في معارضتها بذكر غيرها مما تمسك به هو من الطرق التي يزعم فيها أنه حصل على سرها وخيرها، وهو عنها في مكان سحيق، فلا ينتفع بما أظهره الله من نور هذه الطريقة، وهو في تصميمه على الإنكار إما جاحد متعنت أو جاهل للحقيقة، وكل منهما لا يكفيه حرمان نفسه من خير هذه الطريقة الأحمدية، بل لا يألو جهدا في تحذير المغرورين بالترهات الخرافية، والتمويهات الشقشقية اللسانية.

وإننا لنتأسف لبعض من نراهم من أهل مودتنا ممن جمدوا على ما بلغهم من أهل الإنكار على هذه الطريقة، فينفرون من سلوكها، ولو بالسلوك على منهاج التسليم والتصديق، فلا يسعنا إلا اجتنابهم ومعاملتهم معاملة الأخوة العمومية، ونود أن لو كانت بيننا وبينهم المواخاة الخصوصية، غير أننا لا نحرص على أحد منهم في الدخول في حرز هذه الطريقة، وإن كانت داعية النصح في الله تقضي علينا بأن نوقفه على عين الحق فيها، عسى أن يوفقه الله للهداية على يدنا بمقتضى: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم[1]، ولكن منعنا من استدعاء أمثاله ما نخشاه منه من التعنت والإصرار عليه حسب ما نستشعره من بعض النفوس من حصول النفور من المرشد، فنكتفي منه بما يعاملنا به من عدم التعرض لذكر اسم سيدنا الشيخ رضي الله عنه بما نكره، ولا نزال معه على صفاء الملاقاة، إلا إذا أعماه الهوى بإظهار نوع من الجفاء بإنكار على هذه الطريقة بما هو غير حق، فإن تعرض لذلك فإننا نهجره في الله هجرا مأمورا به في حق مثله، ونعامله بما يستحقه حتى يتحقق بعظيم جهله، فيرجع للحق، أو نتحقق بإصراره.

على أننا لازلنا نهتم اهتماما لا مزيد عليه ببعض إخواننا المسلمين، ممن لا علم لهم بهذه الطريقة، ويقلدون أهل الجحود وأهل الإنكار الذين ولعوا بالإنتقاد على أهل الإعتقاد، ويقصدون اجتماع أهل القلوب عليهم دون غيرهم، ويستميلون النفوس الضعيفة إليهم بإشاعة بعض المعينين لهم ممن اتبعوا أهواءهم بذكر مناقب لا أصل لها لمن شيعوها عنهم، مع منامات مختلقة على وفق ما يرونه يؤثر في نفوس السامعين، ويؤيد البعض منهم ليدفع معور عن معور، جلبا لنفس ما راموا كيده واصطياده في شبكتهم وفخهم الذي

---

[1]- إشارة للحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه، فقاموا يرجون ذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فأمر فَدُعِي له، فبصق في عينيه، فَبَرَأَ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهُم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حُمُرِ النَّعَمْ. إهـ. أنظر صحيح البخاري (كتاب الجهاد والسير) باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة رقم 2875. باب فضل من أسلم على يديه رجل. رقم 2942 (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي رقم 3619.

نصبوه بما لهم نسبوه، فلم يكفهم غرورهم واغترارهم بما ينتحلون وما يتقولون، حتى تسلطوا على غيرهم بتشويش الإعتقادات التي كانت سالمة من الغل والحقد على أحد من خلق الله، فعادت النفوس بعد الإطمئنان بسببهم أمارة، فامتلأت القلوب نفورا عن أهل الله بما لم يرى أهل الحق من موجب الإنكار إمارة، فانحلت رابطة المودة القلبية بين جلهم، وكادت أن تنحل عقدة الأخوة العمومية الإيمانية بينهم حتى بين أهلهم.

ويا لله ممن تصدروا لتلقين الأوراد في هذه الأزمنة التي ضاقت فيها الصدور السليمة، فاستمال جلهم إليهم بعض القلوب وأثاروا فيها ما أثاروا من بغض من ليس على شاكلتهم، ولم ينظروا بعين الرضى لغير من تمسك بما تمسكوا به، وسلك على ما هم عليه سالكون من حق أو باطل من غير موجب دعاهم لذلك، إلا مجرد الضغن المستولي على قلوبهم، مما نشأ عن حسد ونحوه من مقتضيات الهوى، مما يبثه فيهم من لا شفقة له على نفسه، فأحرى نفس غيره، فحصلت القطيعة بين أهل الإسلام من أجل هذا الأمر المر المستفحل في غالب الطرق التي سلك عليها أهلها في بادئ الأمر على ما يرضي الحق، ورجعت إلى ما هي عليه في هذه الأزمنة كما ترى.

ولم يزل الأمر على ما هو عليه حتى سرى في غالب المريدين الناهجين على طريقة واحدة، فسب بعضهم بعضا، وأعرض البعض عن البعض بغضا، وربما أدى الحال بالبعض إلى تكفير أخيه من شدة البغض، كل ذلك لاستيلاء حب الظهور على قلوبهم، واستمالة قلوب ضعفاء العقول إليهم، مع وضوح عيوبهم طبق ما يشاهدونه بعيونهم في خاصة أنفسهم المسولة إليهم ما لا يسوله إلا العدو لعدوه، بما ينحط به الراقي للمراتب إلى الحضيض من علوه.

وقد تفاحش الأمر حتى سرى إلى بعض إخوان هذا الزمان ممن ينتمون لهذه الطريقة، فاتخذ بعضهم بعضا سخريا، وجعلوا ما أوصاهم به الشيخ قدس سره ورائهم ظهريا، فتحزب البعض للبعض حزبا، ورموا البريء غيبا عيبا، خصوصا من باعد نفسه عن القيل والقال منهم، ولم يكن له معهم دولة، أو خالطهم ولم تكن له معهم بين العامة صولة، فيضمرون له سوءا فادحا، وربما تجد له إن كانت له مزايا من بينهم من لا يزال له في ظهر الغيب قادحا، فضلا عن أن يعتقدوه، وما ذاك إلا للحكمة الكبرى في استتار ذوي الخصوصية

تحت سور سوء الظنون، ليقضي الله أمرا كان مفعولا في طرد من ليس من هذه الطريق لعدم توفر شروطها فيه.

وكثير من هذا الفريق لا يعرف من أين أخذته مصيبته التي أصابته بسهمها الصائب، وقلما تفطن لما حل به لاستيلاء سطوة الغفلة عليه، ولو أنه ألقى إلى نفسه أقل نظرة لرأى بعين بصره وبصيرته ما وقع به في هذه الحسرة، وكأني بمن اطلع على هذه السطور إذا وضعها على حاله وجد نفسه هو المقصود بمضمنها، بإظهار ما خفي عنه من أموره، فإن ساعده التجلي أنصف لنفسه من نفسه، وبادر بإنقاذها مما حل بها من سوء الإعتقاد، وأعطى لكل مقام حقه، وإلا بادر بالإنكار على ما أبديناه له من غير مشقة، وعسى أن ينفعه الله بالتبصر في أمره، فيحصل له بذلك انشراح صدره، ولست بمنكر على من أنكر هذا علي، ونسب النقص كله إلي، لأن بيني وبينه في المقاصد بون وبعد، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وَلَكِنَّنِي مَا ضَرَّنِي حَيْثُ أَنَّنِي * أُرِيدُ وُصُولَ النَّفْعِ وَالنُّصْحِ لِلْغَيْرِ

وَأَعْرَبْتُ عَنْ قَصْدِي وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي * حَسُودٍ وَلاَ فِيمَنْ يَلُومُ وَلاَ يَدْرِي

ولقد وجد الشيطان السبيل إلى تغيير القلوب، بما يظهره من العيوب، فجلس في أوسع الطرق وأضيقها يصد السالكين عن سواء الطريق، بما يلقيه عليهم فيها من الشبه، فيستعظم الأمر الهين في أعينهم حتى يروا حسنا ما ليس بالحسن، ويروا الحسن قبيحا، ويصور لهم المحال موجودا والصالح فاسدا، والموجود مفقودا، ذلك شأن من أريد به الشر من حيث لا يشعر.

وعلامة المكر به الإنقطاع عن طريقه التي كان سالكا عليها، وانقلاب حسن ظنه انتقادا لما يراه من أهل الطريق من غير تشبث، ويرى أنه على الطريق المثلى وهم في الضلال يعمهون، ولا يزال يستحكم هذا الإعتقاد فيه حتى يرفض الود، وينقض العهد، بسبب ما رآه مما لم يشرف في نظره من أحوال إخوانه وأفعالهم، ويرى أن ذلك من شيخهم، ولو تحقق بتبرئة ساحته مما يستنكره مما كره، فيصرح بالإعتراض على الشيخ بفعل المريد، ويصدح بانتقاد ما عليه من مزيد، وما هو من الضلال ببعيد.

وقد شاهدنا كثيرا ممن انقلبوا على عقبهم في الطريق، وقد كان موجب انقطاعهم بإعراضهم عنها بأدنى سبب، جرهم إلى سوء منقلب، مع عدم اطلاعهم على الطامات الكبرى التي ينسبها المنتقدون على هذه الطريقة وما اشتملت عليه كتبها، مما لا يلقي له بالا المعتقد، ولو اطلع عليها غير المعتقد لولى منها فرارا، ولملئ منها رعبا، ونحن وإن اطلعنا على ذلك وميزنا منه الغث والسمين، وعرفنا الرخيص والثمين، فلم يزدنا ذلك إلا تمسكا بحبل الطريقة لأننا لم نأخذ هذه الطريقة التي سرنا فيها بحسن اعتقاد لأجل ما ينقل من فضائلها. وإما تلقينا بسند صحيح ما أسست عليه من الأذكار التي هي نفس الورد والوظيفة وذكر الجمعة طبق ما هو مقرر لدينا من شروط ذلك، وما زاد على هذه الأذكار فهو فضل أو فضول، وهو الجالب للعامة والصارف لمن دهمته فيها طامة طبق ما قدر لكل في سابق الأزل.

وكان القدح الممتلئ من خمرة الحب في هذا الجانب ممن صنف في هذه الطريقة، لناشر راية هذه الطريقة زمن الشيخ رضي الله عنه. خليفته المعظم، من أفاض عليه الشيخ من الحضرة الأحمدية إمداده، فكان من بين أصحابه مريده ومراده، فظهرت عليه من بركته خوارق العادة، أبي الحسن سيدي الحاج علي برادة[1]، قدس الله سره في جنة النعيم.

فجاء بهذا التأليف في أبدع تصنيف، وأحسن تصريف، لا يحتاج به إلى تعريف، فجاد به على الفقراء فأغناهم به عن الغير، وأجاد في وضعه فدلهم على تحصيل كل خير، وأفادهم بما أبداه فيه بما رفع للطرف أعلام السير، بإنقاذ المريدين من ضنك الضيم والضير، وكشف به عن غواني المعارف الحجاب، وفتح به لأهل الإمداد من كل خير ألف باب، وهداهم إلى التخلق بكمال الآداب، التي يعز مثلها أن يوجد في كتاب، حتى أظهر ذلك الدر الثمين للعالمين بين العالمين، فكم أبدى فيه من مناقب وفضائل، وفتوحات وشمائل، وكرامات ومسائل، ومقالات ورسائل، مما يبهر العقول الراجحة، ويحرك الهمم الناجحة، وينور الصدور الصالحة، ويحي النفوس الطامحة.

---

[1]- أنظر ترجمته ضمن الصفحة 48 من هذا الكتاب.

فلا تسأل عما اشتمل عليه مع إيجازه من جواهر المعاني المنظومة في سلك البيان البديع النظم والنثر، فما هو إلا السحر الحلال، لعمرك ما هو إلا كاسمه جواهر المعاني، يعرف قدره من عرف ما انطوى عليه، ويقدر قدره من مثل بين يديه، وسقاه مما لديه، وذاق من سره الذي سيق إليه، فهو سر مكتوم، وكأس مختوم، وذر منظوم، ومثله معدوم، سطوره شطور من المنى، ومعانيه مذهبة للعنى، يحصل به لمطالعه عن سواه من كتب القوم كمال الغنى، باطمئنان النفس ودوام الراحة المحمودة مع الهنا.

لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا * تَجَاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ[1]

فكم شربنا من رحيقه المختوم كؤوسا، وطأطأنا لمعانيه رؤوسا، وطبنا به نفوسا، ودفعنا به عنا بؤسا، وعمره به دروسا وطروسا، وشفينا به الغليل، وأبرأنا به القلب العليل، وكان لنا نعم الدليل، الموصل على غاية المقصود الذي هو بسعادة الدارين كفيل، وهو مع وضوح معانيه وبلاغتها، وتشييد مبانيه وفصاحتها، وتلويح إشاراته وصراحتها، وتفنن عباراته وملاحتها، فقد تأخذ منه الأفكار على قدرها من الفهم، وتقتبس الفهوم من الأنوار على قدر مبلغها من العلم، ويكشف لها عن الأسرار على قدر ما تحمله من الكتم، وتفتض منه عرائس الأبكار على قدر قوتها بين القوم.

وقد دعاني إلى شرحه، وفتح أبواب صرحه، من تجب علي مساعدته، وتتعذر من كل وجه مخالفته، بعد أن أقمت أعذارا لديه، ألقيتها بين يديه، فلم يزده الإعتذار إلا رغبة في الإقتراح علي، ولم يزده إقراري بعدم الإقتدار إلا تأكيدا علي، فيما أمل لدي، وكان من جملة المعاذير التي اعتذرت بها إليه ما تجف من بيانها المحابر، ويكل كاتبها عن رسم بعضها بيديه، وأهمها عندي بضاعتي المزجاة، التي لا أستحق على إنفاقها مجازاة، ولا تقبل مني في روجانها لصغر قدري وسني عن أن تتلقى بالقبول عند رجحانها، فأحرى عند نقصانها، فترك عرضها على الأفكار السليمة، هو اللائق بمن كان مثلي ممن لا تساوي تجارته قيمة، فأحرى من عرضها على الأفكار السقيمة، التي بها تصير المنتجات عقيمة، وينعكس بها المقصود، ويذم من أجلها المحمود.

---

[1]- البيت من قصيدة البردة للشيخ محمد بن سعيد البوصيري، ورقمه 101.

وَكَمْ عَائِبٍ شَيْئاً سَلِيماً وَلَمْ تَكُنْ * لَـهُ آفَـةٌ فِيهِ سِوَى نَـقْصُ فَـهْمِهِ
وَلَوْ كَانَ ذَا فَهْمٍ سَلِيمٍ أَضَافَ مَا * تَبَدَّى لَـهُ مِـنْ نُـورِ عِـلْمٍ لِـعِلْمِهِ[1]

ومن الإعتذارات التي أبديتها أني أعرف بنفسي، وأعترف بقصر الباع، وقصور الإطلاع، عن الخوض في هذا البحر الطامي، والتسور على قلل هذا الطود السامي، فماذا أقوله في بيان ألفاظ أعجب من السحر، ومعانيها أرق من الخمر، فما فائدة الزيادة، وهي نفسها تامة الإفادة، لا تحتاج لإيضاح لوضوحها مبنى ومعنى، ولا تتوقف على شرح شراح لانشراح صدر مطالعها حسا ومعنى، فالزيادة على اشتملت عليه تكاد أن تعد نقصانا.

قَدِ اعْتَرَفْتُ بِعَجْزِي عَنْ مُقَاوَمَتِي * لِـمَا عَـلَيْهِ انْـطَوَتْ فَحْوَى مَعَانِيهَا
وَقُلْتُ يَا نَفْسُ إِنِّي لَسْتُ أحسنُ مَا * يُرَامُ مِـنْكِ لِتُعْطِي الـقَوْسَ بَـارِيهَا

ومنها اتقاء طعن بعض من يقف عليه ممن يستفيد ويجحد، وينكر على أمثالي ما يحمد، بعدما يقف على ما لو لم يطالعه ممن أنكره عليه لم يحصل له به علم، ولم يحط به خبرا، ولم يجري له على فكر منه فهم ولا وهم، والعجب من بعضهم بعد استفادته بما لو أنفق عليه أحسن ما لديه، لما وصل إليه، يفرغ في قوالب حسده بما يموه به أنه يجب ستر ما ذكر غيره منه عليه. ويتمنى أن لو استفاد ذلك من غيره ليتبجح به على من يريد التصدر في المحافل، بما ينسبه إليه حسبما شاهدنا ذلك ممن طالع بعض كتبنا المؤلفة في هذه الطريقة والمؤلفة في غيرها.

فقد بلغنا عن بعض من طالع كشف الحجاب ما أداه إلى التشنيع علينا بما وقف عليه بما لو أعطى نور بصره جزاءا لمن يوقفه على مثله لم يجد إليه سبيلا. ولبقي في جهله ذليلا، لا يرى لما يعانيه دليلا، وما أثر ولله الحمد فينا كلامه، ولم يزدنا إلا حب الخير لجميع الإخوان ملامة، غير أننا نتمنى أن لا يقف على مثل ذلك في مؤلفاتنا حتى لا يحصل منه ما حصل له به الجزاء المعادل لعمله، وما هو إلا عدم انتفاعه به في الدارين إلا أن يتوب إلى الله.

---

[1]- قريب من هذين البيتين قول المتنبي:

وكم من عائب قولا صحيحًا * وآفته من الفهم السقيم

ومثل ذلك ما وقع لنا في تأليفنا المعنون بالفذلكة الجامعة في صرف الجامعة[1]، الموضوعة في عملية قسمة التركات حسب المثقال المصطلح عليه في عمل فاس، فقد انتفع به جماعة ممن صاروا ينظرون إلينا شزرا خشية أن ينسب لهم استفادتهم منا، وكأننا ما ألفناه لهم إلا لنحمد لديهم، أو اتخذوه لنكون لهم عدوا جلس بين أيديهم، وخفي عنهم المقصود، وهو نفع المسلمين ببث علم لا يسمح به إلا الوالد لولده كما هو معروف بينهم، فقابلونا بما تغير الخاطر باستفادتهم التي لا شك أنها لا يحصل لهم بها نفع أخروي إذا حصل لهم النفع الدنيوي، ولا أراه يحصل لهم أيضا إلا إذا تابوا ودعوا للمفيد باستمطار رحمة من يعامله على رغم أنفهم بجزائه على حسن النية، وسلامة الطوية، ولله الحمد على ذلك غير أنني لا يهمني مثل من هذه أحواله.

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي * فَلاَ زَالَ غَضْبَاناً عَلَيَّ لِئَامُهَا[2]

وأقول:

إِذَا صَلُحَتْ نِيَّتِي فِي الَّذِي * فَعَلْتُ فَمَا ضَرَّنِي لاَئِمِي
وَإِنْ فَسَدَتْ نِيَّتِي بِالهَوَى * فَمَا حَمْلُ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِ

وحيث لم تقبل هذه الأعذار التي هي أوهى من بيت العنكبوت، تعين علي التسور على أبكار الأفكار والإستطلاع عليها من زوايا البيوت، فشمرت ساعد الإسعاد لما أمله، وأسعفته بالمقصود مما لمَّ له، بعدما ترددت علي الخواطر، وقدمت رجلا وأخرت أخرى، وتكاثرت علي النواهي والأوامر ممن يستحسن هذا المطلب أو يستعظم الدخول فيه مبديا إنكارا ونكرا، فاستكثرت من مشاورة جم غفير من الإخوان، فأشار أعيانهم علي

---

[1]- الروضة اليانعة، والثمرة النافعة، في شرح الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة، من مؤلفات العلامة سيدي أحمد سكيرج، وهو من أُولَى تصانيفه، طبع على الحجر بفاس بخط مؤلفه بتاريخ زوال يوم الأحد 22 ذي الحجة الحرام عام 1317 هـ، وقد لاقى هذا الكتاب إقبالا كبيرا من طرف الأوساط العلمية عهدئذ، كما كان على فترة طويلة من الكتب التي تدرس ضمن الحلق العلمية بجامع القرويين، ونظرًا لأهمية الكتاب المذكور فقد ترجم للغتين الفرنسية والإسبانية.

[2]- البيت للشاعر العربي محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر، المعروف بأبي العيناء، المتوفي بالبصرة سنة 283 هـ، وهو أحد مشاهير شعراء العصر العباسي.

بالمسارعة إلى هذا السعي المحمود الذي هو من نفع الأقران، خصوصا ما بشرني به شيخنا المقتدى به، العارف بربه، الولي الصالح، النور الواضح، سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي[1] قدس سره، وخلد في الصالحين ذكره، فإنه شافهني عندما منعني من نظم

---

[1]- الفقيه البركة المقدم سيدي أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي بن محمد بن عبد المومن بن بلقاسم بن الولي الصالح سيدي عبد الله الشريف دفين باب سيدي عبد الله من الحاضرة التونسية، و هو من مواليد شهر شعبان الأبرك عام 1230هـ قبل وفاة الشيخ سيدي أحمد التجاني بشهرين بقرية العلية بالصحراء من عمالة توكورت، قرب تامسين، وحضر لسابع ولادته جمع من أفاضل أصحاب الشيخ رضي الله تعالى عنه، من بينهم القطب الخليفة سيدي الحاج علي التماسيني، حفظ القرآن الكريم في صغره بقرية أولاد جلال، من عمالة بسكرة بالقطر الجزائري، وكان رحمه الله ملازما لسيدي محمد الحبيب نجل الشيخ التجاني رضي الله عنه سفرا وحضرا لا يفارقه إلا قليلا، وكان لديه أخا وصديقا، وحبيبا ورفيقا، فهو خزانة أسراره، وجليسه في المذاكرة والمسامرة في ليله ونهاره، إلى أن توفي سيدي محمد الحبيب وهو عنه راض. وفي سنة 1288هـ ارتحل سيدي أحمد العبدلاوي عن قرية عين ماضي ليستقر نهائيا بمدينة فاس، وفي حقه قال العلامة أكنسوس في رسالة وجهها لأبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح ما نصه بعد كلام : وقد أتحفتمونا بورود هذا السيد الجليل القدر، المبني دينه وجميع أموره على أثبت جدر، سيدي أحمد العبدلاوي، فإننا ما ورد علينا مثله من تلك النواحي، وقد أحيا الله به قلوبنا بعد مناهزة الممات، وأفادنا من الفوائد والمعارف ما تنتعش بها العظام الرفات، إلخ ... وفي حقه قال العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 3 ص 203 : وقد لازم الجلوس بداره مدة، وكان مع كبر سنه الذي ناهز فيه المائة سنة سالم الذات، من جميع العاهات، حتى أنه كان يقرأ الخط الرقيق بلا نظارتين، ويقول لي ما قاله بعض العارفين : جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الحق علينا في الكبر.إلخ... ودخلت عليه مرة فقال لي : إن ملك الموت جاء إلي وهو لابس للباس أزرق، وأعطاني سبحة حباتها من جهتي الشاهد ضعيفة، حتى كأنها ليست من جنس الحبات الآخر، فعرفت بذلك أني أناهز المائة، والحبات الضعيفة هي أول العمر وآخره. وبقي بمدينة فاس إلى أن لقي بها الله تعالى في الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس 24 رمضان عام 1328هـ، وكان عمره عند وفاته 98 سنة، ودفن رحمه الله بمقبرة روضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة بفاس. أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة أحمد سكيرج رقم الترجمة 9، وفي كشف الحجاب لنفس المؤلف ص 200، وفي رفع النقاب للمؤلف نفسه ج 3 ص 201، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 93. ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون للعلامة سيدي أحمد سكيرج (مخطوط خاص) 94،100،103،110. الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). تطبيب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). النفحات الربانية في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 26_28.

الجواهر المشروحة[1]، بأن أبواب المواهب إلي مفتوحة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه بهذا الكتاب وأمره بالمحافظة عليه لينتفع به أولياؤه بعده، وعسى أن أكون منهم، وبث إلي أسرارا في هذا الموضوع، وأطلعني على مشهد من مشاهد[2] المؤلف قدس سره لنقف على ما ذكره عيانا، وسأزيد في هذا الشرح لهذه البشارة بيانا، تحدثا بنعم الله، وتعرضا للمزيد منها، فتحركت في هذه الأيام حركة البواعث على القيام بهذا الوظيف الثابت شكره لدي، وأهم البواعث عندي ثلاثة:

أولها إدخال السرور على من ألحوا علي في استعمال هذا الشرح بمساعدتهم ومساعفتهم، وفي ذلك ما لا يخفى على النجح في السعي الرابح

وَأَحْسَنُ مَا يَسْعَى الفَتَى فِيهِ جُهْدَهُ * لِيُرْضِي بِهِ المَوْلَى الأَدَاءُ لِحَقِّهِ
وَإِدْخَالُ أَنْوَاعِ السُّرُورِ بِسَعْيِهِ * إِلَى كُلِّ مَا يُرْضِي الإِلَهَ لِخَلْقِهِ

ثانيها تعمير وقت كتب الشرح بالإشتغال بالعلم مطالعة وكتابة واستحضارا، واستغراق جل الوقت بما هو محمود، والإعراض عن القيل والقال مع أبناء الزمان في روجان الغيبة والنميمة وما ضاهى ذلك، وشغل الفكر عن حضور مجالسهم بما تستنتجه القريحة من استنباط معان مفروغة في قوالب بيان، فلا يجد للفراغ لذلك وقتا، ولا يتعرض من تعاطي ذلك في الغالب لما يكون مقتا، ولذلك كانت مطالعة الكتب في كل فن لا تأتي إلا بخير إلا ما وقع النهي عن تعاطيه وتضييع العمر فيما لا طائل تحته، ولا يحسب من اشتغل بنقل العلم وبثه وحفظ بعض مسائله ممن ضيع وقته.

لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا تَعَاطَاهُ حَالَةٌ * تَصِيرُ لَهُ طَبْعاً يُطَابِقُ أَفْعَالَهْ
فَإِنْ كَانَ مِنْ أَفْعَالِهِ الخَيْرُ لَمْ يَجِدْ * عَنِ الخَيْرِ أَوْ لاَ كَانَ ذَلِكَ أَفْعَى لَهْ

ثالثها التعرض لنفحات الرحمان، الفائضة من حضرة الفضل على متعاطي العلم تعلما وتعليما، مع ما في ضمن ذلك من معاملة الحق في إيصال النفع للخلق بقدر الإمكان، ببث ذلك ورجاء بقاء النفع به على ممر الأزمان، مع ما في ذلك من ذكر الصالحين، وتعطير الزمان والمكان بذكر أحوالهم، وتشريف البنان بنقل شمائلهم وأقوالهم وأفعالهم،

---

[1]- أنظر المزيد فيما يتعلق بهذا الجانب ضمن ص 82.

[2]- أنظر المزيد فيما يتعلق بكتاب المشاهد ضمن ص 73.

استنهاضا للهمم للسير على ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق والأعمال الصالحة، ومعاملتهم للحق والخلق بما عاد عليهم نفعه في الدارين.

فهذه بعض البواعث الداعية إلى الإقبال على هذا الإقتراح في جمع هذا الشرح، وإن كان المدار في ذلك كله هو على النية، لا يحتاج معها إلا ذكر باعث بالكلية، ولكن بيان الدواعي له فوائد، منها إشعار الغير بمثلها باستحضارها في خاصة نفسه، فيما اهتم به من فعل شئ يريد النية الصالحة فيه، ومنها التنبيه على عدم صدور الفعل بدون داع إليه، حتى لا يلام الفاعل على ما جرى منه، ومنها كون الدواعي المذكورة في حيز التماس الأعذار المقبولة فيما عسى أن يعد من سواقط المؤلف أيا كان، لما في ذلك من إظهار الإفتقار لما عند المتقرب إليه بذلك العمل المقصود به المولى على كل حال.

وقد سلكت في هذا الشرح مسلكا لأمسك فيه عنان القلم عن الإسهاب بالمناسبات في محلها، وإعطاء المقام حقه من البيان الشافي، والتوضيح الكافي، ولا ألتزم هذا الإطناب في كل تراجم الكتاب، فإني ربما أسلك طريقة الإيجاز، فلا أذكر إلا ما يتجلى به عن المعنى انسدال الحجب ببيان ما يطلب بيانه، وربما أعرض عن حل تركيب بعض الجمل، إما لشدة ظهور المقصود منها، وإما لعدم إدراكي لمضمنها، حيث يقصر فهمي الفاتر عن الوصول للمراد منها، وربما أنقل ما للغير في حل بعض التركيبات فأنسبها إليه في بعض الأحيان.

وأملي في ذلك ما لا أظن أنه يمل منه طلاب الفوائد بالإذعان، ولا أدع ما يستجلبه المريد في هذه الطريقة المحمدية ولا ما يستعذب الورود منه كل ضمأن، بل جعلت هذا الشرح كمدونة التصوف، وجمعت فيه ما لا بد منه دون تكلف وتعسف، بحيث إذ طالعه مطالع لا يجد فيه ما يعيبه، إلا كونه صادرا عن مثلي بين الأقران، ولا يرى نقصا فيه إلا كونه ألف في أخر الزمان، مع أن المواهب الإلهية غير منحصرة فيمن تقدم، والأسرار العرفانية غير مقيدة بخصوص من تعلم، ولقد أجاد ابن مالك في خطبة التسهيل حيث قال: وإذا كانت العلوم منحا إلاهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين، ونقل صاحب القاموس في خطبته عن أبي العباس المبرد في كتابه الكامل قائلا: وهو القائل المحق ليس لقدم العهد يفضل القائل ولا بحدثانه يهتضم

المصيب، ولكن يعطى كل من يستحق، وأنشد أبو المواهب التونسي خلال كلام مثل هذا المقال في مثل هذا المقام:

مَا ضَرَّنِي إِنْ لَمْ أَجِئْ مُتَقَدِّماً * بِالسَّبْقِ يُعْرَفُ آخِذُ المِضْمَارِ
وَلَإِنْ غَدَا رَبْعُ البَلاَغَةِ دَارِساً * فَلَرُبَّ كَنْزٍ فِي أَسَاسِ جِدَارِ

وكثيرا ممن حرموا بركة معاصريهم بسدل حجاب المعاصرة عليهم، فلا ينتفعون بهم، ولا يصل خير منهم إليهم، وعند فقدهم والإطلاع على ما خصصوا به من المزايا يودون لو فدوهم بأعز ما لديهم، ولله در القائل:

تَرَى الفَتَى يُنْكِرُ فَضْلَ الفَتَى * خُبْثاً وَلُؤْماً فَإِذَا مَا ذَهَبْ
لَجَّ بِهِ الحِرْصُ عَلَى نُكْتَةٍ * يَكْتُبُهَا عَنْهُ بِمَاءِ الذَّهَبْ

وفي مثل هذا قلت وزنا ومعنى :

رُبَّ فَتَى يَجْهَلُهُ قَوْمُهُ * وَمَا لَهُ فِي عَصْرِهِ مِنْ نَظِيرْ
وَبَعْدَمَا يَرْحَلُ عَنْهُمْ يُرَى * لَهُ كَمَالٌ وَاحْتِرَامٌ كَبِيرْ

فإن أزهد الناس في العالم أهل عصره، وبالخصوص أهل مصره، وبالأخص أقاربه وجيرانه، ولست أتعرض بهذه التزكية نفسي، بين أبناء جنسي، وإنما حكيت الواقع بعد حكه على معيار التجربة لأمثالي، الذين ألفوا الميل لكلام من تقدم، والتنويه بمقاماتهم، والإعراض عن أهل العصر، بما حجبنا عن إعطائهم حق الأدب المطلوب منا معهم، لوزننا لأحوالهم بأحوال من مضى قبلهم من السلف الصالح، ونقيس البعض بالبعض مع وجود الفارق شخصا ومكانا وزمانا، فنحرم بسبب ذلك بركة أهل الوقت، ونتعرض بذلك من غير شعور منا للمقت، نسأل الله العفو والعافية.

نعم قد يغتر من لا اطلاع له على أمر الحقيقة باطلاعه على هذا القول فيختلج في صدره أن لي بذلك خصوصية، أو يسمع من أحد الأحبة في جانبي ما يدعوه إلى تخصيصي على الغير بمزية، بل أقول وهو المطابق للواقع:

إِنَّ عَصْراً أُعَدُّ فِيهِ فَقِيهاً * هُوَ عَصْرٌ مِنْ أَعْجَبِ الأَعْصَارِ
مَا الفَقِيهُ الفَقِيهُ غَيْرُ فَقِيرٍ * قَدْ تَخَلَّى عَنْ سَائِرِ الأَوْطَارِ

وأقول في معناه:

إنَّ عَصْراً يُعَدُّ مِثْلِيَ فِيهِ * عَالِمٌ فَاضِلٌ لَعَصْرُ الدَّوَاهِي

قَدْ خَلاَ الدَّسْتُ لِلبَيَادِقِ حَتَّى * فَرْزَنَتْ فِيهِ وَانْثَنَتْ لِلشَّاهِي

وأقول في معناه:

إنَّ عَصْراً قَدْ صَارَ يُدْعَى إمَاماً * فِيهِ مِثْلِي لَمِنْ دَوَاهِي الأُمُورِ

قَدْ خَلاَ الجَوُّ فِيهِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ * فَوْقَ رَأْسِ البُزَاةِ أَوْهَى الطُّيُورِ

غير أنني أتيقن أن لله مظاهر إحسان، بمحض الفضل والامتنان، تظهر في بعض الأزمان، من غير شعور المظهر بنفسه أنه من المخصوصين بمكارم أو كرامة، ولو ظهرت على يده فلا يراها صدرت منه، ويراها من أهل للانتفاع به من أهلها، فتكون الخصوصية لمن أعطاها حقها بعد رؤيتها، والمنقبة التامة لمن يعمل بمقتضاها ولم يلتفت إليها، ولو كان مجتهدا في تحصيلها ما لم يكن قصده الوقوف عندها، فهو نقص في المقام، وربما كان الأول أحسن حالا منه، فلهذا فإن الاعتقاد أحمد للشخص في الحلال والمآل، ولا يأتي إلا بالخير على كل حال.

ورب شخص قد اعتقد فيه غيره اعتقادا محمودا فرقاه به وصار نحاسه بسبب اعتقاده نظارا، واستحال نحسه سعادة، فينفع المعتقد والمعتقد فيه، ولا يزيد المنتقد بانتقاده إلا خسارا، ولقد كنت أشمئز عندما يصفني أحد الأحبة بأوصاف دالة على المدح لفخامة الصفات في حد ذاتها، لعدم تنزلها علي في الحقيقة، ويضيق صدري من سماعها أو رؤيتها في رسالة خاطبني بها لبعد ما بيني وبينها، فصرت الآن لا أستنكف ذلك رجاء تحقيق ذلك في جانبي، فإن لسان الخلق قلم الحق، وإن لله عبادا إذا وصفوا أحدا بوصف اتصف به لا محالة، فيقول أحدهم للجاهل: يا عالم، فيحصل له العلم، ونحو ذلك مما هو محمود وممدوح.

ولا بدع في مثل ذلك فإن للهمم أسرارا نافذة، وخوارق غير معتادة للنفس أخذها، وعسى أن ينفعنا الله بأهل محبتنا بصدق محبتهم، ونرجو من المولى أن ينفعهم بها، ولولا رابطة المحبة بين القلوب ما مال أحد لشيء محبوب، ولبطلت الحكمة واضمحل العالم رأسا، فإن لمغناطيسها جذب قوي بين العالم العلوي والسلفي، ومعاشقة للأرواح قبل ظهور

الأشباح، بمقتضى الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف[1]، ولوجود الحب المتصف به الحق ليعرفه الخلق فأوجدهم بمقتضى كنت كنزا لم اعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق.

ولولا ذلك الحب المناسب لقدره العلي لبقوا في طي العدم حسبما سيتضح بحول الله عند التعرض لهذه المسألة في كلام الشيخ رضي الله عنه من هذا الكتاب، وسأورد إن شاء الله في هذا الشرح ما يكاد أن يستكفي به المريد عن غيره من كتب القوم، لاشتماله على زبدتها الخالصة، ولا أقف مع خصوص ما يتعلق بطريقتنا التجانية من أقوال الشيخ رضي الله عنه وأقوال أصحابه وأحوالهم بذكر ذلك فقط، فإن الكتاب المشروح مورد لأمور داخلة في هذه الطريقة ولأمور خارجة عنها، وذلك يستدعي الخوض في بحر علوم جمة، وبسط كلام بما يناسب ما تعرض له حتى لا يعد الشرح مجحفا باستيفاء ما يطلب من اشتماله عليه، مع إعطاء كل مقام حقه من ذكر بعض أحوال الرجال الكمل المذكورين فيه، ولو على سبيل الاستطراد على حسب الإمكان.

وذلك لا يخلو عن فائدة، وأقل فائدة في ذلك للمريد تنبيهه على أن مطالعة أحوال الصالحين وقراءة تراجمهم للتأدب بآدابهم والتخلق بأخلاقهم هو من التوفيق الإلاهي له وعنايته له، وما ذاك إلا ببركة تعلقه بحبل شيخه النافذ فيه سر همته، وإن ذكر مثل هذا لا ينافي الطريقة التي سلك عليها الشيخ وخاصة أتباعه، خلافا لما يعتقده بعض الجامدين الذين قصر لهم في الطريقة الباع، مع قصور علمهم عن معرفة من سلف من السلف الصالح، وعدم الإطلاع حتى إذا ذكر عندهم أحد الكمل كانوا من أجهل الناس فيه لإعراضهم عن معرفته رأسا ومعرفة أمثاله.

وكيف يرضى العاقل بأن يجهل أعيان هذه الأمة المحمدية ويجهل أحوالهم، ومن العجب أنه إذا ساقته المقادير للحضور ببعض المجالس وذكر أحد من العارفين، وحركه بعض الحاضرين للكلام بذكر ما عنده من أحواله يتلعثم لسانه ويود أن لو كان يعرف شيئا منها ليظهره في ذلك المجمع فيعد ممن له كمال الإطلاع، ولكن لسوء حظه من ذلك يأوي

---

[1]- رواه الإمام مسلم (كتاب البر والصلة والآداب) باب الأرواح جنود مجندة رقم 6659.

للركون إلى إظهار أنه ليس هذا من طريقه ولا من حزبه وفريقه، ويبث ذلك لمن يليه من المجالس، وكأنه في ذلك معذور، مع أنه لا مانع له من الطريقة من أن يكون على بصيرة ممن سلف، ويعرف قدرهم بين الخلق، ألم يطلع على كلام الشيخ وما ينوه به من مقامهم ويستشهد به من مقالهم وكلامهم، و تبعه على ذلك أهل الفتح من أصحابه، فالمانع من الإطلاع على أحوالهم بعد هذا كله إما جاهل أعماه جهله فحاد عن الطريق، ويحسب بجهله أنه سالك على أقوم طريق، وهذا حسبه أن ينقاد لأهل العلم من طريقه، وينكف عما ليس من شأنه التداخل فيه من ترك الإنكار على من يطالع كتب القوم، وإما مدع للعلم فحسبه النظر بعين الإستبصار فيما كان عليه الشيخ وخاصة أصحابه من بعده، فيرى وجه الحق من ذلك في مرءاته الصقيلة، وأن معرفة أحوال من مضى بالخيرات كفيلة.

غير أن الإنكباب على مطالعة ذلك مع الإعراض عن كتب طريقته وجهل أحوال الشيخ وأحوال أهل الفتح من أصحابه يعد من جفاء المريد المؤدي إلى استحقار الطريقة وما أسست عليه من استغراق المريد في محبة شيخه، لكون المحب له مغناطيس الجذب كما قلناه، والمدار الذي تدور عليه رحى الطريقة التجانية وسائر الطرق النورانية هو إعطاء المريد للطريق حقها، ويقدر قدر شيخه وطريقته، ويربط القلب بالرابطة التي لا تنحل عقدتها بحبل محبته، ولا عليه بعد ذلك في استغراق جل أوقاته بمطالعة تراجم العارفين وكتب الصالحين، وما دام لم يحصل له في شيخه وطريقته رسوخ القدم في الحب، فالأولى له العكوف على ما يرجع لتقوية الرابطة في سريان سره فيه بما يشفيه، وعن غيره بما يكفيه، واللائق به في هذه الحالة الإشتغال بمعرفة طريقه أولا ، ويهتم لذلك باستفراغ البال، حتى يقدم به هذا الوصف بالفعل والحال، ويعمل على ذلك في خاصة نفسه، ولا ينكر على غيره من أبناء جنسه، وإنا لله ممن طبع على الجهل المركب، ولا حياء له في مقابلة من يبصره بالطريقة، وما انبنت عليه بإنكار ما يبصره به، ويشنع عليه بين أشياعه، فيخرج أهل التبصرة من الطريقة، وهو الخارج منها على الحقيقة.

وسأملي في هذا الشرح ما يؤيد كلام الشيخ رضي الله عنه من كلام الأئمة الأعلام في كل مسألة تعرض لها في هذا الكتاب، وإن كان كلامه يستدل به لدينا على صحة كلام غيره، فهو مؤيد لما قاله غيره ممن تقدم أو تأخر، وبكلامه تعضيد الأقوال الذي مال إليها،

والعمل عندنا على ما قال به أو عمله في الطريقة التي سلك عليها، ولكن إقناع غير المريد إنما هو بما يوافق مقاله من كلام علماء الإسلام، وقمع جحوده إنما هو بما ألفه من رسوم الأنقال عن الأعلام، فتعين الإتيان بما تتضح به المسائل المسطورة تأييدا لكلامه المحكم، لتثبيت قدم المريد في مذهب شيخه المتبوع، وإرشاد من يجهل الدلائل فيما ذكره مما هو مشروع، وذلك مما يشهد له العقل والنقل، والفرع والأصل، على رسوخ قدم الشيخ قدس سره في كمال المعرفة بالله، وأن اقتفاء أثره من توفيق الله.

ثم إني لم ألتزم وثيرة واحدة في هذا الشرح حسبما ذكرته، وإنما يجري على طبق ما يأتي الله به من الفتح من غالب الفنون التي تطابق المشروح، وربما آتي بفن غريب في بابه باستطراد ممدوح، مع ذكري ملحا ونوادر لترويح النفس والروح، خصوصا الأدبيات التي لا تخلو عن فائدة، وربما يتسع المجال في توضيح مادة لغوية، وتدعيم جملة نحوية، حسبما يعرض من ذلك خلل الكلام، حتى ينتفي ما يعده القاصر من الخلل في تركيب بعض الجمل، فإن المؤلف قدس سره لم يكن معتنيا بإصلاح اللسان جريا على القواعد العربية، وإنما فاضت عليه المواهب من غير استعمال الفكرة في الرسوم الآلية، إلا أنه أعطي الفصاحة في المنطق، والحظ الوافر في تقويم الخط، بتنظيم بنانه، بعد إصلاح جنانه، حسبما سأذكره بحول الله.

وأسميه تيجان الغواني، في شرح جواهر المعاني، سائلا من المولى أن يوفقني للسلوك فيه على مسلك يفضي إلى كمال رضوانه، ويسدل عليه رداء القبول فيعم النفع به بفضله وامتنانه، ويجعله سببا للفتح الأكبر لكل من طالعه بقلب سليم، ويكثر به الجزاء الأوفر لنا ولجميع الأحبة مع النعيم المقيم، مؤملا ممن حل بيده أن ينظره بعين القبول والرضا، وأن لا يبادر بإنكار ما هو معروض لديه قبل أن يتأمله فيولي الوجه عنه معرضا، وليلتمس من أحسن المخارج أعذارا، وليقتبس لغياهب النفس الأمارة من مشكاة الحق أنوارا، فإن كل مؤلف ولو بالغ في تهذيب تأليفه وتنقيحه، في تصريحه وتلويحه، كلما ردد النظر إليه بعد خروجه من يديه تمنى أن قدم بعض ما أخره وأخر بعض ما قدمه، ورأى أن الأصوب حذف شيء ذكره، أو إثبات شيء لم يكن فيه رسمه، وهكذا الشأن في كل مؤلف كما يعلمه كل

من أنصف، وما ذاك إلا أن الكمال لله ولكلامه المنزل، حتى يظهر النقص في كل مؤلف مما يعقل أو ينقل.

وكأني ببعض الحسدة قد اطلعوا على هذا الشرح فجعلوا قراه ما يناسبهم من القدم، فنظروه شزرا، وقالوا هجرا، وأضمروا شرا، وما علي في ذلك، لأن المقصود خفي عنهم، ولم أعرضه عليهم لأستجلب الشكر منهم، ولكن قد ادخرته يدا بيضاء عند كل من صفت لهم السريرة في استمطار شآبيب الرحمة السمحاء،

ورجوت به النفع لي ولمن اطلع عليه من أهل الصدور السليمة، والرجاء في الله أن يحل به نحاس النفوس السقيمة ذهبا خالصا، فتسلك به الطريقة القويمة، ويتجاوز لي ولهم عما اقتطفناه من الذنوب، ويستر ما اشتملت عليه ظواهرنا، وانطوت عليه بواطننا، من العيوب، إنه علام الغيوب.

ولنقدم قبل الشروع في المقصود من الشرح مقدمة مشتملة على التعريف بالمؤلف وسيرته وذكر نبذة مما يتعلق بالمشروح وفضيلته، وما قيل فيه، وفي مؤلفه من الأمداح المنمقة، وما له من تآليف أخرى مرونقة، واختلاف آراء المنتقدين والمعتقدين في هذا الكتاب ومؤلفه، والذب عن حمى الطريقة وأهلها بما أراه حقا غير منتصر لباطل، والله يؤيدنا بالتوفيق في هذا الطريق، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وينحصر الكلام على ذلك في مطالب.

المطلب الأول: في ترجمته وابتداء أمره

وصحبته للشيخ رضي الله عنه

هو العارف الواصل، المشهود له بالفتح اللدني، الحائز قصبات السبق في حضرات التداني، أبو الحسن سيدي الحاج علي حرازم بن العربي برادة[1] رحمه الله، جذبته يد العناية من أحوال التجارة الحسية، وأخذت بيده في سلوك طريق السعادة الأبدية، فربحت

---

[1]- أنظر كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 68-97 رفع النقاب، للمؤلف نفسه4: 118-157. جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2: 52-61. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب، للمؤلف نفسه 13-21. تطبيب النفوس، بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 63 و70 و76 و77 و79 و108 و110. الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 12-13 (مخطوط) ثمرة الفنون، في فوائد تقر بها العيون، للمؤلف نفسه 61 (مخطوط). نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة سيدي محمد الحجوجي رقم الترجمة 1. مقدمة كتاب فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للمؤلف نفسه بتحقيقنا عليه. نسمات القرب والأفضال، المبعوثة لسيدي محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه 39. سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 19. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 1. بغية المستفيد لشرح منية المريد، لسيدي محمد العربي ابن السائح 255-256. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 94 (مخطوط) أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 103-106. عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، لأحمد الرهوني. تعطير النواحي، بترجمة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي، لعمر بن محمد الرياحي 1:11-16. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 15. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 40 و 91 و 107 و 122 و 138. تفضيض ظاهر و باطن الأواني، بتكميل كتاب نيل الأماني، للمؤلف نفسه 2: 46 و 133 و 203 و 387. غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 7: 9. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 31 رقم 69. إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 98. موسوعة أعلام المغرب 7: 2445. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 137 رقم 792. معجم المؤلفين، لكحالة 7: 57. إيضاح المكنون، للبغدادي 1: 380. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 5.الدرة الخريدة، للنظيفي 1: 111. العضب اليماني في الرد عن شيخنا سيدي أحمد التجاني، لأحمد بن محمد بن عبد الله العلوي الشنقيطي 40. الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، للطصفاوي 61 و64. التجانية والمستقبل، للفاتح نور 142-143.

تجارته، وتوالت بشارته، قرأ ما تيسر له من القرآن، وأحسن من تجويد محفوظه، فكان مجيدا للفظ، منجدا بالوعظ، ذا خط جوهري يكاد أن يقرأ رسمه من لا يعرف الكتابة، ذا لفظ جهوري يكاد بفصاحته أن يفهم الأعجمي خطابه.

وبعد تحصيله لما قسم له من حفظ الكتاب، ونال الحظ الأوفر من تحسين الخط الذي تغبطه فيه حذاق الكتاب، وأخذ نصيبا من علوم الدين، وخرج من تقليد التوحيد بتحصل الأدلة مع الفتح المبين، تعاطى في عنفوان شبابه حرفة التجارة، فعمر الأسواق، وانتقل من فاس إلى غيرها من البلدان، اقتناءً للأرباح بالبيع والشراء، فأقبلت الدنيا عليه، و ألقت بزمامها إليه وكان مجبولا على حب الخير مع ما هو عليه من الفطرة والنية الصالحة، فطن في أمور دينه، متغافل عن شؤون دنياه في غالب أحواله.

وفي خلال تعاطيه للتجارة كان مولعا بمطالعة كتب الصوفية، ونفسه ترتاح لسماع مآثرهم السنية، ويتشوف لملاقاة من يأخذ بيده من القوم، ويتشوف للعثور عليه في كل يوم، ونفحات القبول تهب عليه فتنعش روحه وقلبه، والبواعث الإحسانية تقوي عزمه على التقوى التي كشفت كربه،

وفي أثناء ما قضاه من عمره رأى رؤيا استدل بها على بلوغه لمطلبه وظفره، فاطمأن صدره بالحصول بما أمله وسكن روعه بالبشارة التي بشرته بالوصول إلى ما أم له، ولا زال على ذلك الحال والسائق الإلاهي يحرك وجده حتى اجتمع بسيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه في مدينة وجدة[1]، حين كان الشيخ رضي الله عنه قافلا من حضرة تلمسان قاصدا الحضرة الفاسية لزيارة الضريح الإدريسي قدس سره، ولما لقيه بها ولم يكن له معرفة بسيدنا رضي الله عنه من قبل،

[1] ـ مدينة وجدة، هي عاصمة الجهة الشرقية من المملكة المغربية، لا تبعد عن الحدود المغربية الجزائرية إلا بحوالي 14 كلم، ويزيد عدد سكانها على نصف مليون نسمة. وقد زار الشيخ أبو العباس التجاني هذه المدينة مرات عديدة، اعتبارا لقربها من مقر إقامته (تلمسان) إذ ذاك، ولتواجد بعض أحبابه بها وبناحيتها، كما كان كثيرا ما يمر بها في طريقه إلى تازة لزيارة صفيه وصاحبه العارف بالله الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي

فذكر له سيدنا رضي الله عنه الرؤيا التي كان رآها مكاشفا له بها، وأنه من جملة مريديه الذين يفتح لهم على يده، وقال له سيدنا رضي الله عنه: أما تخاف من الله تتعبني من مكاني إليك، فلا حاجة لي إلا ملاقاتك، فاحمد الله على ذلك، فلما ذكر له رؤياه وكان قد نسيها، وتحقق بما رآه وما بثه إليه من السر الذي لم ينله من سواه، علم أن الله تعالى تفضل عليه به، وأنه رضي الله عنه هو الكفيل له ومربيه الذي سبق من حضرة الاجتباء إليه[1]،

فألقى نفسه بين يديه، فصحبه من ذلك الوقت، وتوجه معه لحضرة فاس[2]، ونال في مرافقته من بعد الوحشة كمال إيناس. وبها لقنه الطريقة الخلوتية، وألقى إليه من الأسرار ما فيه بلوغ الأمنية، وبعد أيام لقنه الطريقة المحمدية التجانية، ذات المواهب العرفانية، التي تلقاها الشيخ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه السلام مشافهة، وأمره بتلقينها للخاصة والعامة،

فنال بذلك صاحب الترجمة الخصوصية، وتقدم على غيره بما اختص به من عظيم المزية، فلازم خدمة الشيخ رضي الله عنه قلبا وقالبا بما فاق به الخاصة من الأصحاب والأحباب، وظفر بما لم يظفر به سواه حين فتح له من حضرات المعرفة سائر الأبواب.

وكانت مدة صحبته لسيدنا رضي الله عنه 27 عاما[3]، من وقت تعرفه به إلى أن توفي صاحب الترجمة سنة 1218هـ قيد حياة سيدنا رضي الله عنه، في توجهه للحرم الشريف لأمر خصوصي بحسب النيابة عن سيدنا رضي الله عنه، صحبة بعض الخاصة من

---

[1] ـ أنظر جواهر المعاني، للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة،الفَصْلُ الثَّالِثُ فِي أَخْذِ طَرِيقِ رُشْدِهِ وَهِدَايَتِهِ

[2] ـ لما دخل الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه لمدينة فاس عام 1191هـ نزل بدار صاحبه وخليفته سيدي الحاج علي حرازم، الكائنة بدرب الطويل ، أحد أشهر دروب المدينة العتيقة، وقضى في ضيافة صاحبه المذكور مدة تناهز ثلاثة أشهر، اجتمع خلالها ببعض كبار الأعلام بمدينة فاس ونواحيها

[3] ـ منها اثنان وعشرون سنة قبل استقرار الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه بمدينة فاس، ولم يقضي معه بالمدينة المذكورة سوى أربع سنوات لا غير، ثم انتقل لبلاد المشرق وبها توفي رحمه الله ورضي عنه.

الأصحاب، وكان من جملتهم سيدنا الحاج عبد الوهاب بن الأحمر[1]، أحد الخاصة من مريدي سيدنا رضي الله عنه، وحين وصوله قرب الحرم ذكر بعض الأسماء الخاصة، فحصلت له غيبة من شدة الأنوار التي تجلت له والأسرار التي فاضت عليه، فتوهم بعض المرافقين له أنه توفي، فدفنوه مع الشهداء ببدر،

وقد أخبر بذلك سيدنا رضي الله عنه بطريق المكاشفة، فقال رضي الله عنه لأصحابه: إن سيدي الحاج علي حرازم وقعت له غيبة فتخيله أصحابه أنه توفي فدفنوه حيا، فبقي في قبره حيا سبعة أيام، ولو لم يدفنوه لسمعوا منه علوما ومعارفا وأسرارا مما لا يخطر لهم ببال، ولا يجدونه في ديوان.

---

[1]- عبد الوهاب بن الأحمر الغرناطي الأندلسي الفاسي، من أعلام الطريقة التجانية، توفي بفاس بتاريخ 2 رمضان عام 1269 هـ، ودفن خارج باب الفتوح عن يسار الطالع لسيدي قاسم الوزير، أنظر ترجمته في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 231-238. تطييب النفوس، فيما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 210 (مخطوط)، رفع النقاب، للمؤلف نفسه 71، جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص)، الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 22 (مخطوط خاص). الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 28 (مخطوط) نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 22، لوامع الأنوار، وفيوض أسرار، وسطوع شموس وأقمار، للمؤلف نفسه 21. جلاء القلب الحزين العاني، في التمسك بالعهد الأحمدي التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 22. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص)، 46، بغية المستفيد لشرح منية المريد، لسيدي محمد العربي بن السائح 351، روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 16، رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 110:2 رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 75:1 أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين، لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117، سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني 27:3. إفادة السامع والراوي في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 5 و 7، كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو (في مواضع كثيرة منه)، معلمة المغرب 181:1 الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21، إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 14. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 156.

أقول حدثني العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه ورحمه، أن العارف بالله سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر المذكور حدثه أن صاحب الترجمة لما ذكر الإسم الأعظم[1] الذي لقنه سيدنا رضي الله عنه واشترط عليه أن لا يذكره إلا في تلك البقعة الشريفة سقطت قواه، واندكت ذاته، حتى أنه سقاه حليبا لبنا فخرج من مسامه عرقا، وهو لبن كما شربه[2]، وكان سفره للحجاز بأمر الشيخ رضي الله عنه، ومن الوقت الذي سافر والشيخ ينفق على أهله وأولاده إلى أن توفي سيدنا رضي الله عنه.

المطلب الثاني: في بعض مناقبه وخلافته
وما قاله سيدنا رضي الله عنه فيه

كان سيدنا رضي الله عنه ينوه بقدر صاحب الترجمة تنويها كبيرا، ويثني عليه ثناء كثيرا، ويحث الأصحاب على محبته، ويذكرهم بعض ما يشعرهم بخصوصيته، فكان يقول فيه: ما خلفت أحد سوى الحاج علي حرازم برادة، أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فخلفته، فخلافته كانت بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد وفاة الواسطة

---

[1] ـ المراد بالإسم الأعظم هنا ذكر خاص بكيفية خاصة، ومرتبة خاصة، ونظام خاص، وسر خاص، وإلا فالخليفة الأعظم سيدي الحاج علي حرازم كان عارفا بالإسم الأعظم مطلعا على كثير من خواصه قبل هذا التاريخ بكثير، ولا ننسى أن مولانا الشيخ رضي الله عنه كان قد لقن له الإسم الأعظم لدى زيارته له بالصحراء الشرقية عام 1196هـ، وذلك في مجلس خاص وظروف خاصة، ويستفاد من بعض كنانيش الخليفة المذكور أنه كان كثير التلاوة للإسم الأعظم الكبير، وكذلك لتركيبة التسبيح الأعظم، وفي مشاهده المسماة (الكنز المطلسم، في حقيقة سر اسمه الأعظم) ما يثبت هذا القول ويؤكده غاية التأكيد

[2] ـ حول الموضوع نفسه يقول العلامة سيدي أحمد بن محم العلوي الشنقيطي في كتابه روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، ضمن أول ترجمة منه، وهي ترجمة الخليفة سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه، قال : يقال أن الإسم الأعظم أحرق كبده، فوقعت له غيبة، فتخيله أصحابه أنه مات فدفنوه وهو حي، وأخبر بعض أهل الكشف أنه مكث في القبر سبعة أيام وهُو حي جالس يذكر الله تعالى، وقبره ببدر (مكان الغزوة المباركة).

الأعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي[1]، الذي كان سيدنا رضي الله عنه جعله واسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم في قضاء جميع مطالبه وسؤالها منه، حيث كان سيدنا رضي الله عنه إذا اجتمع بالرسول يقظة يستغرق الفكر في التلذذ في حسن المشاهدة للذات الشريفة، وينسى في رؤيته جميع المطالب التي يعدها قبل الاجتماع به ليسألها منه، وحين الاجتماع بالرسول لا يستحضر شيئا من ذلك السؤال إلى أن يفارقه، فأشفق من حاله صلى الله عليه وسلم، وأمره بجعل الواسطة في مشافهته بمطالبه، وأمره باتخاذ الواسطة المذكور،

ولما توفي سنة 1204 هـ صارت تجتمع له مطالب ليشافه بها الرسول في اليقظة، فلا يستحضرها عند الوصول، ويمنعه الإستغراق في مشاهدة الأنوار المحمدية من طلب آمانية كما قيل:

---

[1]- محمد بن العربي الدمراوي، أحد أشهر أعلام الطريقة التجانية، توفي شهيدًا بقرية عين ماضي سنة 1204 هـ. أنظر ترجمته في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 97-126. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 160-169. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، (مخطوط خاص) النفحات الربانية، في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 114-115. الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 124 (مخطوط خاص). جناية المنتسب العاني فيها نسبه بالكذب للشيخ التجاني 2: 68-69. ثمرة الفنون، في فوائد تقر بها العيون، للمؤلف نفسه 114 (مخطوط). تطبيب النفوس، بما كتبته من بعض الدروس و الطروس، للمؤلف نفسه 58. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 293. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة. لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 3. بغية المستفيد لشرح منية المريد، لسيدي محمد العربي ابن السائح 255. مقدمة كتاب السراج الوهاج، لاقتطاف ثمرة ياقوتة المحتاج، للعلامة سيدي محمد بن المشري. غاية الأماني، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني 9-13 رقم الترجمة 2. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 312. أضواء على الشيخ سيدي أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 109. غرائب البراهين، في مناقب صاحب تماسين، لسيدي محمود بن المطمطية 19. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين. لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117 الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، للطصفاوي 64، التجانية والمستقبل، للفاتح نور155-156. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر للعلامة إدريس العراقي 77 و 130.

وَكَمْ مِنْ حَاجَةٍ أَعْدَدْتُ عِنْدي * لِوَقْت وِصَالِ مَحْبُوبِ الجَنَانِ
وَأُجْـزِمُ أَنْ أَفُـوهَ بِـهَا لَدَيْـهِ * فَـيُخْرَسُ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ لِسَانِي

فاتخذ الشيخ رضي الله عنه بالإذن الأحمدي صاحب الترجمة خليفة عنه، فكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ حاضر بين يدي الرسول، فيطلبه على لسان الشيخ ويسأله فيجيبه الرسول صلى الله عليه وسلم بما يؤمله، فتارة يكتفي سيدنا رضي الله عنه بما يسمعه مشافهة من الجواب، وتارة يملي مضمن المشهد الذي شاهده فيه له في خصوص كتاب، فكان سيدنا رضي الله عنه يشكر خلافته ويقول في التنويه بشأنه: لا ينال أحد من أصحابي شيئا إلا بواسطة سيدي الحاج علي حرازم، أعطي ذلك من غير سؤال[1].

وذلك لأن السر الذي يسري من أمداده رضي الله عنه إلى مريديه مما يؤمله لهم بطلب منهم أو بدون طلب لا يلقيه لهم إلا بعد الإذن المحمدي فيه، فكانت مطالبهم من مطالبه التي يستأذن فيها الرسول، ويطلب منه بواسطة الخليفة المذكور قضاءها في مشهد الوصول، فكان المدد الذي يسري لمريديه من حضرته رضي الله عنه ومن حضرة الرسول صلى الله عليه و سلم إنما هو سبب وساطته لهم فيه، فلا جرم أن يكون الخليفة القائم مقام الشيخ في إدراك مأموله مشكورا، يتعين ملاحظة وساطته بكمال الإحترام الذي صار لبرور الشيخ به مبرورا، وفي رواية أخرى عن سيدنا رضي الله عنه قال: لا يصل إلى أحد مني شيء إلا على يد سيدي الحاج علي حرازم.

وفي إخبار الشيخ رضي الله عنه بهذا تنبيه للمريدين على تلقي خلافته عنه بعين القبول والإحترام، والقيام بحق تعظيمه أتم قيام، وذلك غير مقيد بحياته، ولا بكونه بعد وفاته، فتعين نظر مقامه بكمال التعظيم، فهو واسطة بين الشيخ ومريديه على العموم، وخليفة عنه في إقامة مقامه بينهم، وقام بحق شكر وساطته التي أقرت عينه وعينهم، حتى أنه كان يقول فيه : كل ما قاله سيدي الحاج علي حرازم فأنا قلته، فجعل قوله مثل قوله، والقول شامل للأوامر وغيرها من إذن مطلق أو خاص ونحو ذلك،

---

[1]- أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف اللام)

ولا شك أن سيدنا رضي الله عنه لا يصدر منه مثل هذا القول إلا مطابقا للإعتقاد، مع بصيرة نافذة متيقنة بصدق المقول فيه، وأنه لا يصدر على لسانه إلا الصدق، وأنه يرضيه ما يقوله وما يجري على لسانه به النطق، وناهيك بهذه المنقبة الدالة على ماله من شفوف المرتبة، وما ذاك إلا لصدق المحبة في حالة الحضور والغيبة، فنال بذلك المحب الخصوصية عنده وعند النبي صلى الله عليه و سلم.

وقد بلغنا أن سيدنا قدس سره أخبر بأن النبي صلى الله عليه و سلم يحب صاحب الترجمة محبة خاصة تفوق محبة الأولاد، فهو وإن لم يكن من آل البيت فقد نال هذه المحبة الخاصة، وهو في هذا المشرب سلماني القدم مخصوص[1]، فاق به الأولاد بمحض الفضل والكرم، فما نال أحد من أصحاب الشيخ رضي الله عنه مثل ما ناله صاحب الترجمة من التنويه بأمره، والتخصيص بسره، فارتفع بذلك قدره على غيره، وقد قال في حقه أيضا رضي الله عنه: قال لي صلى الله عليه وسلم : هو منك بمنزلة أبي بكر مني.

وتنزيله من الشيخ بهذه المرتبة عنوان على أنه وقر في صدره ما لم يظفر به غيره من خاصة الأصحاب، ونال من سر الصدق ما يعد به في الطريق كالخليفة الأكبر، الموصوف بكمال التصديق سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولكمال صداقته وصدقه رضي الله عنه أوصاه عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما في مشهد من المشاهد، التي شاهدها إذ قال فيه مخاطبا للشيخ رضي الله عنه : يا أحمد استوص بخديمك الأكبر، وحبيبك الأشهر، علي حرازم، فإنه منك بمنزلة هارون من موسى، ولا وصية أوصيك على خديمك أكبر من هذه الوصية و السلام،

---

[1] إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشهير : سلمان منا أهل البيت، قال العلامة سيدي محمد العربي بن السائح في كتابه البغية، ضمن حديثه عن موضوع ذا صلة بهذا الجانب، قال : طريقة الشيخ رضي الله عنه طريقة المحبوبية، والمحبوبية درجة يلتحق صاحبها بالأولاد و الذرية عند من وقعت عليه منهم من نبي أو ولي كامل ، كما يشير إليه حديث : سلمان منا أهل البيت. و كما وقع لسلطان العاشقين الشيخ أبي حفص عمر بن الفارض رضي الله عنه حيث ألحقه صلى الله عليه و سلم ببنيه و ذريته، وهو من بني سعد قبيلة سيدتنا حليمة السعدية شرف الله قدرها، وقد قال صلى الله عليه و سلم في مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها : فاطمة بضعة مني، الحديث، ولا مانع أن يلتحق بها في ذلك من وقع عليه سهم المحبوبية الخاصة منه صلى الله عليه و سلم مزية له و خصوصية و كرامة من الله تعالى

فهو في هذا المنزل كالأخ الصادق لأخيه الصادق في القيام بحق صداقته، والتصديق التام بما أفيض عليه في حضرة الصديقية، التي تجلى على منصبها بالوراثة المحمدية، فكان للشيخ عضدا شد به أزره، ولسانا من ألسنة الشيخ قدس سره، فلتعرف بذلك قدره.

المطلب الثالث: في رواية الخليفة سيدي الحاج علي حرازم الأسماء الإدريسية[1] عن نبي الله سيدنا إدريس عليه السلام في واقعة روحية دلت على ماله من كمال الخصوصية

لاشك أن المفتوح عليهم تسموا بهم النفس المطمئنة إلى مراقي الرقى في المعارف، حتى يظفر صاحبها بما تتشوف إليه نفسه من المزايا التي لا تتيسر إلا لمن كان على شاكلتهم، وقد يختص بها البعض دون البعض على وفق ما قدر لكل واحد منهم من القسمة التي لا حيف فيها ولا جور يوفيها، فكلما صفت نفس من كدورات الأهواء رأت في مرآة الوجود ما لا يراه إلا ذو بصيرة نافذة، خارقة لأستار العادات المألوفة، فتطلع على ما وراء ذلك مما لا عين رأت ولا خطر على قلب الغافل بما يقف متحيرا.

ولا عجب في مثل هذا عند من تروحنت أنفسهم في مخدع الخلوة، وعملت على الرياضات الموافقة للطباع السليمة، المحصلة على المظنون به عن غير أهله من الفتوحات الباهرة، ليكون لها في العالم العلوي والسفلي مجالس أذكار واعتبار، بين قوم يعتاد الجلوس

---

[1]- الأسماء الإدريسية : نسبة للنبي سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام، وهي أربعون إسما، أولها سبحانك لا إله إلا أنت يا ربَّ كل شيء ووارثه ورازقه وراحمه. إهـ.. وقد اشتهر بها كثيرا العلامة الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وله عليها شرح مفصل سماه : الروضة السندسية في الأسماء الإدريسية. وللعلامة الحاج حسان تاج الدين عاشور التجاني المصري كتاب في خواص هذه الأسماء وأسرارها سماه : النفحات القدسية في خواص الأسماء الإدريسية، وللخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم هو الآخر تقييد في بعض أسرارها يقع في صفحات، وللعبد المذنب محمد الراضي كنون كتيب فيها أيضا سميناه : التحفة التأسيسية، في ذكر تصاريف الأسماء الإدريسية.

ولا يفوتني التنبيه على أن العلامة سكيرج ذكر في كتابه المعنون بالدفتر الأسود، قال ناقلا عن العارف بالله سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، عن العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح أنه قال : حدثني بعض العارفين أن سيدي الحاج علي حرازم أخذ الأسماء الإدريسية عن نبي الله سيدنا إدريس عليه السلام في السماء الرابعة أخذا روحيا.

معهم في حضرات غيبية، ليست لغيره متيسرة في كل زمان ومكان، وإنما ذلك بحسب الفيض الذي فاض على صاحبه من حضرة الوهب بالفتح اللدني،

فتجده دائما يأنس بانعزاله عن قوم تشمئز نفوسهم من نفوره، ويتمنون أن يطلعوا على سر حب البعد عنهم والإنزواء بنفسه في خلواته وجلواته، وما ذلك إلا لما اعتاض بهم عن مخالطتهم بمخالطة القوم الذين انحاش إليهم باطنه وأوحشه الأنس بغيرهم، فلا يميل بقلبه عنهم إلى السوى كيف ما كان، لاستفادته من أهل الحضرة ما لم يستفده من المحجوبين عنهم.

فهو دائما في عالم الغيب يجول، ومن معارف القوم الذين تعرف بهم هناك يغرف بأعظم الأواني في كل أوان، وذلك من آمارات فتح المتصف بهذه الأوصاف، شعر أو لم يشعر بهذه الحالة، وإن تحقق في سره بما حصل عليه من السر دون من سواه، ولا يتم أمره وتنجح مساعيه إلا على يد الخاصة ممن مارسوا هذه الأحوال، وميزوا في عالم الخيال ما يتراءى لهم من كل مثال، حتى لا تلعب بهم أيدي الأهواء التي لا تدوم على حال، وترمي بصاحبها في بحبوحة الأهوال، وليس له فيها من خلاص ولات حين مناص،

لهذا ترى كثيرا ممن دخلوا للخلوات من غير إذن خاص يخرجون منها على أسوء حال، وربما جرت لهم الأذكار التي كانوا مشتغلين بها ما لا يحمد في الحال والمآل، ولو كان لهم مستند لأحرزوا على الذخيرة العظمى في مقامهم الاسمى، الذي لابد من تحصيل صاحب الأذكار الخصوصية والأسماء العالية عليه، وعلى المزية المنوطة به، المستودعة في خزائن الأسرار الفائضة من حضرة الوهب على الذاكرين بتفاوت في المراتب في حق كل راغب في ذلك وطالب حسب المطالب.

وكل من أخلص للحق قصده فاق غيره في هذا المقام الذي لا يفصح عما انطوى عليه من العرفان أفصح مقال، وكل من تصدى لتلقي الفيوضات الوهمية الغيبية بلا إذن من أهل الإذن الصحيح وقف بنفسه موقف التلف العاجل بهبوب عواصف الأهواء القاصمة لظهر كل منتصب في مهب أرواحها اللطيفة، السارية في الأرواح الكثيفة، مسرى الخارق القاطع في الأشباح الفارغة والعامرة، فكان المدار الذي يدور على دائرة السلامة

للخائضين في الأسرار هو الإذن الخاص من الخواص الذين ينظرون بنور الله فيمن يستحق تلك الخواص، وفق ما لديهم من أغراض وإخلاص،

فمن ظفر بمن له الإذن في مثل هذه الأمور، فقد ظفر بما فيه أمان نفسه، التي تصل به إلى غاية الأماني، من حضرات التداني، ولا ينال ذلك إلا من سبقت له العناية، فهي له ذلك بالسابقية الأولى من باب الفضل،

ومن هذا الباب ما وقع للشيخ التجاني رضي الله عنه في الإذن للخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، في اجتماعه بمن تحققت لهم الكرامة في حضرات الغيب التي انفتحت له أبوابها، فدخل إلى مخدعها في أمان على نفسه من الجزع والفزع، حتى نال المقصود وفق ما وعد به على لسان الصادق في المشاهد الخصوصية التي جاءت كفلق الصبح، فطابقت حضرة الشهادة بعد تجليها في حضرة الغيوب من سائر الوجوه، بالنظرة التي رقته إلى مراقيها في أقرب وقت بصدق الحب في جانب شيخه الذي ربح على يديه فكان من الفائزين.

فاجتمع في مشهد خاص بحضرة نبي الله إدريس على نبينا وعليه السلام، فتلقى عنه الأسماء الإدريسة، وأذنه في أذكارها، وأجازه بها إجازة عامة، حصل بها على الكرامة التامة، التي قلما تيسرت لغيره إن لم نقل أنها لم تكن لغيره، فجاء بهذا الإذن الخصوصي إلى شيخه قرير العين، وأخبره بما ظفر به من هذا السر الذي يكشف عن القلوب الغين، فأسر إليه ما أسره، وكشف عنه ضره، بتطبيق الأسماء على المسميات، وأتم إجازته الخاصة بالإجازة العامة، بين الخاصة والعامة،

فاطمأن صدره وانشرح، وتم له بذلك ما كان يتمناه في غاية الفرح، و اتصلت رابطته بالرابطة الإدريسية بالإجازة الخصوصية بالإذن الخاص، وبذلك تمت له على غيره من خاصة أصحاب الشيخ رضي الله عنه المزية، وأعظم بها من مزية، وقد اتصلت بحمد الله لنا رابطة السند إلى هذه الحضرة بالإجازة المقيدة والمطلقة بالإذن الصحيح، ولله الحمد رب العالمين.

المطلب الرابع: في رواية الخليفة سيدي الحاج علي حرازم رحمه الله عن الصحابي الجليل أبي محمد القاضي شمهروش الجني وتلقيه الحزب السيفي[1] عنه مشافهة بإذن الشيخ رضي الله عنه.

قد تقدم لنا في المطلب قبل هذا الإشارة إلى أن المأذون له بالإذن الخاص من ذوي الخصوصية يتأتى له في جميع مقاصده ما لا يتأتى لغيره ممن لا إذن لهم، ولا يستبعد ما يحصل للمتروحن بالأذكار إلا الجاهل بما في طي ذلك من الأسرار العالية المقدار، ولا يزال صاحب هذا الحال يعتني الخاصة بأموره، والأخذ بيده في وروده وصدوره، لما تدعوه قابليته من تحصيل مطالبه طبق ما يؤم له في سائر وجهاته، ويأتيه ما أمله من سائر جهاته،

ولهذا كان التماس الخير عند حسان الوجوه[2] من المأمور به شرعا، لأنه متهيئ عندهم الوصول إليه، والحصول لديهم عليه، بخلاف غير الوجه الحسن فإنه في الغالب لا خلاص له في الضيم، ولا يستخلص الغير من الضير، وأينما توجهه لا يأتي بخير، وفي ذلك سر يستعين به صاحبه على الظفر بالمطلوب بالإنحياش إلى الحق والإعراض عما سواه، إلا

---

[1]- الحزب السيفي، دعاء عظيم، من الأدعية المنسوبة لمولانا علي بن أبي طالب، وهذه النسبة وإن لم يعتبرها بعض علماء الظاهر فقد اعتبرها معظم السادات من أهل التصوف، كما اعتنوا بهذا الحزب وَعَدُّوه من جملة الأوراد اليومية التي وَظَّفُوها لمريدِيهِمْ، وهو أيضا من الأذكار غير اللازمة في طريقتنا التجانية، وله من الفوائد والفضائل ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد أقدم على شرحه وإظهار بعض خواصه العلامة المجاهد سيدي عمر الفوتي، فبرع فيه وأجاد أيما إجادة، وتحدث عن كثير من أسراره وأنواره وتوجهاته، وبيَّنَ مزاياه وما له من فضل، وما اشتهر به من سرعة الإجابة ونيل المراد.

كما شرحه أيضا العلامة الأستاذ سيدي محمد ابن عبد الله الشاوني الفاسي التجاني، وذلك تحت عنوان: إتحاف الخل الوفي بشرح ألفاظ الحزب السيفي، وأقدم على شرحه أيضا علماء آخرون من أهل هذه الطريقة، ويعود سبب ذلك للعناية الفائقة التي كان يوليها الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه لهذا الدعاء، إلى أن قال في معرض التنويه به: صلاة الفاتح لما أغلق والحزب السيفي يغنيان عن جميع الأذكار.

[2]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وفي رواية ابتغوا الخير عند حسان الوجوه، وفي رواية التمسوا المعروف عند حسان الوجوه، أنظر مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الأدب) باب ما ذكر في طلب الحوائج رقم 22018، رقم 22019، رقم 22020.

ما كان مما يوصل إليه من الخلق، فإن الوسائل تطلب من الشخص أن يعطيها من الحرمة ما أعطاه من حكم لها الحكيم، الذي خلق فهدى ووضع كل شيء في محله، ولهذا السر أوجب شكر الوسائط استيفاء لحق المظاهر حقها، فقال أن اشكر لي ولوالديك[1]، وقال رسوله عليه السلام: من لم يشكر الناس لم يشكر الله[2].

ولقد أعطى الله لسيد الوجود عليه السلام جميع وجوه الخير ظاهرا وباطنا، فالخير منه وعلى يديه متيسر للطلاب، مفتحة لديه سائرالأبواب، فالتماس الخير لديه قد رغب فيه بحاله ومقاله، فكأنه يقول: التمسوا الخير عندي واطلبوه مني، وكذلك نوابه وخلفاؤه، فقد أرشد إلى التعلق بهم، لأنهم يهدون إلى الحق وبه يهتدون،

وللمتحقق بمعنى الخير حظ وافر من التخلق به، فهو بنفسه من حسان الوجوه، فلا يلتمس الخير إلا من الخير، ولا يجد في كل ما سنح له إلا الخير، ومن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، طبق ما وردت به آثار سيد الوجود، ومنبع الفضل والجود، عليه الصلاة والسلام، فإن اتضح لك معنى حسان الوجوه في الجملة عرفت أن جميع من يدل على الحق بين الخلق فهو منهم،

و قد رغب المرشد الأكبر عليه السلام بالتمسك بأذيالهم، والتماس الخير عندهم، حرصا منه على نفع عباد الله، ما اقتدى به المرشدون الوارثون منه ما منحهم الله من الخصوصية على حسب ما تلقوه عنه مما قدر لهم من القرابة الطينية والدينية، وعلى قدر تفاوتهم في القرب الحسي والمعنوي،

ولكل واحد من ذلك ما يتحقق به في عالم سره، ما قرت به عينه من غير قناعة من خيره الفائض عليه من هذا البحر، الذي يمد الكون وهو في الزيادة في مد وإمداد على الدوام عليه الصلاة والسلام، وجميع هؤلاء الوجوه في الوجود رشحة من رشحاته، وقد قال المادح في حقهم:

---

[1]- سورة لقمان الآية 14

[2]- رواه الترمذي في سننه (كتاب البر والصلة) باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك رقم 1959. رقم 1960.

وَكُلُّهُمْ مِـنْ رَسُـولِ اللَّـهِ مُلْتَمِسٌ * غَـرْفاً مِـنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ
وَوَاقِـفُـونَ لَـدَيْـهِ عِـنـدَ حَـدِّهِـم * مِنْ نُقْطَةِ العِلم أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ[1]

قد تحققوا بما يفيضه عليهم من الخير، فالتمسوا ذلك لديه، ووقفوا عند حدهم عن الخوض في هذا البحر الذي وقف الأنبياء بساحله، مسلمين لمن استحق له التنزيه اللائق بعظمته، التي دلت عليها عظمة اتساع هذا البحر الذي كانت العوالم كلها بالنسبة إليه كهبئة في شعاع الشمس تتقلب بالريح الذي يهب عليها من جانب القدرة المنزهة عن الجهة،

ولله في خلقه شؤون يبديها من خزائن فضله. إلا أنه يبتدئها بالاختراع للخلق بما لم يخترعه في السابق القديم، فلا يكون شيء من الأشياء إلا طبق ما سبقت به السابقة التي هي عين الحكمة في نعمتي الإيجاد والإمداد، وما ضاهاهما مما يدل على قدرة الصانع الحكيم، صنع الله الذي أتقن كل شيء، وقدر كونه في حين لا حين، فأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فتبارك الله أحسن الخالقين،

فكان للأنبياء والأولياء بالتخلق والتحقق بهذا وما هو أعلى منه قدرا في المعرفة بالله ما تقف العبارة عن التنويه به، فضلا عن الإعراب عنه، حتى لا يطغى القلم بما لم يسمح التعبير به، خشية الزلق في مواطن زل فيها ذوو الأقدام الراسخة بما ألزمهم به المحققون والمبطلون ما لم يقصدوه حسب الأغراض و الأهواء الواردة عليهم في سائر حركاتهم وسكناتهم.

ولم ينج منهم إلا النادر من النادر ممن وفقه الله بالاشتغال بنفسه عن غيره، وشغله به عنهم بما يعمل به على شاكلتهم شاكلته، فقيده بالخير، وقيض الخير إليه، فأجراه على يديه، فكان من المفلحين، وما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح من هؤلاء المرشدين، الذين طووا مسافات السلوك، إلى ملك الملوك، في أمد قريب، وأوصلوا الخلق للحق في أقرب ما يكون بالسير الموصل للتنعم بوصل الحبيب،

[1]- البيتان من قصيدة البردة للشيخ محمد بن سعيد البوصيري، رقم 38 و 39.

فمن ظفر بواحد منهم ظفر بغنى الدارين، وزال عنه العنا بما يحصل عليه من الراحة الدائمة عناية من الحق به، فيلحق بالسابقين الأولين، وإن كان ظهوره في الآخرين، فيقيض الله له من يجمع شتاته، فتصير مقاصده وإن كانت شتى مقصدا واحدا يحصرها فيه، ويحصل عليه وفق الظن وفوق ما يظن، ولهذا رغب المرشد المحق في ابتغاء الوسيلة، وهي هو، ومن أقامه الحق مقامه من أهل الدلالة عليه المتسارعين إلى الأخذ بأيدي الخلق لنفعهم في العاجل والآجل، تخلقا بمقتضى الخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله[1]،

غير أن لكل واحد من هؤلاء السادات مشربا خاصا به، ومذهبا تمذهب به، ومسلكا جرى عليه حسب ما أفيض عليه من تلك الحضرة التي أشرنا إليها، فصار متلونا بلون أهل زمانه، ومنهم من خالف ليعرف مقصودا، أو يتظاهر بما ينفر عنه الخلق لاشتغاله بنفسه، وغير ذلك من المقاصد التي تخفى على من مارس أحوال الصادقين وأحوال الصديقين فضلا عن غيرهم، فيقف غير منتقد أمام مسرح تقلباتهم في المعاملات على اختلاف أنواعها، فما سنح له من الخير اقتنصه، وما تبدى له في حلة الإنكار باعد نفسه عنه، طالبا السلامة التي هي من نفس الكرامة المحتفة بالمصدق لأهل الله.

فإذا تقرر هذا عرف المطالع لهذه السطور أن كلامنا في هذا المقام مع ذوي الإعتقاد في أهل الله، المتباعدين عن مهاوي الإنتقاد، ونحن لا غرض لنا في مقاومتهم والمناضلة عن هذا الجناب بما نشيده على دعائم الأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، في جلب رضاهم عنهم، أو سخطهم عمن انحاش إليهم، لأن هذا الكتاب غير موضوع لهذا المعنى، ولكن توطئة لتسلية قلوب المعتقدين بما يلوح لهم من أنوار الحق في مخاطبتهم، بما يتأكد به لهم صدق ما تجلى لهم في أهل الله من الإنعطاف الباطني، والتعلق برابطة الحب الصادق في جنابهم.

أتينا بما أعربنا عنه في هذا المقام وفي غيره طبق ما سنح لنا من غير استعداد لذلك، ولا قصد منا في كتبه، وإنما نمليه حسب الوارد الذي لا ينبغي إهماله، وإلا فالمقصود الآن

---

[1]- أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب علامات النبوة) باب فضل قضاء الحوائج رقم 13706، رقم 13707.

هو التعرض لما ترجمنا له هنا من كون الخليفة سيدي الحاج علي حرازم تلقى عن الصحابي الجليل أبي محمد شمهروش الجني بالإذن الخاص من الشيخ رضي الله عنه له في الإجتماع به وحيث كان الغالب فيمن لا اعتقاد له في الخليفة المذكور بل ولا في الشيخ رضي الله عنه يبادر بإنكار هذا ونحوه، ضربنا صفحا عن الخوض مع هؤلاء القوم، وقلنا لهم: الكلام إنما هو مع المعتقدين.

فإنه بلغنا على لسان الثقة أن الشيخ رضي الله عنه أذن للخليفة المذكور بالإجتماع مع هذا الصحابي لتقلي ما ذكر عنه، فاجتمع به في مغارة أرشده الشيخ رضي الله عنه إليها، فتلاقى معه بها، وروى عنه الحزب اليماني، وجاء بالنسخة التي صححها عليه إلى الشيخ قدس سره، وبلغه سلامه وإجازته، وأخبره بأحواله، وما شاهده من حسن هيئته وسمت وقاره ورقة صوته، فكان الخليفة بهذه الرواية عن هذا الصحابي الجليل معدودا في حيز التابعين الذين اجتمعوا بالصحابة رضوان الله عنهم، اجتماعا متعارفا طبق الإصطلاح المقرر في ذلك.

و قد حلت بيدنا و الحمد لله النسخة التي رواها عنه منصوصا فيها على المحل المطلوب عليه حال ذكره[1]، كما سنتعرض بحول الله لذلك عند الكلام عليه داخل الكتاب، مع الكلام على شيء منوط بشروط تلاوته وبعض ما يتعلق بخواصه الظاهرة و الباطنة، مع زيادة إيضاح في تحقيق رواية هذا الحزب عن سيد الوجود صلى الله عليه و سلم، و بيان السر في عدم روايته عنه إلى الزمن الأخير، و لم يحفظ عن الصحابة قبل هذا الصحابي

---

[1]- وقفت على نص هذه الوثيقة بخزانة العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج رضي الله عنه، وتبركت بها، وهي عبارة عن ورقة طويلة ملفوفة، يصل طولها إلى ما يناهز نصف مِتْر، أما عرضها فلا يزيد على شبر واحد، وتشتمل هذه الوثيقة على النص الكامل لهذا الدعاء بخط مولانا الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، مع بعض الملاحظات المكتوبة بخط سيدنا الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، وهي ثلاث أو أربع ملاحظات، بالإضافة لخَطٍ آخَرَ كتب على بعض جوانب هذه الوثيقة، وهو غير شبيه بالخطين المذكورين، والغالب على ظني أنه خط الصحابي الجليل سيدي شمهروش الجني.

ولا يفوتني التنبيه أن للعبد المذنب كتيبا حول أسرار وخواص الحزب السيفي، تحت عنوان : إتحاف من هو بالأسرار معني، بخواص حزبي السيفي والمغني، وللعلامة محمد الحافظ المصري هو الآخر مؤلفا في هذا الصدد سماه : الحزب السيفي وبعض أسراره

رضي الله عنه، و ما قيل في ترجمة هذا الصحابي، والكلام على من نفى صحبته، وما قيل في وفاته. فقد قيل أنه توفي زمن العارف بالله سيدي عبد القادر الفاسي، وشاع خبر ذلك عندما أخبر أهل عصره بذلك. والحق إن شاء الله أن هذا الصحابي لم يمت إلا بعد ذلك.

وقد سمعت من سيدنا الوالد رحمه الله أن هذا الصحابي توفي في حدود عام 1270هـ، تزيد بيسير أو تنقص، طبق ما أخبر بوفاته في اليوم الذي توفي فيه من حضر لجنازته، وهو الشريف البركة الملامتي الشهير سيدي محمد الدباغ الملقب بأبي طربوش[1]، المتوفى بالوباء صبيحة يوم السبت 15 محرم عام 1285هـ، ودفن بضريح جده القطب الشهير سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه، فقد كان صاحب أحوال غريبة، وللناس فيه اعتقاد كبير، وقد طاف يوما بأزقة فاس مخبرا بوفاة هذا الصحابي، ويحض بنفسه الناس على الحضور لجنازته بالمقطع المعروف خارج باب الشريعة من مدينة فاس، فخرج كل من له اعتقاد فيه، حتى أن بعضهم أخبر بأنهم سمعوا رجة الجن الحاضرين في هذه الجنازة، و من لم يكن له اعتقاد في هذا السيد اتخذ ذلك من قبيل الخرافات، ولم يصدق بذلك، و الله أعلم بحقيقة الأمر.

الكلام على شرحه لهمزية البوصيري[2] رضي الله عنه

منذ سمعت بهذا الشرح ونفسي مشتاقة إلى الوقوف عليه، حتى أني رأيت ليلةً رؤيا

[1]- محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن القطب المولى عبد العزيز، فقيه فاضل، غلب عليه الإهتمام بأسرار الحروف وعلم الأسماء وكتابة الزيارج، كان كثير التراداد على مدينة مراكش، وقد أقام بها مدة طويلة عند بعض بني عمومته القاطنين هناك، توفي بفاس صبيحة يوم السبت 15 محرم عام 1285 هـ - 8 ماي 1868م، ودفن إلى جانب قبر والده داخل ضريح جده الولي الصالح سيدي عبد العزيز الدباغ. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 240. معلمة المغرب 12: 3963. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 6: 320. موسوعة أعلام المغرب 7: 2637.

[2]- المراد به كتاب الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلاهية من فيض الحضرة الأحمدية التجانية، للعارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي.

اجتمعت فيها بمفتي الحضرة الفاسية المرحوم السيد محمد ماني الصنهاجي[1]، التجاني طريقة، وطلبت منه أن يعيرني هذا الشرح بقصد نسخه، فأخرج لي نسخة في عالم تلك الرؤيا، لازلت أنظر إلى الآن حسن خطها والرونق المنسوج عليها، وداخلني فرح عظيم بتحصيلي عليها، حتى استيقظت من فرط ما داخلني، ثم اجتمعت به رحمه وأخبرته، فأخبرني بأنه وقف على الشرح المذكور، ولم يتيسر لي التحصيل عليه في ذلك الوقت، غير أن الحق تعالى يسر لي بعد ذلك العثور عليه بخط يد مؤلفه، فنسخت منه بخط يدي

---

[1]- محمد بن محمد بن المفضل الصنهاجي، المعروف بماني. فقيه نوازلي مدرس بياني منطقي، صوفي فاضل. من مواليد مدينة فاس سنة 1260 هـ-1844م، وبها نشأ مولعا بطلب العلم بصورة استرعت انتباه كافة أقرانه وأصدقائه، وقد أخذ على يد ثلة من جهابذة علماء القرويين.

له مؤلفات مفيدة منها: حاشية على الرسالة العضدية، وتأليف في الكلام على حديث: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، سماه: بشارة تسر الناظرين في شرح حديث لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين (في نحو ثمانية كراريس) ومن كتبه الأخرى تأليف في مسألة الكسب، وتأليف في الإبتداء بالنكرة، وتأليف في مجال الصيام، تكلم فيه على أن الصوم في السفر أفضل من الفطر، وتأليف في التعريف بمعاد ومعود ابني عفراء المذكورين في الشمائل، ومنظومة في البدريين، وختمة لصحيح البخاري وغير ذلك.

توفي بفاس بتاريخ 11 ربيع الأول عام 1333 هـ- 27 يناير 1915م، ودفن بالقباب بجانب ضريح الشيخ احماموش، ورثاه أحد تلامذته بقصيدة لامية قال في مطلعها:

يا صاح لا تركن بظل زائل * واسعى لنفسك واتعظ بالراحل
وانظر سراة القوم كيف تيمموا * رشدا ولم يرضوا بنيل العاجل
رغبوا عن الدنيا الدنية عندما * قطعوا بحسن يقينهم للآجل
بكت السماء لفقدهم ولفضلهم * ويحق أن يبكي لموت الفاضل

أنظر ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة 2: 410. سل النصال، للمؤلف نفسه 10 رقم ترجمته 4. معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي 2: 170-172 رقم 71. موسوعة أعلام المغرب 8: 2884-2885. معلمة المغرب 16: 5569. مختصر العروة الوثقى، للحجوي 6 رقم الترجمة 21. نيل المراد بمعرفة رجال الإسناد، للعلامة محمد الحجوجي (مخطوط خاص). زهر الآس في بيوتات أهل فاس 1: 570. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم 126. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة نفسه، الجزء السابع (مخطوط خاص). الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 210 رقم 946.

ما قدرت على نسخه، وأتمه لي بالنسخ بعض الأحباب، فهو تحت يدي الآن، غير أنه يحتاج إلى تنقيح وتصحيح.

وقد تلقى مضمنه مؤلفه رحمه الله عن شيخنا رضي الله عنه، أملاه عليه شيئا فشيئا، وقد أجاد فيه وأفاد، وأوجز وأطنب، وأعجب وأغرب، وسنورد أثناء هذا الشرح جملة منه إن شاء الله حين يستدعي المقام لنقل ذلك إتمامًا للفائدة، وقد صَدحَ بلبال المحبة في هذا الجناب فترنم بهذه الأبيات في تقريضه فقال:

مَاذَا تَبَدَّى لَنَا مِنْ دَاخِلِ السِّفْرِ * حَتَّى غَدَوْنَا بِهِ فِي حَالَةِ السُّكْرِ

كَأَنَّمَا الخَمْرَةُ اسْتَوْلَتْ بِلُعْبَتِهَا * بِعَقْلِنَا وَلَقَدْ مِلْنَا عَنِ الخَمْرِ

صِرْنَا سُكَارَى بِمَا كِدْنَا نَطِيرُ بِهِ * مِنَ السُّرُورِ الَّذِي قَدْ قَرَّ فِي الصَّدْرِ

لَوْلاَ تَثَبُّتُنَا فِي حَالِنَا لَخَلَعْ * نَا لِلعِذَارِ وَلَمْ يحتجْ إِلَى عُذْرِ

لَكِنْ دَهِشْنَا مِنَ الحُسْنِ الَّذِي بَهَرَتْ * آيَاتُهُ ضِمْنَ هَذَا السِّفْرِ مِنْ سحرِ

سِفْرٌ تَكَامَلَ فِيهِ شَرْحُ هَمْزِيَّةٍ * لِشَيْخِنَا بَرْزَخِ العِرْفَانِ وَالسِّيَرِ

لِلَّهِ شَرْحٌ بِهِ لِلنَّاسِ قَدْ شُرِحَتْ * صُدُورُهُمْ دَائِماً فِي الجَهْرِ وَالسِّرِّ

يَشْفِي بِمَا فِيهِ مَجْمُوعٌ لِطَالِبِهِ * وَمَا حَوَى مِنْ ثَمِينِ العِلْمِ وَالخَبَرِ

يُحْيِّي القُلُوبَ وَيُذْهِبُ الكُرُوبَ بِمَا * فِي ضِمْنِهِ مِنْ بَدِيعِ النَّظْمِ وَالنَّثرِ

مَا إِنْ سَمِعْنَا بِشَرْحٍ مِثْلِهِ جُمِعَتْ * فِيهِ العَجَائِبُ مِنْ بَرٍّ وَمِنْ بَحرِ

فِي ظَاهِرٍ آيَةٌ كُبْرَى لَنَا ظَهَرَتْ * تَكَادُ أَنْوَارُهَا تُعْمِي ذَوِي النُّكرِ

فَلْتَقْتَبِسْ مِنْ سَنَا أَنْوَارِهِ قَبَساً * فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الدُّجَى مَدَا الدهرِ

لِمْ لاَ وَمُبْدِيهِ بَحْرُ العِلْمِ سَيِّدُنَـ * ـا الخَتْمُ التِّجَانِي الَّذِي عَلاَ عَلَى البَدْرِ

عَنْهُ تَلَقَّاهُ ذُو التَّقْوَى خَلِيفَتُهُ * عَلِي حَرَازِمُ وَهْوَ صَاحِبُ السِّرِّ

فَاللَّهُ يَجْزِيهِ خَيْراً عَنْ كِتَابَتِهِ * وَجَمْعِهِ وَيُوَافِيهِ مِنَ الأجرِ

وَاللَّهُ يَنْفَعُ كُلَّ المُعْتَنِينَ بِهِ * وَمَنْ لَنَا بِالدُّعَا لِسَانُهُ يَنْجَرِي

الكلام على تأليفه المسمى برسالة الفضل والإمتنان

وهي رسالة لطيفة اشتملت على مقدمة ومقصد وخاتمة، فالمقدمة في حقيقة المريد الصادق، والآداب المرضية له بين يدي شيخه وفي غيبته، والأمور التي تقطع بين الشيخ ومريده وتصده عن حضرته، وصدر هذه المقدمة بقاعدة هادية، لأنواع الرشد والفلاح داعية، والمقصد في فضل الشيخ رضي الله عنه وما خصه الله به، وفي فضل ورده، وما أعد الله لتاليه ولمن صحبه من المؤمنين، والخاتمة في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها أفضل من جميع الأعمال الذكرية.

وهذه الرسالة في نحو كراسة، أولها: الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه بنور معرفته، وملأها بشهود عظمة جلاله وجماله من هيبته ومحبته، وعرفهم به فعرفوه إلخ... ووافق فراغها في 11 جمادى الأخيرة سنة 1208هـ، فهي مؤلفة قبل إتمام كتاب جواهر المعاني، وقد قلت في تقريضها حين عثرت عليها عند صاحب السر المودع في الصدر، ذي الفتح الظاهر، والنور الباهر، المقدم البركة الشريف سيدي محمد بن الطيب الصوصي العلوي، وعنه نقلناها ونسخناها:

هَذِي الرِّسَالَةُ فِيهَا السِّرُّ قَدْ جُمِعَا * لِمَنْ يُطَالِعُهَا كَنْزُ الغِنَا طَلَعَا

يَحْظَى بِهَا بِهَنَاهُ وِفْقَ مَطْلَبِهِ * دُنْيَا وَدِيناً وَلاَ يَزَالُ مُنْتَفِعَا

جَاءَتْ عَلَى وِفْقِ مَا يَهْوَاهُ طَالِبُهَا * فِي مَنْهَجِ الحَقِّ حَيْثُ صَارَ مُتَّبِعَا

أَكْرِمْ بِمَنْ جَادَ بَيْنَ العَارِفِينَ بِهَا * فَإِنَّ قَدْرَ الَّذِي بِهِ اهْتَدَى ارْتَفَعَا

وقلت فيها أيضا:

رِسَالَةُ الفَضْلِ وَالإِمْتِنَانِ * تَضَمَّنَتْ جَوَاهِرَ المَعَانِي

وَلَمْ تَزَلْ فِي حُسْنِهَا المُزْدَانِ * غَالِيَةَ القِيَمِ وَالأَثْمَانِ

قَرَّتْ بِهَا لِلطَّالِبِ العَيْنَانِ * جَامِعُهَا خَلِيفَةُ التِّجَانِي

عَلِي حَرَازِمُ رَفِيعُ الشَّانِ * وَقَدْ أَتَتْ فِي أَوْضَحِ البَيَانِ

لِطَالِبِي الأَسْرَارِ وَالعِرْفَانِ

وقد ذكرت هذه الرسالة في ترجمة مؤلفها رحمه الله من كتابنا رفع النقاب بعد كشف الحجاب[1]، فليطالعها هناك من أرادها، وبالله التوفيق، وقلت فيها أيضا:

أُنْظُرْ إِلَى هَذِي الرِّسَالَةِ إِنَّهَا * جَمَعَتْ مَحَاسِنَ قَدْ سَبَتْ أَهْلَ النُّهَى
تُهْدِي المُرِيدَ إِلَى النَّجَاةِ وَكُلُّ مَنْ * وَصَلَتْ إِلَيْهِ سَبَاهُ مِنْهَا حُسْنُهَا
فِي ضِمْنِهَا مَا لاَ أُوَفِّي شُكْرَهُ * مِنْ كُلِّ مَفْخَرَةٍ رَفِيعٍ شَأْنُهَا
مَا إِنْ رَأَيْنَا فِي الرَّسَائِلِ مِثْلَهَا * وَبِغَيْرِهَا فِي القَدْرِ يَرْجُحُ وَزْنُهَا

الكلام على تأليفه (المشاهد) المسماة بالكنز المطلسم، في حقيقة سر الإسم الأعظم[2]

هذا التأليف وقفت عليه بخط مؤلفه سيدي الحاج علي حرازم، غير أنه مبتور أولا وأخيرا، وقد اشتمل على مشاهد رآها وشاهد فيها من الأنوار والأسرار ما يبهر الناظر ويدهش السامع، لما أبداه فيها من الغرائب والعجائب التي يكاد بها صاحب القدم الراسخة في محبة الشيخ رضي الله عنه من ذوي العلم فضلا عن غيرهم أن تحصل له الحيرة، فقد وصف في كل مشهد منها ما شاهد من تلك المشاهد بعبارة اتسعت في مجالها، وضاقت على من ليس بمعدود من رجالها، وما قصر من التنويه بما ضمنه من الكلام على الإسم

[1] - أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج 4

[2] - وقفت على نسخة من هذه المشاهد بخط جامعها الخليفة الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، وتحتوي هذه النسخة على ما يقارب الثلاثين مشهدا، وهي في غاية الجودة والنسق وحسن الخط، والذي يبدو أنها مبتورة من الجهتين المقدمة والمؤخرة، والظاهر أن عدد صفحاتها قد تقلص إلى ما دون النصف، بحيث لا يزيد عددها الحالي على خمسين صفحة.

مما يدل على أن أيادٍ خفية قد عبثت بهذه النسخة، بَيْدَ أن ذلك لا يضر، خصوصا بعد عثورنا ضمن كنانيش العلامة سكيرج على عدة مشاهد، نَقَلَ معظمها عن نسخة شيخه سيدي أحمد العبدلاوي التي هي من أصحِّ النسخ بالإتفاق.

وللعلامة سيدي أحمد سكيرج أيضا نسخة من هذه المشاهد كتبها بخطه، وكان قد أعارها لتلميذه السلطان الأسبق مولانا عبد الحفيظ إبان منفاه بالعاصمة الفرنسية (باريز) وبقيت عنده إلى حين وفاته، لتضيع ضمن جملة من الكتب الأخرى التي ضاعت في تركة السلطان المذكور.

الأعظم والفاتحة وصلاة الفتح، مع التعرض لمناقب الشيخ رضي الله عنه ومناقب أصحابه وفضائل طريقته،

ولم أرى ولم أسمع كلاما ولا تأليفا ممن تقدم قبله إلى الآن نحا منحاه في إطلاق عذبة لسانه، وبديع معاني بيانه، مع فخامة التنويه بالمقام الذي يشاهد فيه تلك الوقائع التي تحضر فيها العوالم العلوية في بساط الأنس، ويتلقى فيها عنهم ومن غيرهم من الحاضرين معه من ذوي المراتب العلية ما لا يكاد يخطر ببال.

يَكَادُ سَامِعُهُ يَحَارُ مِنْ عَجَبٍ * وَلاَ عَجِيبَ إِذَا مَا صَارَ حَيْرَانَا

مَا كَانَ يَخْطُرُ بِالبَالِ الأُلَى عَقَلُوا * وُجُودُ مَا لَهُمُ أَبَانَ تِبْيَانَا

وغالب تلك المشاهد مدارها على حضور الحضرة المحمدية عليها السلام، مع الخلفاء الكرام، فيخاطبه في عالم تلك الوقائع بمحضر الشيخ التجاني رضي الله عنه، ومرأى منه ومسمع، ومع ذلك يأمره عليه السلام بأن يخبر الشيخ بما يقوله له عليه السلام، وما يمليه عليه من الأسرار التي لا تحتملها نفوس ضعفة العقول استعظاما لشأنها، ولا يقبل مثلا ذلك إلا من كان فانيا في محبة المتكلم به، بحيث لا يؤثر فيه ما يمليه عليه أدنى ارتياب فيما ناله في تلك الحضرات من شفوف المقام بكمال الإحترام.

ولهذا يتعين على من حلت بيده هذه المشاهد أن يشد عليها يد الضنين، ويعض عليها بالنواجذ، بل ينبغي له أن يدفنها في زوايا الخمول، ولا يطلع عليها إلا من يأمن عليه الفتنة في الإعتقاد، ويخشى على نفسه إن لم يكن من النقاد، الذين حرروا التوحيد كما ينبغي في حق أمثاله،

وذلك حتى لا يطمح به النظر لما تعطيه ظاهر العبارة، فيحمد على ما يبدو له منها باعتقاد ظاهر ذلك على ما هو عليه، فيقع الإنكار عليه أو يبادر هو بالإنكار بنفسه إلا لم يكن من المتشبثين في الأمر الذي يتجلى لهم من تلك العبارات الممزوجة بما لا يليق بالقاصر أن يجريه على فيه، ولا شك أن قصارى القاصرين الإنكار على ما يدركه المدركون وما لا يدرك، وما يعقلها إلا العلمون.

فإياك يا أخي من مطالعة هذه المشاهد، فقد اشتملت على ما تزل به الأقدام، وتزلق عنه الأفهام، بظاهر العبارة عند حملها على ما لا يليق بالحضرة، خصوصا عند المتفقهة

أمثالنا، والمتفقرة أمثالنا المولوعين بالبحث عن الغرائب وإظهارها لمن لا يستحقها، فلا بد من كتم هذه المشاهد عمن ليس من أهلها، خشية أن يرتاب في فضلها.

وقد كان العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدولاي رضي الله عنه لا يطلع على نسخة المشاهد التي على ملكه إلا من ومن، ممن يتيقن باعتقاده ويأمن انتقاده[1]، وقد كان يطلعني عليها مرة بعد مرة، ويتفرس في حالتي عند مطالعتي لها، خشية أن أتأثر بمحل أقرأه منها من المشاهد،

وفي بعض الأحيان ينزعها من يدي قبل إتمام مطالعة المشهد الذي يأذن لي في قراءته بمحضره، ويأمرني بسرده وهو يسمع، وفي أثناء ذلك ينزعه من يدي لما يلوح له على أسرتي بفراسته في أحوالي وما يظهر لجنابه، حتى دفعها إلي بالإذن الخاص ومكنني منها.

واخبرني رضي الله عنه بأنها قد اشتملت على مشهد كل من طالعه بغير إذن يصاب بمصيبة أقلها أن تفيظ نفسه في حين قريب، وقد وقع ذلك لأحد أحبابه نهاه عن مطالعتها فطالعها حتى مرَّ بالمشهد المشار له، فأصيب بحمى لم يستوف معها ثلاثة أيام حتى توفي رحمه الله،

ولقد رأيت كثيرا من الأحباب ولعوا بمطالعة هذه المشاهد من غير إذن لهم فيها، وأكثروا من استنساخها، مع أنهم في غنى عما انطوت عليه من الأسرار، بما ذكره سيدنا رضي الله عنه من الثواب والفضل المنوط بالأذكار اللازمة والغير اللازمة، بما فيه كفاية عن التشوف لما اشتملت عليه تلك المشاهد، لَدَى كلِّ مقر أو جاهل أو جهول معاند

---

[1]- يُذكر عن الشريف البركة سيدي أحمد العبدلاوي أنه كان شديد الحرص على كتاب المشاهد، بخيلا به، لا يسمح بإظهاره لأحد من زواره إلا ناذرا، وقد طلب منه ساداتنا الفقراء يومًا أن يسرد لهم مشهدًا أو مشهدين منها، وألحوا عليه في الطلب، ولم يجد مجالا للإعتذار لهم عن هذه المسؤولية، فوافقهم على ذلك شريطة أن يجتمعوا في مجلس واحد، ويقرأ كل واحد منهم وردًا من صلاة الفاتح لما أغلق يزيد عدده على الألف، وذلك قبل أن يشرع في سرد مشهد من مشاهدها، ومن غريب ما حصل أن النوم أَخَذَ مأخذه من جلِّ هؤلاء الفقراء، وأصابهم الإرهاق، ولم يستطع أحد منهم الإستماع لسرد المشاهد ولا مواصلة المجلس المذكور.

ولقد أفضى الحال بكثير ممن ولعوا بالتبجح بما لديهم من أسرار الطريقة ويعدون ذلك من جملتها واختلاق بعض الأذكار ونسبها للشيخ رضي الله عنه ولخاصة أصحابه.

وقد نحا بعضهم منحى هذه المشاهد فكتب مشاهد تحاكيها في العبارة، ونسبها للخليفة سيدي الحاج علي حرازم المذكور، وهي ليست من مشاهده الحقيقية[1]، وجلها متداول بين أيدي إخوان هذا الزمان، خصوصا من يدعي منهم الخصوصية، وهم عنها بمعزل في أبعد مكان.

خطبة المشاهد

ولنذكر في هذا المحل طرفا من خطبة هذه المشاهد التي وقفت عليها بخط المؤلف، فقد قال منها: أحمده حمدا معترفا له بما قد صرت غارقا فيه من نعمه، وأشكره مستزيدا مما هو له أهل من فضله وجزيل إحسانه وجوده وكرمه، فلك الحمد إلاهي وسيدي ومولاي على ما أوليت وتوليت من إيجاد وهداية، فكن الحامد عنا لما طلبت من المحامد منا، فلك وبك ومنك البداية والنهاية، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار،

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار، المخصوص بأعلى مقامات الحب والقرب والشرف والفخار، المتوج بتاج الكمال، لابس خلع المهابة والوقار، شمس بهاء الوجود ونور الأنوار، صلى الله عليه و سلم صلاة كاملة مطلقة عن الإنصرام والقيد والحد والمقدار، وعلى كافة آله وأصحابه المصطفين الأخيار، وسلم تسليما دائما أبدا بلا انقطاع ولا انحصار.

---

[1] - وقفت بالخزانة السكيرجية على ثلاث مشاهد مكتوبة بخط رديء، نسبها صاحبها للخليفة الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، مع ما فيها من الركاكة واختلال الجمل والأخطاء النحوية والبلاغية وغيرها.

وقد كتب العلامة سكيرج بخطه الجميل على ظهر هذه المشاهد الثلاث ما نصه: ليعلم الواقف على هذه المشاهد الثلاث أنها مكذوبة على سيدنا الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، لا علاقة له بها، وليست لها أدنى صلة بمشاهده العظيمة المسماة بالكنز المطلسم، والله حسيب من اختلقها، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وقد حصَّلْتُ على نسخ كثيرة من كتاب المشاهد، وهي بخطوط مختلفة، فلم أقف فيها، ولله الحمد، على شيء من هذه المشاهد الثلاث المختلقة.

وبعد فإن هذه المشاهد العظام، التي أبرزتها حقيقة سيد الأنام، عليها من الله أفضل صلاة وأزكى السلام، لحضرة شيخنا الهمام، واسطة عقد حضرة الولاية، وعلم أهل الحفظ بالرعاية والعناية، عماد الملة والدين، ومحل رحال الطالبين، لسان الشريعة والحقيقة، وترجمان ما اعتاص من مقفل كلام أهل الطريقة، مساير السالكين وأمانهم من أراجيف الضلال، وتميمة عقول المجذوبين من صدمة شعاع الكمال،

إمام الواصلين، ونخبة المقربين، ورافع لواء العارفين، وسلطان المحبوبين، صاحب الهمة الخافضة الرافعة، والقوة الجالبة الدافعة، مجدد ما عفا من الدين بعد أن لم يبق منه إلا اسمه، ومحي ما دثر من طريق أهل الله حين لم يوجد منه مع من يظن به تحقيقه إلا رسمه، قطب الحال والمقال، وإمام جامع أهل الفضة والوصال، سيدنا وأستاذنا واعتمادنا، و وسيلتنا إلى ربنا، أبو العباس مولانا أحمد بن محمد التجاني الحسني رضي الله عنه، على لسان بعض تلامذته، مترجما فيها عن حاله ومقامه، وما خصه الله به من محض فضله وكرمه وجوده وإنعامه، وواسطة بينه وبين إمامه،

وسميت هذه المشاهد بالكنز المطلسم، في حقيقة سر اسمه الأعظم، وفيه فصول إلخ....

المشاهد التي ذكرها في مراتب الإسم الأعظم وصلاة الفاتح لما أغلق بمراتبها الظاهرة والباطنة وباطن الباطنة وغير ذلك مما يقف العاقل دونه منكس الرأس، متحيرا في ميدان تلك الفيوضات الغريبة التي برزت من حضرة الغيب في دائرة الخيال، والمشاهدة الخاصة وقد نقلنا ما لا بأس بنقله في بعض كتبنا في الطريقة، وسقنا منها في هذا الشرح ما رأينا نفعه لمطالعه، والله الموفق، وقد قلت في تفريظها:

إِنَّ الـمَـشَـاهِـدَ أَمْـرُهَـا * مِنْ أَعْجَبِ العَجَبِ العُجَابْ
فِـي كُلِّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْـ * ـهِ مَـالَـهُ تَـعْـنُـوا الـرِّقَـابْ
تَـعْـنُـوا لَـهَـا أَهْـلُ الـفُـتُـ * ـوحِ كَمَا عَنَتْ أَهْلُ الحِجَابْ
لِـلَّـهِ مَـا فِـي ضِمْنِهَا * مَا لَيْسَ يحصرُ فِي حِسَابْ
وَبَـدَا بِـهَـا وَبِـهَـا اخْتَفَى * مِـنْ كُـلِّ طَيْـبٍ مُسْتَطَابْ
مَـا إِنْ رَأَيْـتُ مَثِيلَـهَا * فِيمَا يُؤَلَّفُ مِـنْ كِـتَابْ
فَـاعْـجَبْ لِـمَنْ هِـيَ عِـنْدَهُ * إِنْ لَـمْ يَطِرْ فَوْقَ الـسَّحَابْ

جَـمَـعَـتْ غَـرَائِـبَ جَـمَّـةً * وَعَـجَائِـباً مِـنْ أَلْـفِ بَـابْ
فَـإِذَا ظَـفِـرْتَ بِـهَـا فَـلاَ * تَـسْـمَـحْ بِـهَـا لِـلْمُـسْتَرَابْ
فَـالـشَّـيْءُ إِنْ يَـكُ معجباً * فِـيـهِ يُـحَـاذِرُ ذُو الـصَّـوَابْ
صُـنْـهَـا عَــنِ الأَغْـيَـارِ حَـ * ـتَّى عَـنْكَ صُـنْهَا بِـاحْتِجَابْ
فَـتَـنَـالَ سِــرّاً بَـاهِـراً * وَالـلَّـهُ يَـمْـنَـحُـكَ الـثَّـوَابْ

الكلام على الكناش المكتوم[1]

قد اطلعت على هذا الكناش عند ورثة حفيد مؤلفه الخليفة المكرم رحمه الله قبل أن تدخل إليه يد التفريق، فوجدته جزءا اجتمع فيه من أذكار الطريقة التجانية وأسرارها المتلقات عن سيدنا رضي الله عنه بخط يد الخليفة المذكور رضي الله عنه وخط سيدنا رضي الله عنه وخط بعض الخاصة من أصحابه الذين أخذوا عنه مشافهة ما أعددته من الذخائر العالية النفس، مما يتنافس في التحصيل على نفائسه المتنافسون.

وكان مؤلفه رحمه الله قد جعله مبيضة بما كان يتلقاه عن سيدنا رضي الله عنه ريثما يجعله تأليفا خصوصيا، مما يظهره في حيز التأليف، وما يتركه في زواية الكتمان عمن لا يستحقه، ولقد بالغ في إسدال رواق ستر ما أودعه فيه من الأسرار تحت حيطة الرمز

[1]- وقفت بالخزانة السكيرجية على صفحات مختلفة من هذا الكناش، مكتوبة بخط الخليفة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، تشتمل على أسرار مختلفة ومزايا وخواص عالية، غير أنها للأسف ليس بصفحات منتظمة، بل متفرقة، وتزيد في عَدِّهَا على عشر صفحات، وهي من الورق المتوسط الحجم، والواضح أن صفحات هذا الكناش كانت تزيد على ثلاثمائة صفحة، بدليل أن رقم إحدى هذه الصفحات هو 303، وللأسف الشديد فقد ضاعت جل صفحات هذا الكناش، ودخلت في خبر كان.

ولا يفوتني التنبيه على أنني وقفت على ثلاث كنانيش آخرى بخط الخليفة المعظم المذكور، منها طرف من كناشه الذي دون فيه بعضا من الفوائد والأسرار التي استفادها خلال رحلته المشرقية عام 1217هـ ـ 1218هـ، وذلك لدى مروره بالجزائر وتونس ومصر، والذي اسْتَنْتَجْتُهُ بعد طول بحث أن المراد بالكناش المكتوم هو كناشه الكبير الذي جمع فيه بعض ما أملاه عليه مولانا الشيخ رضي الله عنه من أسرار وخواص وأذكار عالية، وتصاريف ذات صلة بالإسم الأعظم وعسكرة الأسماء وما إلى ذلك، وقد ضاعت كما أسلفنا سابقا جل صفحات هذا الكناش، ولم تبق منه سوى صفحات قليلة لا تزيد على العَشْرِ.

العددي والحرفي، مما لا يفكه إلا من له إطلاع تام باصطلاح ذلك، غيرة على الأسرار من أن تقع في يد من لا يستحقها، بحيث ينشد لسان الحال ذلك قول القائل :

السِّرُّ عِنْدِيَ فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ * ضَاعَتْ مَفَاتِحُهُ وَالبَابُ مَقْفُولُ

لاَ يَكْتُمُ السِّرَّ إِلاَّ مَنْ لَهُ شَرَفٌ * وَالسِّرُّ عِنْدَ شِرَارِ النَّاسِ مَبْذُولُ[1]

ولم تمض أيام قلائل على هذا الكناش عند الورثة المذكورين حتى صارت تتداوله الأيدي، ومزق كل ممزق على ما اقتضته أهواء من حل بيده، فمنهم من أخذ منه أوراقا بقصد بتر بعض الأسرار، حتى لا تقع في يد الأشرار، ومنهم من أخذ منه بقصد التبرك بحمل ورقة منه حرزا حصينا له من الأكدار والأغيار، بدفع نصيب له بال من المال في التحصيل على ذلك ممن تملكه من الورثة المذكورين، ومنهم من فعل غير ذلك وفق ما ظهر له، والله عليم بذات الصدور، وفي هذا الكناش قلت:

إِنَّ هَــذَا كُنَّاشُنَا الـمَكْتُومُ * فَضْلُهُ فِـي طَرِيقِنَا مَعْلُومُ

كَمْ حَوَى مِنْ سِرٍّ كَبِيرٍ وَدُرٍّ * ضِمْنَ تِيجَانِ شَيْخِنَا مَنْظُومُ

قَدْ رَوَاهُ عَنِ التِّجَانِي الَّذِي أَبْـ * دَاهُ فِينَا وَكَأْسُهُ مَخْتُومُ

يَا لَهُ مِنْ سِفْرٍ عَظِيمٍ عَدِيمِ الـ * مِثْلِ وَالسِّرِّ طَيُّهُ مَرْسُومُ

فَاحَ طَيْباً مَا حَلَّ فِيهِ مِنَ السِّـ * رِّ وَهَلْ شَمَّ عَرْفَهُ مَزْكُومُ

لاَ وَحَقِّ الَّذِي بِهِ إِنَّ غَيْرَ الـ * مُسْتَحِقِّ لَهُ بِهِ مَحْرُومُ

إِنَّ لِلسِّرِّ غِيرَةً عَنْهُ تنْفِي * غَيْرَ صَاحِبِهَا وَذَا مَعْصُومُ

فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ صَاحِبَ سِرٍّ * إِنَّ صَاحِبَهُ بِهِ مَرْحُومُ

وَاكْتُمِ السِّرَّ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ فَالسِّـ * رُّ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ مَكْتُومُ

---

[1]- البيتان لمولانا علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما، وفيه صيغ عديدة مختلفة منها:

السر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

ما يكتم السر إلا كل ذي ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم

الكلام على كتاب جواهر المعاني

قد أشرنا لبعض ما يتعلق بهذا الكتاب الذي نحن بصدد التعليق عليه بما يفتح الله من المواهب اللدنية، ولقد حدثني شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رحمه الله بأنه بلغه عن الشيخ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه في بعض مشاهده على الإحتفاظ على هذا الكتاب لينفع الله به بعض الأولياء بعده.

وقد نظر إلي رضي الله عنه بنظرة كدت أن أغيب بها عن حسي، وقال لي: أرجو أن تكون منهم فتنتفع به وينفع الله به على يديك، مع كلام آخر لا ينبغي ذكره هنا. ولما شرعت في نظم[1] هذا الكتاب وأطلعته على ما ذكرته في كشف الحجاب استحسن ذلك، وبشرني بما اطمأن به الصدر ولله الحمد.

غير أنه أشار علي بترك إتمام ذلك النظم بما ذكرته في كتابي رفع النقاب[2]. وسأتعرض له بحول الله أثناء هذا الشرح الذي دفعتني يد المقادير لتأليفه، معربا فيه عن كل ما يستحسنه المعتقد، ويتعجب منه المنتقد، ويتخذه المنكر حجة على تأييد إنكاره،

---

[1]- هو نظم غير تام يزيد عدد أبياته على 250 بيتا، افتتحه بقوله:

الحمد لله على الإنعام	*	بنعمة الإيمان والإسلام
حمدًا يوافي سائر الألاء	*	في حالة السراء والضراء
والشكر دائما على إحسانه	*	وجوده وَجَوْدَةِ امتنانه
شكرا يليق بجنابه الجليل	*	ومنه نستوجب فضله الجميل

إلى أن يقول في مطلع المقدمة:

قال الإمام العارف الشعراني	*	في طبقات السادة الأعيان
إن طريق القوم عند القوم	*	قد شيدت على أساس العلم
فهي بالسنة والكتاب	*	قامت وما فيها من ارتياب
مبنية عند جميع الأوليا	*	على التخلق بخلق الأصفيا

إلى أن يقول في آخر هذا النظم غير التام:

وكل صوفي عندهم فقيه	*	لا العكس وهو ظاهر وجيه
وحاصل القول فإن المنكر	*	عليهم من أجهل الناس يرى
لولا المزية التي للقوم	*	لكان ذا بالعكس دون وهم

[2]- أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج (ترجمة العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم) 4: 128

بإفصاحي عما يختلج في صدره من الأوهام التي تزيد في أكداره، إلا إذا ساقته العناية، فألقى سلاح الإنكار، واستفاد من التسليم لأهل الله ما ينفعه في هذه الدار وتلك الدار.

وقد ظهر لي أن أقدم الكلام أولا على ما تمسك به المنتقدون على هذا الكتاب في انتقاداتهم التي أبداها الباحثون عن العورات منهم، وأختصرالمقال في هذا المقام معهم قبل أن أنقل ما مدح به هذا التأليف الجليل، ثم نرجع بعد ذلك لإتمام الكلام عليه، ويتم المقصود هنا في مقاصد.

المقصد الأول فيما انتقد به على كتاب جواهر المعاني

قد انتقد بعضهم على كتاب جواهر المعاني بأنه منتحل من كتاب المقصد الأحمد في التعريف بسيدي ابن عبد الله أحمد[1]، تأليف العلامة الشهير أبي الطيب سيدي عبد السلام ابن الطيب القادري. وهذا الكتاب جل عبارته من الخطبة وغيرها مأخوذ باللفظ في تأليف جواهر المعاني، فهو تأليف الغير في غير الشيخ التجاني رضي الله عنه. فكان من حق مؤلفه أن ينبه على أنه انتحله من تأليف الغير حتى لا يقع الإنتقاد عليه من هذه الحيثية.

ولقد أكثر المنتقدون الكلام في هذا الشأن الذي شانوا به وجه هذا الكتاب، وما قصروا من

[1]- كتاب المقصد الأحمد، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد، للعلامة سيدي عبد السلام القادري، طبع على الحجر بفاس، ووافق الفراغ من طبعه منتصف شهر جمادى الثانية سنة 1351 هـ، وهو في جزءين، يقع الجزء الأول منهما في 180 صفحة، أما الثاني فهو في 200 صفحة، تحدث فيه مؤلفه عن شيخه العلامة العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن، فافتتح الكتاب بخطبة، ثم تناول بعدها تراجم والدي الشيخ المذكور ونسبه وعشيرته الأقربين إليه، كما تحدث عن شيوخه ونشأته وتصوفه، وعن مراحل تعليمه وأخذه لطريق القوم، ثم انتقل منها للحديث عن سيرته وأخلاقه، وما له من مواجد وأحوال ومناقب، وما أجرى الله على يديه من كرامات، كما ساق في الوقت نفسه جملة وافرة من القصائد التي قيلت فيه، وختم الكتاب بتراجم موسعة لبعض كبار شيوخه، كوالده الشيخ محمد ابن عبد الله، وسيدي قاسم الخصاصي، وسيدي مبارك الكواش وغيرهم.

التهويل في هذا الباب[1]، ولقد أثر كلامهم في عقول بعض الإخوان، ممن كانوا متمسكين بحبل الطريقة، فانقطعوا بما داخلهم من الارتياب، من غير تثبت منهم في الأمر الذي أبداه لهم المنتقدون على ما كانوا يعتقدوه.ومن لم يكن في نهجه متثبتا على قدم الإخلاص في الحب يسقط

وحيث كان هذا الانتقاد يحتاج في تحقيقه وتوهينه إلى بسط كلام بلسان مبين عن هذين الأمرين تعين علينا أن نحصر المادة هنا في بساطين على سبيل الإختصار فنقول:

البساط الأول في تحقيق الإنتقاد بانتحال جواهر المعاني من كتاب المقصد الأحمد

كنت أولا أشك في انتحال الكتاب المذكور، طبق ما كنت أنزه به ساحة مؤلفه الذي استعان على تأليف هذا الكتاب من استعان به عليه، غير أني كثيرا ما كنت أتعجب من حسن تأليفه، وعجيب تراكيبه، وبديع ترتيبه، مع تحقق أمية مؤلفه التي كانت تظهر في بعض الجمل التركيبية، فكنت أقضي العجب من ذلك،

ولم أستبعد كون ذلك العبارة أهون شيء على المفتوح عليهم، وإن كانوا من الأمية بمكان، حتى تحقق عندي انتحال جل ما لا مسيس له بالطريقة الأحمدية التجانية من فضائل وأذكار وأسرار وأجوبة الشيخ رضي الله عنه. فكانت الخطبة وبعض فصول الكتاب مما ينطبق على أحوال الشيخ رضي الله عنه ويوافق سيرته.

---

[1]- يُذْكَرُ أنَّ أحد العلماء المغاربة الذي زامنوا هذه الفتنة (لا داعي لذكر اسمه) وكان من المنكرين على الطريقة التجانية، حاول تدبير مؤامرة في الخفاء ضد الطريقة المذكورة، فاتفق مع فقيه آخر مُنْكِرٍ مثله على أن يذهبا معا لمصر، بغية طباعة كتاب المقصد الأحمد وعلى هامشه كتاب جواهر المعاني لسيدي الحاج علي حرازم، وذلك بهدف إثارة النواعر، وبث الترهات والأكاذيب، وإدخال البلبلة بين مريدي الطريقة المذكورة.

فذهبا فعلا إلى مصر، وعرضا الكتابين على كثير من مطابع القاهرة والإسكندرية، غير أنهما أصيبا بخيبة أمل كبيرة، وذلك بعدما رفضت جل المطابع أن تلبي طلبهما بطباعة الكتابين المذكورين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حصل بين الرجلين تشاجر ونزاع مرير، أفضى إلى قذف وسب وشتم وتكفير بعضهما بعضا.

فرجعا للمغرب خائبين في غاية الإحباط والنذالة، ثم ألَّفَ كل منهما كتابا ضد الآخر، ينكر عليه ويقدحه ويظهر عوراته، ويصفه بأبشع الصفات، وقد ذهب الله بنور هذين الفقيهين، اللذان أرادا بكتاب جواهر المعاني سوءا، فساء حالهما، وأصابتهما لعنة الكتاب المذكور، فباءا بالخسران المبين، وقد توفيا كلاهما خارج وطنه (المغرب) وهم في أبشع ما يكون من صور الذل والإنحطاط والخيانة.

وقد ساق ذلك مرتبا تأليف جواهر المعاني على حسب ما ظهر له مما استهون نقله من غير عزو من مؤلفه الأول لمن نقله فيه ثانيا، حسبما سيتضح في البساط الثاني. ولقد عثرت على ثلاث نسخ من المقصد الأحمد، وبين كل واحدة منها تخالف بيسير، النسخة الأولى من المقصدالأحمد أطلعني عليها العلامة السيد محمد الفاطمي بن محمد الشرادي[1] في حدود سنة 1317هـ، حين أطلعه عليها الفقيه السيد محمد ابن الحبيب الفيلالي الأمغاري الدرقاوي[2].

وهي أول نسخة رأيت من هذا الكتاب، فقابلتها مع جواهر المعاني التي بيدي فوجدتها موافقة لها في جل الخطبة وبعض الفصول. ولكن لم أكن ملتفتا لأهمية ذلك، حيث أنه لم

---

[1]- محمد الفاطمي الشرادي، فقيه قاض، من مواليد مدينة فاس عام 1285 هـ، توفي يوم الأربعاء 19 صفر الخير عام 1344هـ ودفن مع شيخه سيدي أحمد بن الخياط في زاوية سيدي يحيى بالرميلة بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

أفي كل يوم تعتريك نوائب * وأنت بها عما نوت بك غائب

إلى أن قال :

و كم من مصائب تحملت رزءها * و إن المصاب اليوم فيه مصائب
نعى البرق لي الفاطمي و ليتني * نعيت إليه و هو لي كان نادب
لقد كدت أن يغمى علي بنعيه * فيا برق خبرني فهل أنت كاذب

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 32. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للمؤلف نفسه 122. النتائج اليومية في السوانح الفكرية، للمؤلف نفسه ص..... رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 35. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 188_189. إتحاف المطالع، لابن سودة....... سل النصال، للمؤلف نفسه....... .معلمة المغرب 16: 5324.موسوعة أعلام المغرب 8: 2947. زهر الآس في بيوتات أهل فاس 1: 540.

[2]- محمد بن الحبيب الفيلالي الأمغاري فقيه مدرس من حفدة الشيخ علي بن حساين دفين قصر أولاد يوسف بتافيلالت أحد حفدة الولي الصالح سيدي عبد الله بن احساين صاحب زاوية تامصلوحت.

درس العلم بجامع القرويين بفاس ثم استوطن مدينة مكناس وأخذ التصوف عن جماعة من أعلام عصره كمحمد بن عبد الواحد لحلو والشيخ ماء العينين الشنقيطي وتلميذه أحمد الشمس وغيرهم.

توفي بعد عام 1372 هـ 1953م. أنظر ترجمته في معلمة المغرب 3: 771. سل النصال لابن سودة (مخطوط). إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، لمحمد بن الفاطمي السلمي 174.

يقع كبير اهتمام بذلك لعدم قيام المنتقدين بها في ذلك الحين، مثل قيامهم في هذه الأيام الأخيرة.

وقد كان أخبرني محل الأخ البركة سيدي محمد بن العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي[1] بأن هذه النسخة من المقصد كانت حلت بيد المقدم البركة الخطيب الأسعد الأصعد سيدي علال الفاسي[2]، وقابلها مع جماعة من أعلام هذه الطريقة بكتاب جواهر المعاني، فوجدوا الموافقة حاصلة فيما لا مسيس له بالطريقة وأركانها، ولا فيما يرجع لكلام الشيخ رضي الله عنه وأجوبته وأموره الخاصة به، وإنما الخطب سهل في نقل الخطبة وما هو موافق لأحوال الشيخ رضي الله عنه، وما يناسب مقامه العالي من كل ما يليق به. بحيث لم ينسب إليه إلا ما كان متصفا به ومتحليا به من جميل الأوصاف مما لا أهمية تحته عند الإنكار به عند المنصفين

---

[1]- الفقيه سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن قويدر العبدلاوي، ولد بقرية بعين ماضي عام 1265 هـ وتربى في دار الشيخ رضي الله عنه بالقرية المذكورة، وهو رضيع حفيده مولانا البشير بن سيدي محمد الحبيب رضي الله عنهما، حفظ رحمه الله القرآن الكريم بعين ماضي على الفقيه سيدي الحاج الحشاني الزيدي النعمي، والفقيه الحاج مبارك الفيلالي، وأتم حفظه وتجويده على الفقيه الشيخ ابن عاشور الجزائري. ولما استوطن مع والده بفاس تعاطى بها لطلب العلم، فقرأ عن عدة شيوخ منهم القاضي مولاي محمد العلوي، والعلامة ابن عبد الواحد بن سودة، والقاضي سيدي الهادي الصقلي وغيرهم، وأخذ رحمه الله الطريقة التجانية عن والده المقدم الشهير سيدي أحمد العبدلاوي سنة 1288 هـ، ثم كتب له الإجازة فيها عام 1305 هـ، وكانت وفاته بمدينة صفرو في ليلة الأربعاء 3 شعبان الأبرك عام 1349 هـ، ونقل جثمانه الكريم لمدينة فاس حيث دفن بجانب قبر والده بروضة سيدي الطيب السفياني بباب عجيسة. أنظر ترجمته في رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج ص 131.

[2]- الفقيه العلامة الخطيب، المقدم الأجل، أبو الحسن سيدي علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري، من نسل العارف بالله الولي الشهير سيدي عبد القادر الفاسي، كانت له رحمه الله حملات على الأجانب الأروبيين، وذلك من خلال خطبه المنبرية الشهيرة، ومنها خطبته التي ألقاها بمحضر السلطان مولانا الحسن الأول تحت عنوان: إيقاظ السكارى، المحتمين بالنصارى، أو، الويل والثبور لمن احتمى بالبصبور، Passeport ، وكانت وفاته رحمه الله عند زوال يوم الجمعة 12 جمادى الأولى عام 1314 هـ، ودفن خارج باب الفتوح بقبة مجاورة لقبة أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 219، وانظرها كذلك في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 67. وفي نخبة الإتحاف، لنفس المؤلف، رقم الترجمة 154. وفي الأعلام، للزركلي ج 4 ص 246.

وقد راجعت هذه القضية بين من ذكر في أواخر القرن الماضي بنحو الثلاثين سنة، فانقطع بذلك عمن كان يبحث عن حقيقة الأمر في ذلك ما كان حصل من التشويش بين الإخوان.

وقد كان بلغ الأمر للولي الصالح سيدي العربي بن السائح[1] رحمه الله ولم يبلغنا عنه شيء في نقض عرى هذا الانتقاد، وكأنه لم يعثر على المقصد الأحمد المذكور. فلم يلتفت إلى

[1]- سيدي محمد العربي بن السائح، من مشاهير أعلام الطريقة التجانية، ولد بمدينة مكناس عام 1229 هـ، وتوفي بالرباط ليلة الأحد، في الساعة العاشرة منها، منسلخ رجب عام 1309 هـ، ودفن برياضه بمحل قراءته للحديث الشريف. أنظر ترجمته في الإغتباط بتراجم أعلام الرباط، لمحمد بوجندار 417- 426. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان 5: 429- 438. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 73-76. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 8: 2788. الأعلام للزركلي 6: 265. ختم صحيح البخاري، لأحمد بن موسى السلاوي (مخطوط خاص) رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 308. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 40- 124. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لابن محم العلوي رقم الترجمة 27. كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب 313- 328. حديقة المنى والأماني، في ترجمة سيدي العربي العلمي اللحياني. رسائل معلمة معالم سوس الفقيه أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 25. صبح الولاية اللائح، بترجمة عالم الطريق سيدي العربي بن السائح، للعلامة سيدي محمود ابن المطمطية (مخطوط خاص) معجم المطبوعات، لإليان سركيس 1319، معجم المؤلفين 6: 278، فتح الملك العلام، بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لمحمد الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 44 . نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، لنفس المؤلف، رقم الترجمة 136، معلمة المغرب 14: 4832-4833. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين (الرباط وسلا) لعبد الله الجراري 2: 368-371، نبذة مختصرة في التعريف بأبي المواهب والمرابح مولانا العربي ابن السائح، للأستاذ محمد الأمزالي (مطبوع) كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي (مخطوط خاص) كناش الفقيه أحمد بن قاسم جسوس (مخطوط خاص) الزهر الفائح في ترجمة أبي المواهب سيدي العربي بن السائح، لمحمد بن أحمد التريكي (مخطوط خاص) لوامع أنوار، وفيوض أسرار، وشموس وأقمار، للعلامة سيدي محمد الحجوجي 56. نسمات القرب والإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، لنفس المؤلف36 كناش العلامة عبد الهادي أطوبي (مخطوط خاص) كناش العلامة القاضي أحمد بن محمد بناني الرباطي (مخطوط خاص) الدر الثمين من فوائد الأديب بلا مينو الأمين، للعلامة سكيرج (مخطوط خاص) الخواتم الذهبية على الأجوبة القشاشية، للعلامة سيدي الحاج الحسن الإفراني.

الانتقاد من أصله، اعتمادا على ما بلغه عن المقدم المذكور وجماعته الذين حققوا المناط في كون ذلك لا يضر[1].

غير إني سمعت سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه يقول: إن الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رحمه الله كان يشدد النكير على من طبع جواهر المعاني. وكنت أفهم أن موجب ذلك التشديد أمور منها أن الطبع يقضي بانتشار نسخ الجواهر بيد المعتقد والمنتقد والمحب والبغيض، والناس في ذلك الحين سمعوا عنها ما سمعوا من الانتحال، فيكثر بانتشارها القيل والقال، وبمراجعتها مع المقصد الذي كان الناس الذين أشاعوا أمره في ذلك الوقت، فلربما يجر ذلك إلى فتنة بين الإخوان وبين غيرهم إلى ما لا تحمد عقباه.

ومنها كون جواهر المعاني كتاب خاص بطريقة خاصة، ينبغي أن لا يكون إلا عند أهله ومن ضاهاهم، ممن لا يحصل عليه إلا ببذل مال له بال في شرائه أو نسخه، فلا يكون مبتذلا عند كل أحد بخلاف حالة طبعه، فإنه يسهل تناوله لكل أحد ممن يستحقه ومن لا يستحقه من المعتقدين والمنتقدين،

وقد كان شأن المنكرين في خمود بعد اشتعال، فبنشر هذا الكتاب بالطبع في ذلك الحين فيه نوع من تحرك إيقاد ما نام من الفتن، والغالب على الظن أن الموجب القوي هو الأول الذي أتخليه الآن من حالة إخبار سيدي ومولاي أحمد المذكور لي بما ذكر، وهو يوجب

---

[1]- كان العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح على اطلاع وثيق بالمسألة المذكورة، غير أنه لم يعطيها حجما أكبر من الحجم الذي تستحقه، وقد وُضِعَ عليه سؤال في هذا الصدد من طرف بعض علماء فاس، فأجابه بكلمة جامعة فاصلة، مفادها: المراد بالبرتقال لُبُّهُ لا قشوره. بمعنى أن المدار في كتاب الجواهر على أجوبة سيدنا الشيخ رضي الله عنه وإملاءاته ودعواته ورسائله ونصائحه وفتاويه وأوراده وآدابه وتوجهاته، وليس على خطبته ومقدمته وعناوين فقراته، أو ما جاء فيه من شواهد أدبية وأشعار جميلة.

والمعروف عن الولي الصالح المذكور أنه كان يحفظ كتاب الجواهر حفظًا جيدا تاما، بحيث أنه كان على اطلاع بشتى تفاصيل هذا الكتاب، يستظهره، ويعرف سائر محتوياته، ولو من عداد حروف الجر والإضافة وأسماء الإشارة وما إليها، كما كان يعرف كتاب المقصد الأحمد في التعريف بابن عبد الله أحمد، وقد أشار إليه في بعض تقاييده.

خوض الناس في إحياء ما مات من انتقاداتهم بهذا الانتحال الذي لا يعرف حقيقته إلا من كان ذا قدم في الطريق ولا يتضرر بأهل الإعتراض وأهل التصديق.

النسخة الثانية من المقصد الأحمد قد عثرت عليها بمكتبة الشريف سيدي عمر بن شيخنا بركة الوقت أبي العباس سيدي أحمد بن الخياط الحسني الدرقاوي[1] طريقة، وهي ثاني نسخة عثرت عليها بعد ذلك بزمن يسير، حيث أنه تحرك بباطني هاجس لم يمكني معه التصديق بكون النسخة الأولى صحيحة، وإنما خيل لي بأن بعض المبغضين أخذ جواهر المعاني وأفرغها في قالب المقصد المذكور، على عادة المنتحلين الذين يقصدون الإنتقاد بذلك على من أحبوه، كما وقع في قضايا كثيرة من هذا الباب.

وهذا وإن كان بعيدا وقوعه هنا و لكن كان داخلني من ذلك الهاجس ما كدت أن أجزم به، فصرت أبحث على نسخة ثانية من المقصد تكون قديمة في الجملة، حتى عثرت عليها عند هذا السيد، وهو ممن له رغبة في إشهار أمرها، تنكيتا على مؤلفها، وطعنا في أساس هذه الطريقة عفا الله عنا وعنه، فأطلعني عليها في محله، ولم يتركها بيدي، خشية أن أضيعها طبق ما ظهر له من حرصي عليها،

وكان قصدي هو التحقق التام بمطالعتها، ومقابلتها مقابلة تحقيق، فلم يمكن لي ذلك من هذه النسخة، ولكن زال عني ذلك الهاجس حين اطمأن الصدر بوقوفي على هذه النسخة، و هي أقدم من النسخة الأولى حسبما ظهر لي ذلك من الخط وتَلاشي الكاغد في الجملة، فتحققت بكون المقصد الأحمد لا محالة أنه موجود على الوصف المذكور، وإن كنت لم أكتف من قبل على ما وقفت عليه في بعض المتأخرين من النقل عنه، ولا بالنسخة المشار لها.

---

[1]- عمر بن العلامة أحمد بن الخياط الزكاري، فقيه، له اهتمام بشؤون الطباعة والنشر، وعلى ذِمَّتِهِ طُبِعَتْ مجموعةٌ من الكتب الفقهية وغيرها، وذلك بالمطبعة الحجرية بفاس، نذكر منها كتاب الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، للعلامة أكنسوس، وكان شديد العداوة لطريقتنا التجانية، ولا يفوتنا التنبيه على أنه كان زعيم الفتنة التي أقامها بعض علماء القرويين ضد كتاب العارف بربه العلامة سيدي مَحمد بن عبد الواحد النظيفي عام 1343 هـ- 1925م، وكان العلامة سكيرج يُدَارِيهِ في وَجْهِ والده العلامة سيدي أحمد بن الخياط، الذي هو من جملة شيوخه في العلم، وكثيرا ما كان ينبهه من مغبة الوقوع في أعراض أولياء الله تعالى، ويقول له: دَعِ الناسَ لخالقهم. إهـ. لكن : إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء.

النسخة الثالثة وهي أول نسخة نسخت من مبيضة مؤلفه بتاريخ 10 ربيع النبوي عام 1194 هـ بهامشها بعض الطرر بخط يد العلامة سيدي العربي القادري[1] أخي مؤلفها رحم الله الجميع. وقد اشتريت هذه النسخة بوزنها فضة لاغتباطي بها، فتم لي المراد بمطالعتها ومراجعتها مع ما اشتمل عليه جواهر المعاني، حتى أحطت علما بما في ضمن الكتابين من موافقة ومخالفة،

وتحققت بأن ما انبنى عليه الكتاب لا يضر، لكون ما نقل منه إنما هو الخطبة ونحوها، مما لا بأس بنقله من غير انتساب، والخطب فيه سهل عند أولي الألباب. كما سيتضح ذلك بحول الله في هذا الكتاب، وقد اعتمدت على هذه النسخة في إصلاح النسخة من جواهر المعاني التي أنا بصدد شرحها، منبها على ذلك عندما يعرض الكلام على ما ينبغي التنبيه عليه والتنبيه له إتماما للفائدة.

البساط الثاني في توهين هذا الإنتقاد، الذي أراد به مورده التشويش على أهل الإعتقاد

قد قابلت بنفسي هذه النسخة القديمة بنسخة جواهر المعاني مقابلة من يريد الوقوف على عين الحقيقة، فوجدتها موافقة في الخطبة وترتيب جل الأبواب، مع تغير يسير، غير أن ما يتعلق بالطريقة وبأجوبة الشيخ رضي الله عنه فإنه على حدته، كما انفرد المقصد المذكور بما يتعلق بحال الشيخ المؤلف فيه رضي الله عنه وبأجوبته وتراجم شيوخه على حدة أيضا غير ما حصلت فيه الموافقة في حال الشيخين معا فيما كانا متخلقين به، وما كان يقولانه في غالب الأحيان فهو مذكور باللفظ مع اختصار أو زيادة مناسبة للمقام

[1]- العربي بن الطيب بن محمد القادري، فقيه مؤرخ نسابة، من أعلام مدينة فاس، تصوف على يد الشيخ أحمد بن عبد الله معن، وكان ملازما له طيلة مدة تنيف على عشرين سنة، من مؤلفاته: الطرفة في اختصار التحفة (أي التحفة الصديقية في الطائفة الجزولية والزروقية) للمهدي الفاسي.

توفي سنة 1106 هـ بعد مرض عضال لم ينفع معه علاج، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، جوار ضريح الولي الصالح سيدي أحمد اليمني، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري. سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 389 رقم 801. معلمة المغرب 19: 6573. الأعلام، للزركلي 4: 224. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 194-195. موسوعة أعلام المغرب 5: 1831-1835.

ولقد قدرت الزيادة المأخوذة من هذا المقصد بنحو ثلث جواهر المعاني، وهذا الثلث لا مسيس له بالطريقة، وقد نبهت على هذا كله وقوفا مع الإخبار بالواقع[1]، حتى كأن المطالع لهذه السطور قابل بنفسه هذين النسختين، فلم يبق له شك في مشاهدة ذلك، وبتحقق هذا يكون المتحقق لهذا الأمر صاحب حال من أربعة أحوال.

الحال الأول من الأحوال التي تنزل بالمتحقق من أهل الطريقة التجانية بكون جواهر المعاني قد اشتملت على نحو الثلث من المقصد الأحمد

يداخل المتقلد بقلادة عهد الطريقة التجانية عندما يتحقق بهذا إن كان من ذوي الصدق في الجناب الأحمدي حال يقضي عليه باعتقاد أن هذا الأمر لا يضر الطريقة، ولا يحط من قدر هذا الكتاب المؤلف فيها، لأن المقصود منه ما كان عليه الشيخ رضي الله عنه من أحوال، وجمع بعض ما فاض منه من علوم وأسرار مما هو منوط بالطريقة، وذكر بعض كلامه ورسائله وأجوبته، كيف ما تأتى لمؤلفه جمع ذلك، وقد اختار أن يرتبه ترتيب ذلك المقصد، حيث راق بين عينيه جمعه، وَحَسُنَ لديه وضعه.

فأفرغ إبريزه في قالبه، ونظم جواهره في سلوكه، على حسب الحال التي داخلته من شدة محبته في هذا الشيخ الذي قضت عليه محبته أن يرى كل جميل وكل ما حسن ولو كان لغيره فهو لا يراه إلا منه وفيه، ولا يليق إلا به، فهو مغلوب بحال المحبة أن يقول هذا لا يناسب إلا شيخي، فيصدح على أفنان مدحه بما مدح به الغير، ولا يبالي بما وراء ذلك من

---

[1]- لا تتعدى أوجه التشابه بين الكتابين نص الخطبة، وهي الأربع صفحات الأولى من الكتاب، بالإضافة لاتفاق الكتابين في النسق والترتيب وعناوين الفقرات، أما من ناحية المضمون فهناك بون شاسع بين هذا وذاك، فقد انصرف صاحب كتاب جواهر المعاني في جزءه الأول للحديث عن ترجمة شيخه أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه، مع تراجم بعض شيوخه، لكن في قالب مغاير للنظام المتبع في كتاب المقصد الأحمد، وليس في هذا الحيز أي وجه للتقارب بين الكتابين، لا في المنهجية ولا في المضمون.

مع العلم أن صاحب كتاب جواهر المعاني ساق في جزءه الأول أيضًا كثيرا من أجوبة الشيخ ومقالاته وأذكاره ودعواته، مع مجموعة من تفسيراته لبعض الآيات القرآنية، كما تطرق في الجزء الثاني لرسائل الشيخ رضي الله عنه وشرحه لبعض الأحاديث النبوية ونصائحه وفتاويه، وهو شيء لا وجود له تمامًا في كتاب آخر، لا في المقصد الأحمد ولا في غيره، وهذا الشيء هو مرادنا من كتاب جواهر المعاني، وهو أيضا الذي تدور عليه شؤون طريقتنا وأصولها، وليس على الخطبة أو ما كان في معناها من بعض الأشعار والأبيات البديعة.

إقبال أو إعراض أو تسليم أو اعتراض، طبق ما يحصل في ذلك من أغراض، لأنه قد وافق هواه، وهو ما تمناه.

الحال الثاني من هذه الأحوال التي تعتري المتحقق من أجل هذه الطريقة بهذا الأمر أيضا

يحصل للمطلع على ذلك حال قد تفضي به إلى إنكار هذا من أصله، ويستحيل وقوعه، ولكن هذا الحال لا إنصاف معه، فلا كلام مع صاحبه، لعدم ضبطه لما يصدر منه في هذا الموضوع، فاجتناب الخوض معه فيه أولى من الكلام معه فيه، لا فيما يرجع للمناضلة عمن حمى الطريقة، ولا فيما يرجع لغيرها، فهو في حاله كالمجذوب الذي يتعين الفرار منه.

وقد شاهدنا هذا الحال في بعض خاصة الأحوال، غيرة منهم على هذا الجانب الذي كادوا أن يعتقدوا فيه أنه لا يصدر منه خلاف ما يعتقدون، وهذا منهم غلط فادح، إما لجهلهم أو لتجاهلهم، ولكن انقيادهم لغلبة الحال المتجلي عليهم قد يقضي بعدم المؤاخذة عليهم، لأن صاحب الحال مسلم له في حاله عند ذوي الإنصاف، ولا ينبغي له أن ينكر على العالم بحقيقة الأمر إن أنصف في ميدان المناضلة عن جانب الطريقة بما يقضي عليه من الإنتصار للحق والذب عن الحق بلسان الصدق، سيان كان المتكلم في هذا الموضوع تجاني الطريق، أو غير متمسك بحبل الطريق من كل فريق.

الحال الثالث من هذه الأحوال التي تطرأ على بعض المريدين عند لحوقهم بهذا الأمر

يحصل لبعضهم حال ينزعج بها فلا يضبط ما يصدر منه حال الغلبة عليه حتى ينسى الطريقة وما انبنت عليه، فينقطع حبله من حبلها، ويصبح في عين القطيعة، ولا تسأل عما يقع هناك من سوء الحال، وكثرة القيل والقال، ويستولي عليه ما يعتري أهل الجدال، وينتصر عليه المنتقدون عليه بذلك، فيزينون لهم الوقيعة في مؤلف الجواهر المذكور، فيطلق لسانه بالسب وما جرى مجراه، وذلك مراد الشيطان من المنقطع عن الطريقة، فيمسح بيديه على وجهه ويقول: قد ظفرت منك بالمراد، فهذا وجه لا يفلح أبدا.

وقد وقع في هذه المصيبة جماعة ممن كانوا منتسبين لهذه الطريقة، فنحن نراهم اليوم قد رفضوها ودخلوا في حزب المنتقدين، وهم في غمرة البغض منقلبون على أدبارهم، ولا يشعرون بالمكر الذي احتف بهم بسبب انقطاعهم وإنكارهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد[1].

وقد تقرر في طريقتنا أنها غير متوقفة على اعتقاد ما هو مدون في كتبها من كل ما يرجع للفضائل والكرامات، ونحو ذلك مما لم تنبني هذه الطريقة عليه، وإنما الطريقة عندنا التزام الأذكار اللازمة بأركانها المبينة عليها من امتثال الأوامر واجتناب النواهي، على حسب الطاقة،

ولو استحضر المسكين الذي اشمأزت نفسه من جواهر المعاني بسبب ما تراءى له فيها هذا ما أفضى به الحال إلى هذا الانقطاع، ولنسب لنفسه الجهل الذي هو أقبح الطباع، ولم ينهج منهج المنتقدين بما لم يحط به خبرا، ولا اطلع على ما انطوى تحت هذا الأمر من الآية الكبرى، التي تحقق بها أهل المعرفة وخاصة أهل هذه الطريقة، وذلك أن الحق تعالى جعل من الصوارف التي تصرف الناس عن الطرق التي ليس هم من أهلها بعد أن انحاشوا

---

[1]- انسلخ عن الطريقة التجانية إبان نشوب هذه الفتنة جماعة من الأشخاص، لعل من أبرزهم الفقيه محمد الفاطمي الشرادي، ومحمد بن عبد القادر الهلالي، ومحمد بن العربي العلوي، وغيرهم من المغرورين أو المُغَرَّرِ بهم، والحق أن هؤلاء لم يكونوا معتقدين في هذه الطريقة، أو متمسكين بها على الحقيقة، وإنما كانوا فيها على طرف، إن أَصَابَ أحدَهُمْ خيرٌ اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

وقد جهر بعض هؤلاء المذكورين بشديد العداوة للطريقة التجانية، وَسَطَا البُغْضُ إلى قلوبهم، وانطبع في أفئدتهم، فأفاضوا في إلقاء الشبهات والتشكيكات التي تزيغ العوام وضعفة العقول والأفهام عن معتقدهم الصحيح، وتقودهم إلى الإنكار والتعطيل والإعوجاج عن سواء السبيل.

ومما يذكر عن العلامة الولي الصالح سيدي العربي المحب العلوي أنه كان شديد الكراهية للفقيه محمد الفاطمي الشرادي، منذ ولوج هذا الأخير للطريقة التجانية عام 1313 هـ، فكان لا يوَدُّ مجالسته ولا مصافحته، ويعرض عنه، ولا يقيم له أي وزن، وكان بعض ساداتنا الفقراء يتعجبون من ذلك، ويسألون عن موجب ذلك الإعراض، وكان كلما التقت عينه بعين الشخص المذكور يقول:

مَا أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ بَلْ مَا أَقَلَّهُمُ * اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدَا

إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا * عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لاَ أَرَى أَحَدَا

إليها تزيين الشين في العين، وتقبيح الزين بما يتراكم على القلب من الغين، فيحصل الإقبال أو الإدبار، والإتصال والانقطاع وفق ما قضاه وأبرمه في حق كل فرد من المخلوقين، وكل يعمل على شاكلته، بما يسر له من الأمر الذي لا محيد له عنه.

وقد ظهرت فتنة الخوض في هذا الكتاب بما أفضى بقوم إلى الانقطاع، وبقوم إلى التمسك القوي الذي ما ازداد بهم إلا تمكنا في الطريق، بعد وقوفهم على عين التحقيق، فكان ذلك غير مضر في الجهر والسر، لوضوح الأمر كما لا يخفى على الناقد البصير.

الحال الرابع من هذه الأحوال التي تنزل بمن اطلع على هذا الأمر، وتحقق به في السر والجهر

قد يعتري المطلع على هذا الكتاب حال تقضي عليه بأن ينكر على الخائض في هذا ويقول: إن الخوض في مثل هذا ولو على سبيل الرد فيه ترويج ما يأخذ بالنفوس الضعيفة من الإخوان، ممن ينقطعون بسبب ذلك عن الطريقة، أو بالأقل إساءة الظن بالمتكلم في هذا الأمر سواء كان محقا أو مبطلا، وينشد لسان الحال منه في النكير:

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقاً وَإِنْ كَذِباً * فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلاَ[1]

فالأولى ترك الخوض مع الخائضين في ذلك وعدم التعرض له في كتب الطريقة، وهذا الحال من قبيل الحال الثاني، فلا إنصاف مع صاحبه، وبيان ذلك أن الوقت قاض بالنظر إلى أهله بعين اعتبار واستبصار، فتنظر بعين الإعتبار الأولى إلى أحوالهم فيسلك على مسلك السلامة بتنقية الشوك والأذى عن المحبة وتنبيههم عليه، حتى يروه فلا يطؤوه عليه، ويوسعون خطاهم حتى يتخطون للصواب، ويدخلون إليه من كل باب، فيقدرون قدر

---

[1]- البيت للنعمان بن المنذر، من أبيات ثلاثة رد بها على الشاعر لبيد بن ربيعة، بعدما أرسل له هذا الأخير أبياتا منها قوله:

لئن رحلت جمالي إن لي سعة * ما مثلها سعة عرضا ولا طولا

فكتب إليه النعمان بقوله:

شرد برحلك عني حيث شئت ولا * تكثر علي ودع عنك الأباطيلا

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا * فما اعتذارك من قول إذا قيلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة * وانشر بها الطرف إن عرضا وإن طولا

من أنصف معهم لينصفوه، ويتحققون بأنهم قد اعتبرهم فيعتبروه، وينظر بعين الاستبصار الثانية إلى أحوالهم من كون الشخص لا ينقاد إلا للمحجة في كل محجة، فلربما ألقى ذلك على ضعفاء الإخوان. وهو الواقع الآن، فلا يجد أفقههم ما يرافع به عن الجناب جوابا ينظر إليه بعين الصواب،

فأحرى أن يجاوب عنه غيره ممن لا يعرف الإيراد، فضلا عن الجواب في الحال أو في الاستقبال، فترويح الكلام في هذه المسألة أولى من السكوت عنها عند من تحقق الأمر، وعرف أن القوم لا يذعنون إلا بقاطع البراهين التي لا يبقى معها احتمال، سيما والطريقة زائدة في الانتشار، موعود من باب الفضل المضمون لصاحبها بالإنتصار.

ومن هذه الحيثية يعلم المطالع لهذه الأحرف أننا لم نخض في هذا الأمر إلا عن إذن خاص، فنحن نتكلم هنا عن حال ووجدان، لا عن تخمين وتهويس مقال، ولزيادة إقناع المنتقد وإقماعه في بساط توهين انتقاده نأتي هنا بالإستدلالات على أنه لا بأس بما فعله مؤلف الجواهر من أخذه من المقصد الأحمد ما يناسب غرضه في تأليفه جواهر المعاني، وهو واضح للعيان.

الاستدلال الأول على أنه لا بأس بأن يأخذ مرتب جواهر المعاني من المقصد الأحمد ما يناسب الغرض المطلوب من هذا المطلب

قد جرت العادة بين الناس من قديم أن يأخذ البعض عن البعض في مؤلفاتهم بالمعنى فقط، أو باللفظ والمعنى، أما بالنسبة عن المنقول عنه فكثير، وأما بعدم نسبته فكذلك، حتى أن منهم من أخذ الكتاب كله وسلخه عن مؤلفه الأول ونسبه لغيره، ولهم في ذلك أغراض لا غرض لنا في البحث عنها، ولكن القصد عندنا الآن الإستدلال على أن أخذ الكتب عن مؤلفها الأول ونقلها إلى مؤلف قد شاع منذ عهد قديم.

وقد نحى هذا المنحى جماعة ممن يعتد بهم ويعتمد عليهم في باب الاقتداء بهم في هذا العمل الذي سوغ للمتأخر التأسي بمن مضى منهم، ولو ذكرنا هنا ما عثرنا عليه من المأخوذ عنهم مع ما نسب لغير مؤلفه الأول لاحتجنا إلى البسط الممل، وسنفرد فصلا

خاصا لهذا الموضوع باختصار، ليعلم أن ما سلكه في الجواهر خطبة غير جلل، وليس في ذلك من خلل، والله المسدد في القول والعمل.

الاستدلال الثاني على أنه لا بأس بما سلكه في كتاب جواهر المعاني من هذا المقصد لكونه بإذن خاص

نحن لا نقول بأن أخذ التأليف من مؤلفيها ونسبتها لغيرهم من الأمر المستحسن، وإنما نستهون الإستعانة بها في ترتيب أو تبويب، خصوصًا إذا كان ذلك بإذن خاص كما وقع لمؤلف جواهر المعاني، فقد كان بلغنا عن سيدنا رضي الله عنه أنه أمر أولا بحرقها وتمزيق ما ألفه منها مؤلفها، وبعد مدة أمر بجمع ما بقى منها طبق ما حكاه مؤلفها في أولها[1]، وخفي سبب ذلك عن جل الأحباب،

أما نحن فقد اطلعنا على سر ذلك في هذه الأيام الأخيرة، حيث ظهر أن ترتيبها كان على تأليف المقصد الأحمد، فلم يمكن لسيدنا رضي الله عنه أن يقر مؤلفها على ذلك الترتيب،وأمر بحرقها وتمزيقها، حتى حصل الإذن الخاص من الحضرة المحمدية في المشاهدة الخاصة، حيث قال للشيخ رضي الله عنه: "هو كتابي وأنا ألفته[2]".

فلا جرم أن ترتيبها الأول وإن كان من عنديات مؤلفها، و لكن نيته الصالحة اقتضت أن يتقبل منه عمله و أن ينظر إليه من هذه الحضرة الخصوصية، فكان مقبولا بذلك الترتيب، و هذا الاستدلال و إن كان لا يقبله إلا أهل التسليم، ولكن فيه جواب إقناعي لكل ذي صدر سليم،

و بما ذكرنا اتضح لك سر إجازة سيدنا رضي الله عنه في هذا الكتاب لمؤلفه، وكتبها على أول ورقة منه في الجزء الأول وآخر ورقة من الجزء الثاني وفق ما أشرنا إليه، ونقلنا لفظه في هذا الكتاب من خطه الشريف، وسنذكره بحول الله.

---

[1]- أنظر جواهر المعاني لسيدي الحاج علي حرازم، الفَصْلُ الثَّالِثُ فِي أَخْذِ طَرِيقِ رُشْدِهِ وَهِدَايَتِهِ

[2]- أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف الألف)

ذكر ما عثرت عليه مكتوبا على نسخة جواهر المعاني المكتوبة بخط مؤلفها من الوثائق

قد وقفت على نسخة جواهر المعاني التي هي إحدى النسخ المكتوبة بخط مؤلفها، بعد أن وقفت على نسختين بخط يده، ولكن المدار على هذه المكتوب عليها خط سيدنا رضي الله عنه، وهي التي صحبها معه حفيد الشيخ رضي الله عنه سيدنا ومولانا محمود بن سيدنا محمد البشير بن سيدنا ومولانا محمد الحبيب بن الشيخ القطب الختم التجاني قدس سره حين قدم بها لفاس،

وقد طالما تمنيت العثور عليها منذ كان أخبرني بها العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه، وقد أمرني مرة بالكتب إلى ولده البركة المقدم، محل الأخ سيدي محمد، حين كان في بعض سفراته بعين ماضي[1]، بأن يستعمل ما وسعه من الإتيان

---

[1] ـ قرية تقع على بعد 72 كيلومترا غرب مدينة الأغواط، وعلى مدينة الجزائر (العاصمة) بما يناهز 560 كيلومتر، كانت محطة من محطات عبور الحجاج المغاربة الذين يقطنون في الناحية الجنوبية من المملكة، إذ هي المرحلة الرابعة ضمن طريقهم، وذلك بعد قرى فكيك، ودير أبي سمغون، والغسول، وقد ذكرها أبو سالم العياشي في رحلته المسماة بماء الموائد، كما ذكرها الشيخ أحمد الناصري الدرعي في رحلته المسماة بالرحلة الناصرية، فقال فيها بعد كلام: إن أهلها جميعا كانوا طلبة، أي مشتغلين بالعلم. إهـ ..

ولتسليط الضوء أكثر حول هذه القرية المباركة فإنها تقع على قدم جبال العمور، إذ لا تفصلها عن هذه الجبال سوى خمس كيلومترات لا غير، وهي على صفيحة بيضاوية الشكل، مما جعل معظم أهل المنطقة يصفونها بقولهم : عين ماضي بيضة النعامة شقت طولا ،

وعن هذه القرية أيضا يقول العلامة سيدي محمد الحجوجي في الجزء الأول من كتابه إتحاف أهل المراتب العرفانية، بذكر بعض رجال الطريقة التجانية : وعين ماضي قرية شهيرة في قرى الصحراء الشرقية من بلاد المغرب، اختطها ماضي بن يقرب من أقيال العرب، في المائة الخامسة لأول استيلاء العرب على المغرب الأوسط أيام العبيديين، وتحتوي على أزيد من ثلاثمائة دار. وتدخل لها العين المسماة بالحصن في قناة، وبها صهاريج لجمع ماء المطر. ولها من المثانة والحصانة ما يبهر العقول، وحولها من النخيل والأشجار المتنوعة ما هو زينة للناظرين إهـ..

أما عن سبب تسميتها بهذا الإسم (عين ماضي) فالظاهر أن القائد الذي اختطها كان قد حفر بها إذ ذاك عين ماء، فاشتهرت تلك العين باسمه

بهذه النسخة من عين ماضي لتوضع بخزانة الشيخ رضي الله عنه التي بفاس، ولو بأن يأخذها من هناك على وجه الإختلاس.

وقد كنت تعجبت من هذا الأمر الذي كان عزم علي فيه، ولم أجد وجها أخرجه في إباحة ذلك، ولم أقدر على مخالفته، فساعدته ظاهرا في الكتابة، ولم أتيقن الآن بأني وجهت له ذلك المكتوب، وحملت ذلك على حال حصل له في ذلك الوقت، إلى أن وقفت على النسخة المذكورة، فوجدت عليها وثيقة بتحبيسها من مشتريها على الزاوية المذكورة، فعرفت السر الذي حمل العارف المذكور على ذلك،

ولنذكر هنا ذلك مع ما وقع لها من التقلبات في حال سفر مواليها بها، إلى أن رجعت لورثته، وحبست على الزاوية المذكورة من مشتريها، وجميع ما ذكر مرسوم في أوراق الجزء الأول والثاني في وثائق.

الوثيقة الأولى اشتملت على حكاية استخلاصها بعد النهب[1]

وقفت على هذه الوثيقة بخط عدل لم أفك رمز علامته، ونصها: الحمد لله بعد ما نهب التأليف الذي في حشو هذا المجلد، مع سفر آخر مثله ومصحفا في سفر واحد رباعي قبل تاريخه لأربابه. وهم أولاد سيدي الحاج علي حرزام برادة، ووجده الشريف سيدي عبد

[1]- تحتوي حكاية استخلاص كتاب جواهر المعاني بعد نَهْبِهِ على دروس وعبر عجيبة، ومما هو جدير بالملاحظة أن هذا الكتاب كان بحوزة مؤلفه لدى سفره للحجاز، ووفاته بمنطقة بدر عام 1218 هـ، وقد أعيد الكتاب بعد ذلك إلى مدينة فاس، وذلك عن طريق صاحبه وملازمه سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، الذي كان مرافقا له ضمن المراحِل الأخيرة من سفره المذكور، وَوُضِعَ كتاب جواهر المعاني عندئذ في حوزة نجل المؤلف المقدم البركة سيدي بوعزة برادة، ولم يتمَّ نهبه إلا بعد وفاة سيدنا الشيخ رضي الله عنه عام 1230 هـ، وبهذا فمدة نهبه لم تزد على سنتين لا غير، حيث تمَّتِ استعادته حسب الحكاية المذكورة في هذا النص سنة 1232 هـ، وتلك كرامة عظيمة، إن دلت على شيء فإنما تدل على علو مكانة هذا الكتاب وشرفه، وما له من بركات مشهودة.

الواحد بن الشريف المرحوم سيدي محمد بوغالب الجوطي الحسني[1] بيد شيخ المغاربة بفاس الحاج محمد المغربي، في صحبة الركب النبوي عام تاريخه، ورام استحقاق ما ذكر من يد من ذكر، وادعى المستحق من يده أنه صير على ذلك ستين ريالا، وهي أربعة وعشرون مثقالا حين وجد ذلك عند الغير، فدله عن الاستحقاق لعدم الشهود، وعن اليمين الواجب عليه، ورفع الأمر لشيخ الركب النبوي عام تاريخه، وهو الحاج الطالب بن جلون[2]، فدخل بينهما على أن يدفع له العدة المذكورة التي دفع من يديه لمن ذكر، فدفعها له الشريف المذكور بمحضر شاهده، وحاز الكتب الثلاثة المذكورة، وتبارءا معًا مما ذكر، قصد الشريف المذكور الرجوع بذلك على أولاد الحاج علي المذكور حين يصل إليهم، عرفا قدره، شهد به عليهما بأكمله وعرفهما في أوسط شعبان عام 1232هـ.

الوثيقة الثانية اشتملت على بيع السيد بوعزة هذه النسخة لمحبسها الشريف عبد الواحد بو غالب

قد كتبت هذه الوثيقة بعلامة عدلين وامضائهما، ولم أفك رمز اسمهما، والمقصود منهما ذكرها في هذا المحل باللفظ ونصها: "الحمد لله اشترى الشريف سيدي عبد الواحد بن الشريف المرحوم سيدي محمد بوغالب الجوطي الحسني من البائع له السيد بوعزة بن

---

[1]- عبد الواحد بو غالب، من مشاهير أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني، أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 269-270. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 4: 69. الدر الثمين فيما استفدته من الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 26 (مخطوط). جنة الجاني في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 232 (مخطوط). الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21. كناش بلامينو 103. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 1: 354 رقم 103. نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 93.

[2]- الطالب ابن جلون الفاسي، أحد كبار تجار مدينة فاس خلال عهد السلطان المولى سليمان وخلفه المولى عبد الرحمان، كان كثيرا ما يترأس ركب الحجيج المغاربة، ويذكر أنه آخر شيوخ الركب المذكور، حيث أدى احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين إلى تعطيل الطريق البرية التي كان يسلكها الحجاج المغاربة، توفي في حدود سنة 1260 هـ- 1844م.

أنظر ترجمته في زهر الآس في بيوتات أهل فاس، للكتاني 1: 298-300. معلمة المغرب 9: 3068.

العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة جميع هذا التأليف المبارك في سفرين، المشتمل على مناقب شيخنا وسيدنا ووسيلتنا سيدي أبي العباس التجاني" المكتوب هذا على أول ورقة منه، المسمى بجواهر المعاني، وبلوغ الأماني، من فيض أبي العباس التجاني، اشتراه بثمن قدره له أربعة وثلاثون مثقالا دراهم تاريخه.

اعترف البائع المذكور بقبض جميع الثمن، وأبرأه منه براءة تامة، وتملك المشتري مشتراه المذكور تملكا تاما على السنة في ذلك، والمرجع بالدرك بعد التقليب والرضى كما يجب، عرفا قدره، شهد عليهما بأكمله وعرفهما في أواخر شعبان المبارك عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، واستودع هنا شهادة "أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ما جاء به حق وصدق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن ما في هذا الكتاب صدق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه".

الوثيقة الثالثة وهي على ظهر خاتمة الجزء الثاني بعدها بالمحبسين

وقد وقع في آخر المجلد الثاني من هذا الكتاب وثيقة مثل الوثيقة المتقدمة مع اختصار يسير، وبعدها باتصال هذا الرسم: وهو الحمد لله، أشهد المشتري أعلاه أنه إن قدر الله بموته الذي لابد منه، ولا محيد لكل مخلوق حي عنه، فيخرج من ثلث متخلفه هذا التأليف المبارك المشتمل في سفرين، ويكون حبسا على زاوية الشيخ سيدي أبي العباس التجاني الحسني، الكائنة بالبليدة حبسا مؤبدا، ووقفا مخلدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، ومن بدل أو غيره فالله حسيبه وسائله ومتولي الإنتقام منه، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[1]، إيصاء تاما، عرف قدره، شهد به عليه بأكمله وعرفه وفي التاريخ أعلاه هـ

ولا شك أن هذا يدل على أن تلك النسخة محبسة على الزاوية يتعين ردها لخزانتها وقوفا مع لفظ المحبس، وهذا المعنى هو الحامل للعارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي

---

[1]- سورة الشعراء الآية 227

رضي الله عنه على ما أشرنا إليه، وكنت أظن أن ذلك حال من أحوال الملامتية داخله في ذلك الوقت، حتى وقفت على ذلك، ولنذكر هنا أيضا ما وقفت عليه من خط الشيخ رضي الله عنه مكتوبا على هذه النسخة أولا وأخيرا بالإجازة منه لمؤلفها.

إجازة الشيخ التجاني رضي الله عنه الأولى لمؤلف جواهر المعاني فيها، منقولة هنا من خطه من الجزء الأول من النسخة التي بخط المؤلف المذكور

قد عثرت على إجازة الشيخ رضي الله عنه في جواهر المعاني لمؤلفها بخط يده على أول ورقة منها، فلنذكرها في هذا المحل منقولة من خط يده مباشرة ونصها: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، قال العبد الفقير، المظهر لرحمة ربه، أحمد بن محمد التجاني أن مجموع الكناش المكتوب على ظهر أوله هذه الأحرف كله من أوله إلى آخره أجزت فيه إجازة عامة مطلقة تامة خالدية أبدية لحبيبنا سيدي الحاج علي حرازم بن الحاج العربي الفاسي من أوله إلى آخره" كلمة مني، رواية عني، وعملا بما فيه من كل شيء، وإذنا بما فيه من الخواص والأسرار، أيا كانت ومن أي فن كانت، وأن يجيز فيه من شاء وكيف شاء، على قاعدة الإذن والإجازة المعروفة عند أهلها من مراعاة الأصلح والأهلية والنفور والبعد والمنع عمن ليس بأهل. أجاز وكتب أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله، وهو من إملائنا على المجاز المذكور، والله الموفق بفضله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، بتاريخ يوم الخميس آخر يوم من رجب الفرد من أواسط عام 1215 هـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الإجازة الثانية للمؤلف المذكور منقولة من خط الشيخ رضي الله عنه مباشرة من آخر الجزء الثاني من هذه النسخة

ووجدت مكتوبا بخط سيدنا رضي الله عنه في آخر ورقة من هذه النسخة المكتوبة بخط مؤلفها ما نصه: يقول العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني، قد كمل تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه، وانفتحت بعون الله عز وجل مساره وتفريحه، برواية عنا وسماع منا.

فلا جرم أن العمل فيه على هذه النسخة المكتوب على آخرها على هذا الرسم، وأن ما سواها من النسخ راجعة إلى هذه، وكل ما فيها مما يخالف هذه النسخة يجب تركه[1]، وأجزت في جميع ما فيها راويها عنا سيدي الحاج علي حرازم جامعها. إذ كل ما فيها أمليناه عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. إهـ..

ولا شك أن المقصود من هذه الإجازة مع ما قبلها من الشيخ رضي الله عنه هو ما اشتملت عليه جواهر المعاني مما يرجع للطريقة، مع أجوبته رضي الله عنه ورسائله وشرحه لجوهرة الكمال، مع شرح ياقوتة الحقائق المشتملة عليه هذه النسخة، أما ما زاد على ذلك من ذكر أحواله والتنويه به في هذا الكتاب فلا دخل له في إملاء الشيخ رضي الله عنه عليه لأنه بالضرورة يعلم أن ذلك ليس من الإجازة في شيء، ولا يصدر من الشيخ رضي الله عنه، لأنه لا يمكن أن يكون أثنى على نفسه بما ذكره فيه من أحواله وأخلاقه وغير ذلك من ترتيب أبواب هذا الكتاب. كما يتحقق بهذا سائر الأحباب، ولا كلام لنا مع غيرهم ممن

---

[1]- وقفت ولله الحمد على نسختين اثنين من كتاب جواهر المعاني، كلاهما بخط العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة، إحداهما النسخة المباركة التي كتب سيدنا الشيخ رضي الله عنه على ظهر غلافها نص إجازته للمؤلف رحمه الله، وتبين لي من خلال مطالعتي الدقيقة لهذه النسخة ما تَفَرَّدَتْ به من بعض الزيادات الحسنة، وَحَذْفِ بعض الأسطر والفقرات، من ضمنها قصيدة طويلة حول مراتب القطب تقع في صفحات.

ووقفت أيضا على نسخة جيدة بخط لسان الطريقة العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، وآخرى بخط الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، وآخرى بخط العلامة سيدي أحمد بن قاسم جسوس الرباطي، وآخرى بخط العلامة العارف بالله سيدي محمد بن قاسم بصري المكناسي، وآخرى بخط العلامة سيدي محمود التماسيني، وآخرى بخط العلامة العارف بالله القاضي سيدي أحمد سكيرج، وتعد هذه الأخيرة من أجود هذه النسخ وأكثرها ضبطا وتصحيحا.

وقد وقفت في الوقت نفسه على نسخة من هذا الكتاب كانت تحت ملكية العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، ذكر في مطلع هذه النسخة أنها منقولة بالحرف عن المخطوط الأصلي للمؤلف، المحفوف بخط مولانا الشيخ رضي الله عنه وإجازته، وقد قابلت النسختين معا فوجدتهما في أتم ما يكون من الموافقة، بحيث لا يختلفان في شيء ولو في حرف واحد.

ووقفت أيضا على نسخة أخرى منقولة عن المخطوط الأصلي للمؤلف، ويزيد من أهميتها أنها كانت في ملكية العلامة المؤرخ لسان الطريقة سيدي محمد أكنسوس، وعليها بعض تصحيحاته في هامش الكتاب، وهي الأخرى مطابقة لنسخة المؤلف مطابقة تامة.

يريدون الخوض في هذا الجناب، والتسور عليه بعد الأبواب، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وقد وجدت في هذه النسختين تقريظين لطيفين لبعض أحباب سيدنا رضي الله عنه، الآخذين عنه مشافهة من علماء الجزائر، ننقلهما هنا لمناسبة الموضوع.

التقريظ الأول لجواهر المعاني منقولا منها بخط ممضيه

"بسم الله الرحمن الرحيم حمدا لمن نبه عزائم الهمم الكاملة لاقتناء فرائد الفوائد، لهم خزائن الأفكار أبهى من الأبكار الخرائد، فأبانوا مراسم الفضائل بعد طموسها، وأقاموا قواعد بنيان المحامد بعد دروسها، وقررت المشايخ مواهبهم اللدنية في مجالس دروسها، فعادت بهجة روض عرفانهم رائقة الإشراق، وظهرت حدائق وارداتهم الإلاهية يانعة الأحداق، وتنافست في اجتلاء مطالع أنوارهم نفائس الأحذاق.

يَمِينًا لَقَدْ طَوَّقْتُمُ الدَّهْرَ عِقْدَهُ * وَأَضْحَكْتُمُ الأَيَّامَ بَعْدَ بُكَائِهَا
وَأَطْلَعْتُمُ شَمْسَ المَعَالِي بِأُفْقِهَا * فَسَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ وَسْطَ سَمَائِهَا

وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لنا إن شاء الله من أعظم الذخائر، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي اصطفاه من أطيب العناصر، وفضله على الأوائل والأواخر، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أولي المناقب والمآثر.

وبعد فقد أَمَرَّ المحبُّ نظرَهُ على ما جُمِعَ من إملاء سيدنا جميعه، واستجلى بيان حسنه وبديعه، واستحلى في أثناء حل المشكلات ما أثبت من تكميله وترصيعه، وحصل الثناء على سجيته السخية، وفطنته الذكية، وفطرته الزكية، وعلى تبحره في العلوم معقولها ومنقولها، فروعها وأصولها. ودل عنوان الكتاب وما أفصح به بيت قصيدة المستطاب على أن سيدنا جمع بين الإمامتين، وخلع له خلعة الولايتين، وفاز بتحقيق المذهبين وورود المشربين.

فمن ذا يدانيه، ومن ذا يعارض، ومن بحره بحر المعارف فائض، ألا وهو الإمام الهمام، علم الأعلام، ورحمة الإسلام، القطب الرباني، والغوث النوراني، والسر الرحماني، أبو العباس سيدي أحمد التجاني، لازالت الأقدار جارية برفع مقداره، والأيام رافلة في حلة شرفه وحلية وقاره، آمين. وكتبه الفقير إلى الغني المالك، محمد بن أحمد ابن مالك، عفا عنه مولاه في كل المسالك، أواسط محرم عام 1216هـ.

التقريظ الثاني منقول من خط كاتبه هناك

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد الله الذي رفع منازل أهل السنة وشيد دعائمها، ووضع مقدار البدعة ومحا معالمها، وأسس أساس الشريعة وأحكم أحكامها، وأوضح دلائل الحقيقة ابتداءها واختتامها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله، القائل يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله[1]، وبعد:

فلما من الله على أهل هذا القطر بمحبة من أعلى الله مقامه، ومكن من رقاب الضلال سيفه وحسامه، الذي من إملاءه دونت الدواوين الضخام، وصنفت الرسائل الصغيرة الأجرام، حتى اهتدى بسبب ذلك والحمد لله خلق كثير، وارتوى برداء السعادة من سبقت له العناية من العليم الخبير، ألا وهو شيخنا إبريز الأقطاب والأغواث، السيد الرباني، والغوث الجثماني، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني.

وكان من أنبل ما ذكر من مدح هذا السالك لأهل هذا الشأن من الأئمة الأبطال، وإيثاره للهمم الخامدة في فحول الرجال، تحريكا لقرائح هامدة لتراكم أهوال وأحوال، وإلا فجواهر لفظها غنية عن الجواب، لاحتوائها على فاصلة الخطاب. ولقد أمرني بكتب هذا من لا تسعني مخالفته، واستجابني فيما هنالك من تعيين إجابته. وإن كنت لست أهلا لذلك، خوفا من الوعيد الوارد في ذلك، ورجاء أن أنتظم في سلك الحامين حمى السنة من عالم

---

[1]- إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عُدُولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين. إهـ.. أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب أخذ الحديث من الثقات 1: 359 رقم 601.

عامل وولي سالك، والله أسأل أن يجعله من صالح العمل، ويعصم الأفكار من الزيغ والزلل، كاتبه عبيد ربه المجيد أحمد بن سعيد قدوره[1]، يسر الله أموره، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

وحيث ذكرنا مما نقلناه من المكتوب مع النسخة المذكورة ما تقدم، وكنت عثرت فيها بخط جماعة من أحباب الشيخ رضي الله عنه على بعض الفوائد التي تتشوف نفس من لم يقف عليها من الإخوان، أحببت أن أنقل منها ذلك هنا إتحافا لهم بها استجلابا لدعوة صالحة من أخ صالح.

---

[1]- أحمد بن سعيد قدورة، فقيه صوفي جليل، من أعلام الطريقة التجانية بالجزائر، قال عنه العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج أنه من بيت علم وحسب وفضل ونسب، وعموما فهو من عداد العلماء الذين التقى بهم الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، وذلك بالجزائر، إبان سفره للديار المشرقية سنة 1216 هـ،

وللعلامة سيدي أحمد سكيرج قصيدتان في مدح الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، ذكر أنه استقاهما من نفس هذا العالم الجليل سيدي أحمد بن سعيد قدورة، قال في ختام إحداها :

فإن محب الشيخ يظفر بالمنى * ومبغضه لم يلق فيه رشاده

وإنك إذ ما تأته تلف خيره * ومن رام منه الزاد في الخير زاده

وقل بحماه واستظل بظله * وقل إنني عبد سكنت فؤاده

فجد بكمال الفضل لي بمطالبي * فقلبي إليك الشوق في الناس قاده

وعامل محبا بالذي أنت أهله * فأنت بك المولى أمد عباده

فلا زالت الأسرار منك تمدني * بسر أمد الله منك امتداده

ويشمل أحبابي وأهلي وجيرتي * ومن لك ألقى في الرشاد قياده

أنظر ترجمته في رفع النقاب 1 رقم الترجمة 89.

الفائدة الأولى منوطة بشرب سكر القالب

الحمد لله، ثبت عندنا وتقرر من طريق الثقات من أصحاب مولانا الشيخ رضي الله عنه أن من شرب السكر القالب ليس عنده ورد الشيخ رضي الله عنه، ويحتاج إلى التوبة وتجديد الإذن في الورد المذكور[1]

---

[1]- لا يفوتنا التنبيه على أن الشيخ أبا العباس التجاني رضي الله عنه كان قد قال بتحريم السكر، وكان المغرب آنذاك يستورد حاجياته من السكر من إيطاليا، وقد ثبت لسيدنا الشيخ رضي الله عنه أن هؤلاء الإيطاليين يستعملون بعض المواد المحرمة لتصفية السكر، فقال بتحريمه كما جاء في كتاب الإفادة الأحمدية : سكر القالب حرام أكله وبيعه، ثبت عندي أنه مصفى بالدم، وقال فيه أيضا : هو عندي بمنزلة الخمر.

وفي الموضوع نفسه يقول صاحب منية المريد:

وَسُكَّرُ القَالبِ شَيْخُنَا أَمَرْ = بِتَرْكِهِ وَعَنْ شَرَابِهِ زَجَرْ

لِكَوْنِهِ بِأَعْظُمِ الحَمِيرِ = يُصْنَعُ وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ

وجاء في الجزء الأول من كتاب رفع النقاب للعلامة سكيرج بعد كلام في الموضوع: وبلغنا عنه رضي الله عنه أنه أمر بإلقاء نحو ستة قوالب سكر في البير الذي هو كان بوسط الزاوية المباركة، قد أتى له بها بعض الزوار.. إهـ. ثم قال المؤلف بعد ذلك بسطرين : وقد ثبت عندنا من جهة أخرى أن الشيخ رضي الله عنه رجع عن تحريمه، ولكنه لم يشربه بعد ذلك.

وقد وجد موقف الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه معارضة من طرف بعض فقهاء ذلك الوقت، منهم الفقيه سليمان الحوات العلمي بتأليفه الذي سماه : تغيير المنكر، فيمن زعم حرمة السكر، ومنهم الفقيه العربي بن أحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة بتأليفه المعنون بـ : تسهيل المطلب للطالب، في الرد على من حرم سكر القالب.

وعموما فقد أقبل كافة التجانيين على شرب الآتاي بعد رجوع الشيخ رضي الله عنه عن تحريم السكر، وشربه كبار أعلام هذه الطريقة، كسيدي محمد فتحا بن أبي النصر العلوي، وسيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، وسيدي محمد الغالي بوطالب، وسيدي لكبير لحلو، وسيدي موسى بن معزوز، وسيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، وسيدي محمد أكنسوس، بالإضافة للعلامة الشهير الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، الذي لم يكتفي بشربه، بل كان يتغنى به في قصائده وأزجاله. لعل من أبرز ما قاله في طالعة قصيدته الدالية :

واصل شراب حليفة الأمجاد = واترك مقال أخي هوى وعناد

صفراء تسطع في الكؤوس كأنها = شمس تبدت في ذرى الأطواد

إلى أن قال :

تدعى الأتاي وذاك رمز ظاهر = يدريه من يدري من الأمجاد

وكتب به عبد ربه الطيب بن محمد الشهير بالسفياني[1] لطف الله به وختم له بالحسنى.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.
وكذلك عبد ربه محمد الكبير لحلو[2] التجاني لطف الله به آمين، وكذلك عبد ربه التهامي

---

[1]- الطيب بن محمد السفياني، أحد أعلام الطريقة التجانية، توفي عند زوال يوم الأربعاء 6 جمادى الثانية عام 1259 هـ، ودفن خارج باب عجيسة بفاس. أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف، في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 20، نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه، 45. سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 21. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 10، كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 170-184، الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 8، رفع النقاب، للمؤلف نفسه 235:2 – 249، جناية المنتسب العاني، فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2:70-71، الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 11 (مخطوط)، كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي، 31 و 36 و 104، غاية الأماني، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 25 رقم الترجمة 8، الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 27، اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية، للمؤلف نفسه 94، إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 13، إتحاف المطالع، لابن سودة 1:175، موسوعة أعلام المغرب 7:2567 معلمة المغرب 15:5011 رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1:75، رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب أيضا 1:48 و 152 ثم 2:287 و310 و 313 إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 6، أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين، لمحمد الأزاريفي 117، التجانية والمستقبل، للفاتح نور 149-151.

[2]- سيدي الكبير لحلو، أحد مشاهير أعلام الطريقة التجانية، توفي بفاس في 17 شعبان عام 1277 هـ، أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 39. كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 507-509. رفع النقاب للمؤلف نفسه 2: 275-276. تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 232 (مخطوط). جنة الجاني في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). جناية المنتسب العاني بما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2: 55. الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 11. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين، لمحمد الأزاريفي 117. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 36 و 86 و 179. زهر الآس في بيوتات أهل فاس، لعبد الكبير الكتاني 1: 376.

التدلاوي لطف الله به أمين، وكذلك عبد ربه الحاج العربي بن عبد القادر التازي[1] لطف الله به آمين.

وهذه المسألة قد شغلت أفكار كثير من الإخوان ممن يهمهم أمر طريقهم، واضطربت فيها الأنظار، وقد ثبت عندي رجوع الشيخ رضي الله عنه عن القول بنجاسته، فشربه بعد ذلك الإخوان بمحضره، ولم يشربه هو وقوفا مع نيته التي عمل عليها من أول الأمر، وقال: "شيء تركناه لله لا نعود فيه" وقد بسطنا القول على هذا في غير هذا الموضع فَلْيُرَاجَعْ في تأليفنا المسمى بالإجادة على الإفادة.

الفائدة الثانية متعلقة باستعمال غلة حبس في حبس آخر

الحمد لله، بعد ما أتى بعض الأحباب بحصور وزيت من القرويين ليلة سبعة وعشرين من رمضان في زمن حياة سيدنا رضي الله لزاوية سيدنا رضي الله عنه. أمر برد ذلك إلى الناظر، وقال: ذلك حرام، أعطوا درهما للواحد واشتروا ما تجلسون عليه، وكتب به عبد ربه الطيب بن محمد الحسني الشهير بالسفياني لطف الله به.

وقد ثبت لدي أن الشيخ رضي الله عنه كان مشددا في هذا الأمر كثيرا، بحيث أنه كان لا يحب إدخال استغلال حبس في حبس، وبالأخص أحباس القرويين. فقد استولت على أوفار الأحباس، وصرفت مدخولاتها في غير محلها. فكان ذلك مصروف في غير ما هو معين له، وليس ذلك بالأمر الهين عند من عامل الله في أمر الدين، وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة أيضا في شرح الإفادة عند قول الشيخ قدس سره: أحباس القرويين حرام لإضافة أحباس غيرها إليها[2].

---

[1]- العربي بن عبد القادر التازي، من مريدي الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه، أنظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 1: 351 رقم 96. نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 71. رفع النقاب للعلامة سكيرج 4: 95- 97.

[2]- أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف الألف)

الفائدة الثالثة في التحذير من إذاية الإخوان

الحمد لله، سمعنا سيدنا رضي الله عنه يقول: قال لي صلى الله عليه وسلم: قل لأصحابك: لايؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذيني ما يوذيهم[1]. وذلك لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الشيخ رضي الله عنهم بسبب كثرة الصلاة التي يصلون بها عليه كل يوم، فهم عنده ملحوظون بعين الرضى والمحبة التي اقتضت حصول الإذاية له بإذايتهم، وإذاية بعضهم لبعض يستنكف منها، فأوصى بترك الإذاية، وفي ضمن ذلك الوصية عليهم بإخلاص المودة فيما بينهم لشدة اتصالهم بجنابه الرفيع.

وقد بسطت القول على هذه المقالة في شرح الإفادة المذكورة. والإشارة إلى مثل هذه المقالة تتلقى بالقبول عند من أراد السلامة لنفسه، ولا معنى لإنكارها عمن تلقاها عن الحضرة المصطفوية، فليراجع ذلك من أراده هناك.

الفائدة الرابعة في الإيصاء بمراعاة حقوق الإماء

الحمد لله، سمعنا من سيدنا الشيخ رضي الله عنه مشافهة أنه قال لنا: من كانت عنده أمة يزوجها لنفسه أو يزوجها لغيره، أو يبيعها بهذا الشرط، وإن لم يفعل ذلك فليحط سبحتي ما بيني وبينه شيء، فسأله بعض الأصحاب عمن كانت ملكا لزوجته، فأجابه رضي الله عنه بقوله: يقول لها إن لم تفعلي ذلك نطلقك[2]. إهـ.. فهذا من الشيخ رضي الله عنه تحذير كبير من إضاعة حقوق الأمة المملوكة.

وقد أهمل الناس هذا الأمر، فتسببت عنه أمور مخلة بالمروءة، وكثيرا ما أفضت إلى فساد كبير، لأن الأمة غير معصومة، وهي لا تطيق الإهمال الكلي، فلا شك أنها تميل إلى الخنا مهما تأتى لها، وتضمر السوء بمالكها، وتتحين له أحيانا تغتنم فيها فرصة المكر به، ولو بإطعامه السم مع أهله، إن لم يؤثر فيه لها ما تشتغل به من السحر الذي عمت البلوى به وبمتعاطيه الآكلين به الأموال الباهضة، وهذه المسألة عقدها صاحب المنية في قوله :

---

[1]- أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف القاف)

[2]- أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف الميم)

وَصَـحَّ عَـنْ هَذَا الإِمَامِ مَا تَرَى * مِنْ بَعْدِ ذَا البَيْتِ تَرَى مُسَطَّرَا
فَـتَـارِكُ إِمَـــاءَهُ فِـــي الـضُّـرِّ * مِـنْ غَـيْـرِ تَـزْوِيجٍ وَلاَ تَـسَـرِّي
أَوْ بَيْعِـهَا بِـأَحَـدِ الـشَّـرْطَيْنِ * فَـلَـيْسَ شَـــيْءٌ بَيْـنَـهُ وَبَـيْـنِـي[1]

وهي مسألة مهمة في الطريق والذي ثبت لدينا أنها ليست من قواطع الإذن الصحيح وإنما ذلك من الشيخ رضي الله عنه تحذير من إضاعة هذا الحق الواجب على مالك الأمة وقد أفضت القول في غير هذا المحل فيها والله الموفق.

الفائدة الخامسة فيما يقطع المريد عن الطريق

وسمعنا منه رضي الله عنه أن ثلاثة مسائل تقطع المريد عن الطريق، زيارة الأولياء، وورد آخر، ومجالسة المبغضين للشيخ[2] ، إهـ.. فالمسألة الأولى ينقطع بها المريد لدلالتها على التفاته عن جناب شيخه ومخالفته في أمره به من التعلق به وجمع الهمة عليه ليتم أمره، والمسألة الثانية لما فيها من تشتيت الهمة في السير الذي طلب من المريد أن يكون فيه صاحب اعتقاد وتوجه تام بالوجهة الواحدة لنيل المراد، والمسألة الثالثة هنا لأنها تؤدي بالمريد إلى ترك الورد بسبب سوء الظن في الشيخ وفي طريقته، لأن مجالسة المبغضين سم يسري،

وقلما جالس المريد المبغضين وسلم من إذايتهم له في الشيخ رضي الله عنه بإطلاق لسانهم في حضرته، وقد تعرضت لهذه المسألة في غير هذا المحل، فلنكتف بهذه الفائدة هنا، ونجعلها في هذا المقام مسك الختام، لما نحن بصدده لنتفرغ للمقصود فنقول:

التعريف بمؤلف المقصد الأحمد

هو نابغة زمانه، وفريد أوانه، العلامة الفصيح، ذو الفضل الرجيح، سيدي عبد السلام بن

---

[1]- أنظر منية المريد، للعلامة التجاني ابن بابا العلوي، رقم الأبيات

[2]- أنظر الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني (باب حرف الثاء)

الطيب بن محمد القادري الحسني[1]، ولد رحمه الله بفاس وقت صلاة، في اليوم العاشر من رمضان عام ثمانية وخمسين وألف، وتوفي بها صبح يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول عام عشرة ومائة وألف، وترجمته واسعة أطال فيها غير واحد، منهم العلامة أبو الزمزمي الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس، قال: وألف فيها بالخصوص أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني[2]، وأثنى عليه وعلى صريح نسبه، ورفع عموده، وذكر أشياخه وتلامذته،

والعلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي[3] متعرضا أيضا لذكر أحواله ومناقبه وأشياخه وتلامذته، ووسم مؤلفه في ذلك بالمورد الهني، بأخبار الإمام المولى الشريف القادري الحسني[4].

وألف رحمه الله تأليف عديدة، كلها مفيدة، منها هذا الكتاب المعنون بالمقصد الأحمد، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد[5]، ومنها مصابيح الإقتباس، في مدائح أبي

---

[1]- عبد السلام بن الطيب القادري، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري 3: 86-115. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 75 و 96. موسوعة أعلام المغرب 5: 1847-1869. سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 392 رقم 803. جامع القرويين، لعبد الهادي التازي 3: 796 رقم 44. الأعلام، للزركلي 4: 6. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 281-283 رقم 648. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 473 رقم 1299. معجم المؤلفين، لكحالة 5: 225.

[2]- أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني، فقيه مؤرخ صوفي، من أعلام مدينة فاس، له مؤلفات منها: المقباس في محاسن سيدنا أبي العباس. توفي بتاريخ 2 ربيع الأول عام 1146 هـ، ودفن بالساحة المتصلة بضريح سيدي محمد بن عبد الله معن، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 337-338 رقم 754. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 484-485 رقم 1336. نشر المثاني، للقادري 3: 363- 366. موسوعة أعلام المغرب 5: 2053-2054.

[3]- محمد (فتحا) بن أحمد بن محمد (فتحا) بن عبد القادر الفاسي، فقيه مؤرخ نسابة صوفي، له مؤلفات كثيرة تربو على الثمانين مصنفا، توفي بفاس سنة 1179 هـ. أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري 4: 163. سلوة الأنفاس، للكتاني 1: 365 رقم 325. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 510 رقم 1428. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 1: 228. معلمة المغرب 19: 6415. موسوعة أعلام المغرب 7: 2384.

[4]- المورد الهني، بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، يقع في ثلاث كراريس، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 154 رقم 904.

[5]- سبق التعريف به في ص 83.

العباس[1]، جمع فيه ما مدح به شيخه المقصود بالمقصد الأحمد من نظمه ونظم غيره، ومنها الدر السني، فيمن بفاس من أهل النسب الحسني[2]، والعرف العاطر، فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر[3]، ومعتمد الراوي، في مناقب ولي الله سيدي أحمد الشاوي[4]، ومنها نظمه المسمى مناهل اللهفان، إلى أسانيد أولي العرفان[5]، نظم فيه ما يتعلق بترجمة أبي العباس المذكور، وغير ذلك من مؤلفاته، وهي تناهز الثلاثين رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

التعريف بالشيخ أبي العباس مولانا أحمد بن عبد الله معن المُؤَلِّفِ في ترجمته المقصد الأحمد

يكفي في ترجمته ما جمعه مؤلف المقصد الأحمد فيه من بدايته لنهايته، ولو اختصرت لكانت جزءا مستقلا، ونحن نقتصر على النزر اليسير منها هنا، فإنه رضي الله عنه ولد بفاس تقريبا أواخر سنة اثنين وأربعين وألف، وبها نشأ، وتوفي بها ضحوة يوم الإثنين ثالث جمادى الثانية سنة عشرين ومائة وألف، وارتجت المدينة لموته ارتجاجا، ودفن بقبة والده خارج باب الفتوح،

---

[1]- مصابيح الإقتباس، في مدائح أبي العباس، جمع فيه ما قيل في حق شيخه سيدي أحمد بن عبد الله معن من قصائد وأشعار، يقع في مجلد وسط، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 283 رقم 1875.

[2]- الدر السني، فيمن بفاس من أهل النسب الحسني والحسيني، يقع في مجلد وسط، طبع على الحجر بفاس سنة 1309 هـ، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 62 رقم 314.

[3]- العرف العاطر، في نسب من بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر، يقع في مجلد وسط، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 74 رقم 394.

[4]- معتمد الرواي، في مناقب الشيخ أحمد الشاوي، غير تام، يقع في نحو خمسة كراريس، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 152 رقم 890.

[5]- مناهل اللهفان، إلى أسانيد أولي العرفان، منظومة تقع في نحو 600 بيت. قال في مطلعها:

الحمد لله الذي قد أسندا * إليه من بالقرب منه أسعدا

توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1235. أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 280 رقم 1843.

وكان والده رضي الله عنه يعرف بمعن، ثم اشتهر بابن عبد الله، وهو من ذرية يعقوب المنصور الموحدي، ويعقوب المنصور هذا كوفي السلف، بصري الأصل، من قيس عيلان بالمهملة بن مضر، وقيل إن يعقوب المنصور المذكور شريف النسب، حسني إدريسي من أبناء محمد بن القاسم بن إدريس رضي الله عنه، وأنشد فيه في المقصد بعد ذكر جملة من كراماته وأحواله قوله وهو منزع لطيف:

أَكْثَرَ الـرَّاوُّونَ نَقْلاَ * فِي عُلاَ قَوْمٍ وَسُؤْدَدْ

نَقَلُوا مِنْهَا حَدِيثاً * وَرَوَوْا مِنْ كُلِّ مُسْنَدْ

مِنْ عَزِيزٍ شَدَّ مَعْنَى * وَغَـرِيبٍ قَـدْ تَفَرَّدْ

وَصَحِيحُ النَّقْلِ مِنْهَا * مُسْنَدٌ يُعْزَى لِأَحْمَدْ

وقال فيه أيضا:

عَجَباً لِلنَّاسِ هَامُوا * بِـكَـرَامَاتٍ تُـعَـدَّدْ

نَقَلُوا الأَخْبَارَ فِيهَا * صَاعِدَاتٍ كُلَّ مَصْعَدْ

صَحَّ هَذَا النَّقْلُ لَكِنْ * لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدْ

ومن جملة القصائد التي مدحه بها قوله هذه الأبيات المصدرة بالثلاثة الأبيات المذكورة في الباب الثاني من جواهر المعاني وسيأتي الكلام عليها هناك، مع ما ذكر معها هناك، قال :

أُنْـظُرْ لِمَطْلَعِ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ * قَـدْ أَشْرَقَتْ بِجَبِينِهِ أَنْـوَارُهُ

سِرُّ المَعَارِفِ قَدْ حَوَاهُ ضَمِيرُهُ * فَـبَدَتْ بِـغُـرَّةِ وَجْهِهِ آثَـارُهُ

هُوَ بَحْرُهَا الطَّامِي أَلَمْ تَرَى أَنَّهُ * تَهْمِي بِفَيْضٍ دَائِماً أَسْرَارُهُ

رَوْضُ الحَقَائِقِ قَدْ زَهَا مِنْ نُورِهِ * وَحَيَتْ حَدَائِقَ زُهْرِهِ أَمْطَارُهُ

طَلَعَتْ شُمُوسُ جَمَالِهِ فِي أُفْقِهَا * وَعَـلاَ مَنَارَ العَارِفِينَ مَنَارُهُ

وَبَدَا لَهُمْ كَالبَدْرِ يَعْلُوهُ البَهَا * فِي حَضْرَةِ التَّعْرِيفِ عَزَّ قَرَارُهُ

وَبِكُلِّ نَشْرٍ قَدْ تَضَوَّعَ سِرُّهُ * نَمَّتْ لِعُشَّاقٍ بِـهِ أَسْحَارُهُ

مَا فِي المَعَارِفِ مَنْزِلٌ مترقبٌ * إِلاَّ عَلَتْ فِـي جَـوِّهِ أَقْمَارُهُ

وَنُجُومُهُ لَمَعَتْ بِـهِ وَشُمُوسُهُ * فَلَكُ الجَمِيعِ عَلَيْهِ صَارَ مَدَارُهُ

فَـرْدُ الـمَحَاسِنِ لاَ يُحَاكَى سِرُّهُ * سَـمَحَتْ عَلَى قَدَرٍ بِهِ أَعْصَارُهُ
قَدْ خَاضَ فِي التَّحْقِيقِ لُجَّةَ أَبْحُرٍ * وَقَفَتْ بِسَاحِلِ سَرْحِهَا أَنْظَارُهُ
هُوَ بَيْنَ أَهْلِ السَّبْقِ بَازٌ صَائِلٌ * إِذْ تَـرْتَـقِي بِسَمَائِهِ أَطْـيَـارُهُ
وَلَـدَا الـمَوَاهِبِ بَحْرُهُ مُتَدَفِّقٌ * تَـجْرِي بِإِمْدَادِ الـوَرَى أَنْـهَارُهُ
وَلَـدَا الـهَزَاهِزِ مَلْجَأٌ مُتَمَنِّعٌ * سَـيْفُ لِـكُـلِّ مُـرَوِّعٍ بَـتَّـارُهُ
كَـمْ ضَـامِئٍ روِّى بِعَذْبِ زُلاَلِهِ * وَمُـجَاوِرٍ حُمِيَتْ بِـهِ أَنْـصَارُهُ
بِاللَّهِ رَفْعٌ فِي الوُجُودِ وَمَنْ يَكُنْ * بِـاللَّـهِ يَعْلُـوا فَـوْقَ ذَا مِقْدَارُهُ

وبعد ذكره لما مدحه به من القصائد تعرض رحمه الله لبيان سبب هذا التأليف، وأنه هو أخوه العلامة أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني[1]، وهو الحامل له على تأليفه وجمعه، والحاث له على إتقان صنعه ووضعه، والراغب إليه فيما أبداه وأداء ما أداه، وممن أشار عليه أيضا أخوه في الله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن إسماعيل بن عبد العزيز بن الشيخ الولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي[2]، وهو مع أخيه هما اللذين أشار لهما في أول الكتاب ببعض الإخوان والفقهاء الأعيان جزاهما الله خيرا.

ثم ذكر أنه قد ألف في سيدنا أبي العباس رضي الله عنه مما سوى هذا الكتاب تأليفان آخران، أحدهما وهو أول هذه الكتب تأليفا التأليف المسمى بالإلماع[3]، يشتمل على خمس

[1]- العربي بن الطيب القادري، فقيه مؤرخ نسابة صوفي، من أعلام مدينة فاس، له مؤلفات، توفي بفاس آخر شهر ذي الحجة الحرام عام 1106 هـ، ودفن بجوار قبة الولي الصالح سيدي أحمد اليمني، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 389-391 رقم 801. نشر المثاني، للقادري 3: 67 – 72. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 194- 195. الأعلام، للزركلي 4: 224. معلمة المغرب 19: 6573. موسوعة أعلام المغرب 5: 1831- 1835.

[2]- محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي، فقيه صوفي فاضل، له شرح على همزية البوصيري، وآخر على سينية ابن باديس، توفي سنة 1123 هـ-1712م. أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 6: 47-48 رقم 738. معلمة المغرب 16: 5584. موسوعة أعلام المغرب 5: 1944. الأعلام، للزركلي 6: 197.

[3]- الإلماع، ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، لمحمد المهدي الفاسي، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 121 رقم 682.

كراريس، ومؤلفه هو العلامة الصوفي أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي[1]، وثانيهما المقباس، في محاسن سيدنا أبي العباس[2]، تأليف الفقيه أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير الأندلسي الغساني[3]، وأعانه على جمعه وتصنيفه أبو عبد الله محمد العربي القادري المذكور،

فكان هو السبب في إنتاج أمره، كما كان في إخراج غيره، ولمؤلف المقصد المذكور أرجوزة سماها: مناهل اللهفان، إلى أسانيد أولي العرفان، استوعب فيها ما يتعلق بأسانيده المنوطة بشيخه المذكور، مشتملة على ستمائة بيت ونيف أولها:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَسْنَدَا * إِلَيْهِ مَنْ بِالقُرْبِ مِنْهُ أَسْعَدَا

أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ دُونَ غَايَةْ * بِسَابِقِ التَّخْصِيصِ وَالعِنَايَةْ

وقد وقفت على مقامة لطيفة جعلها مؤلفها كالتقريظ للمقصد المذكور، حبب إلي أن أذكرها في هذا المقام حفظا لها هنا، و نجعلها لهذه الترجمة مسك الختام، لكونها تتعلق بأحوال المؤلف والمؤلف فيه، نصها: نحمدك اللهم على ما أسديت من النعم، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد منبع الجود والكرم، وبعد فيقول عبيد الله تعالى، محمد الطيب بن مسعود بن أحمد المريني[4]، بلغ الله أمله من مطلوبه الديني، لما أراد الله سبحانه أن يمن علي بمعرفة الشيخ الإمام، القدوة الهمام، المحقق الواصل، العارف

---

[1]- المقباس، في فضائل أبي العباس، يقع في جزء، أنظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 152 رقم 896.

[2]- محمد المهدي الفاسي، فقيه مؤرخ صوفي، له مؤلفات كثيرة، من أشهرها كتابه ممتع الأسماع في مناقب الشيخ الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع. توفي بفاس يوم السبت 9 شعبان عام 1109 هـ، ودفن داخل ضريح جده سيدي يوسف الفاسي، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري 3: 80-83. شجرة النور الزكية، لمخلوف 1: 473 رقم 1298. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 273-274 رقم 626. موسوعة أعلام المغرب 5: 1842-1844.

[3]- سبق التعريف به في ص 118

[4]- محمد الطيب بن مسعود المريني، فقيه صوفي فاضل، من أعلام مدينة فاس، له مؤلفات منها تبصرة الغافل وتذكرة العاقل، توفي بفاس عام 1145 هـ، ودفن خارج باب عجيسة، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري. موسوعة أعلام المغرب 5: 2047-2050. سلوة الأنفاس، للكتاني 3: 150-151 رقم 1025.

الكامل، ذي الهمة السنية، والسيرة السنية، الدال على الله، والناصح لعباد الله، سيدنا و سندنا، و وسيلتنا ومعتمدنا، أبي العباس أحمد بن الشيخ الشهير، العارف الكبير، أبي عبد الله سيدي محمد بن محمد الشهير بابن عبد الله رضي الله عنه وأرضاه، وأنالنا بركاته ورضاه.

لقيته يوما وهو قادم من لمطة، فنظر إلي طويلا، ثم سرت قليلا، وقد أخذ قلبي، وذهب بلبي، فالتفت أتفقد نظري، فوجدته بكليته ملتفتا ينظر إلي، فاعتراني من تلك النظرة دهش وحيرة، وجعلت أقدم رجلا وأؤخر أخرى، ولم أستطع عنه صبرا، فلقيت بعد ذلك شيخنا العلامة الشريف الهمام، مولانا أبا محمد عبد السلام[1]، فدلني عليه، وأشار علي بما يوصلني إليه، جزاه الله عنا خيرا، و أعظم له عنده منزلة وقدرا، ثم وقف علي رضي الله عنه في المنام، وتلقاني بالترحيب وأطيب الكلام، فانتبهت فرحا مسرورا،

وقد نلت من القبول حظا موفورا، فأنشأت إذ ذاك مقامة محتوية على نثر ونظام، وبعثت بها إليه، فقبلها، والحمد لله من غير ملام، ورأيت بركتها علي ظاهره، نفعني الله بها في الدنيا والآخرة، ثم لما وقفت على هذا التأليف الجليل، الجامع الحفيل، المسمى بالمقصد الأحمد، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد، أنشأت فيه مقامة ضمنتها شرح ما اتفق لي معه في الورود، وأسند روايتها إلى الطفيلي ابن مسعود.

وختمتها بقصيدة جعلت تغزلية، ثم تخلصت منه إليه بما لا ينافيه، مادحا للمقصود والمقصد، ومؤلفه الذي جد في تنميقه فوجد، فقلت وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى أقوم طريق، حدث الطفيلي ابن مسعود، قال: لما تلقاني بوجه الرضي زماني، وحياني طالع السعد بالتهاني، نهضت لأتم الأفراح، بالمليح والراح، ففاجأني في الطريق، ذو وجه طليق، وخد شريف وقد رشيق، قد نصب شراك النظر، يقتنص البشر، فرنا إلي بطرفه، وثنى نحوي عنان ظرفه، فمكث نزرا، يلاحظني شرزا، فلم أشعر إلا وقد نشبت في حبالته، ودخلت في إيالته، ثم غدرني وسار، و غادر في الأسار.

---

[1]- المراد به مؤلف كتاب المقصد الأحمد للعلامة عبد السلام بن الطيب القادري.

رَمَانِي بِسَهْمِ اللَّحْظِ عَنْ قَوْسِ حَاجِبٍ * بَهِيُّ الـمُحَيَّا فَـائِقُ الـشَّمْسِ وَالبَدْرِ
فَـصَـادَفَ قَلْبِي ثُـمَّ أَعْـرَضَ تَـائِهاً * فَـجَاءَتْنِيَ الأَشْوَاقُ مِنْ حَيْثُ لاَ أَدْرِي

فبقيت هيمانا، لا أستطيع كتمانا، متشوقا لأخباره، متشوقا لأثماره، إلى أن جرت الأقدار بالإيراد بعد الإصدار، فأزعجتني بواعث الأشواق، للتردد في الأسواق، فلقيت بعض الأصحاب، وندبني للإصطحاب، فقلت له سمعا، ولبيته طوعا، وسِرْنا واليمن أمامنا، والخير يقود زماننا، إلى حيث المسرات محفية، والمبرات مستوفية،

فألفينا حضرة عَمَّ السعد جنابها، وخدم المجد بابها، ووافتها الأماني بالبشرى، والمواهب تترى، والعز ضرب سرادقه، والفخر يروي عن شربها أحاديث صادقه، ومطابقة لمعاليها وموافقه، يستضئ راقيها، بنور ساقيها، قطب مدارهم، وشمس نهارهم، إنسان عين الإنسان، والجامع بين الحسن والإحسان، يسحر العقول، ويسخر بالفحول، يسبي النهى، بالجمال والبها

يُنْبِيكَ ظَـاهِرُهُ عَـنْ سِـرِّ بَاطِنِهِ * فَقَدْ حَوَى الحِلْمَ وَالإِحْسَانَ وَالجُودَا
لَوْلاَهُ مَا نَظَرَتْ عَيْنَايَ مِنْ حَسَنٍ * وَلاَ ظَنَنْتُ بِـأَنَّ الـحُسْنَ مَوْجُودَا

لا يسمع ناديه، غير مناديه، ولا يوثر بنعمائه غير ندمائه، فهم مذعنون إليه، مجتمعون بكليتهم عليه، قد ظفروا منه بالآمال، وتلقاهم الرضى بالإقبال، فدام لهم السرور، والفرح والحبور، وانهمرت بهم الدموع السواكب، وخجلت منهم نيرات الكواكب، فازوا بأوفر نصيب، ورموا الواشي بسهم مصيب، ورفضوا العوائق، وحسموا العلائق، وحصلوا على مطلوبهم، ونالوا القرب من محبوبهم، وعلموا أنه من أنفسهم، فحكموه في أنفسهم.

هُمُ الرِّجَالُ وَعَارٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ * لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَانِي وَصْفِهِمْ رَجُلُ

قال الطفيلي ابن مسعود: فلما رأيت ما أعجب الألحاظ، وأعجز الألفاظ، وجدت مقتنص قلبي ينتعل الرؤوس، ومختلس لبي يسترق النفوس، فخيمت بفنائهم، واستظللت تحت لوائهم، لينتظم في سلك درهم صدفي، ويلتئم بهم شملي، وينجبر بهم تلفي، فقد سعد قاصدهم، إذ حسنت مقاصدهم، فبينما نحن على بساط الإنبساط، نتجاذب أطراف الإغتباط، إذ أقبل شخص يتكبل، فرأينا أنه يريد أن يتطفل، فملنا عن مدح الأدباء، لقدح

الرقباء، فلما ألم بنا وحضر، ولم يغن منه حذر، وخشي عتابا، أو توهم اغتيابا، أخذ يستميل القلوب، بأشعار في المحبوب،

فقلنا يا هذا إن كنت ممن يعرف القريض، ويميز بين الصحيح والمريض، فلنا في هذا المحبوب مقصد جيد، وحالنا فيه متأيد، إن ادعيت بالشعر علما، فصفه نظما، فمكث أقصر من جلسة الخطيب، واعتدال الغصن الرطيب، ثم استحضر براعته، وشحذ يراعته، وانتضاها أمضى من العامل، ورقم بها في صفاح الطروس من عروض الكامل:

لاَمُـوا عَلَيْكَ وَمَا دَرَوْا بِالمَقْصِدِ * وَرَأَوْا مَلاَمِـي لِلسَّلاَمَةِ مُـرْشِدِي

زَعَـمُوا بِـأَنَّ تَـحَيُّرِي بِتَخَيُّرِي * فَـرَثَـوْا لِطُـولِ تَجَلُّدِي وَتَسَهُّدِي

هَيْهَاتَ لَـوْ ذَاقُـوا هَـوَاكَ لأَنْصَفُوا * وَأَتَـوْا بِـعُـذْرٍ لِـلْمُحِبِّ مُـمَـهّدِ

يَـا لاَئِـمِي رَدِّدْ عَـلَيَّ حَدِيثَهُ * فَـالأُذْنُ تَعْشَقُ ذِكْـرَ ذَاكَ الأَغْيُدِ

وَدَعِ الـمَـلاَمَ فَـمَا يَصُدُّ عَزِيمَتِي * شَـيْءٌ فَسَاعِدْنِي وَإِلاَّ فَـابْـعَـدِ

وَاعْـلَمْ بِـأَنَّ تَوَلُّهِي مَـا يَنْقَضِي * أَبَـداً وَوَجْـدِي مُـزْبَداً لَـمْ يَنْفَدِ

إِنْ كُـنْتَ ذَا قَـلْبٍ سَلِيمٍ سَالِـمٍ * فَأَنَا السَّلِيمُ وَلَيْسَ تَدْرِي عُـوَّدِي

قَـلْبِي تَـمَلَّكَهُ الـغَرَامُ بِـأَسْرِهِ * فَـجَوَارِحِي أَبَـداً بِـذَلِكَ تَقْتَدِي

إِنِّـي رَضَيْتُ مِـنَ الحَبِيبِ بِهَجْرِهِ * هَـبْنِي بِـذَلِكَ أَهْتَدِي أَوْ أَعْـتَدِي

لَـمْ يَـبْقَ فِـي هـوى المَلِيحِ بَقِيَّةٌ * تَصْغَى لِـقَوْلِ النَّاصِحِينَ الـرُّشَّدِ

مَـا زِلْـتُ بَـيْـنَ صَبَابَةٍ وَمَهَابَةٍ * مُـتَـحَـيِّراً فِـيـهِ أَرُوحُ وَأَغْـتَـدِي

لَـوْ أَبْـصَرَتْ عَيْنَاكَ نُـورَ جَبِينِهِ * وَضِـيَـاءِهِ كَـالـكَوْكَبِ الـمُـتَوَقِّدِ

أَوْ لَـوْ سَـمِعْتَ خِـطَابَهُ وَحَـدِيثَهُ * يُشْفِي غَلِيلَ الـمُسْتَهَامِ الـمكمدِ

أَوْ لَـوْ رَأَيْـتَ مَحَاسِناً فِـي وَجْهِهِ * جُـمِعَتْ وَإِحْسَاناً لَـهُ لَـمْ يُجْحَدِ

أَوْ لَـوْ رَأَيْـتَ جَـمَالَهُ وَكَـمَالَهُ * وَبَـهَـاءَهُ وَعَـلاَءَهُ كَـالـفَـرْقَـدِ

لَخَضَعْتَ إِجْـلاَلاً وَصِـرْتَ أَسِيرَهُ * وَحَلَفْتَ مِـنْ شَغَفٍ بِـهِ لاَ تَفْتَدِي

وَرَأَيْـتَ مِـنْ صُنْعِ الـمُهَيْمِنِ صُورَةً * وَسَـرِيـرَةً فِـي غَـيْرِهِ لَـمْ تُـوجَـدِ

وَرَأَيْـتَ رَوْضَ الأُنْـسِ حَيْثُ قُلُوبُنَا * مَـا بَـيْـنَ طَـيَّارٍ بِـهَا وَمُـغَـرِّدِ

حَـيَّا الـحَيَا أَيَّـامَ كُـنْتُ بِـقُرْبِهِ * أَجْنِي الـمُنَى مِـنْ خَـدِّهِ الـمُتَوَرِّدِ

لَـمْ أَنْـسَ لَيْلَةَ جَـادَ لِـي بِتَـأَلُّفٍ * وَتَـلَـطُّـفٍ وَتَـعَـطُّـفٍ وَتَـــوَدُّدِ

غَـفَلَ الرَّقِيبُ فَنِلْتُ مِنْهُ فُرْصَةً * يَالَيْتَهَا دَامَــتْ لِـصَـبٍّ مُـبْـعَدِ

بِـتْنَا نُشَعْشِعُ خَنْدَرِيسَ لِحَاظِهِ * بِـعَذِيبِ مَنْطِقِهِ الشَّهِيِّ الـمَوْرِدِ

حَتَّـى الـصَّبَاح وَمَـا أَلَـمَّ بِدِيرِنَا * إِلَّا رَقِـيـبُ الـفَجْرِ أَدْنَـى مَـوْعِدِ

حَـيْـثُ الـرَّبِـيعُ تَـفَـتَّقَتْ أَنْــوَارُهُ * كَـمُـنَـضَّـدٍ مِــنْ لُـؤْلُـؤٍ وَزَبَـرْجَـدِ

وَالـزَّهْرُ ينثرُ فِـي بِـسَاطٍ أَخْضَـرٍ * وَالـنَّـهْرُ كَالسَّيْفِ الـصَّقِيلِ الـمُغْمَدِ

وَالــرَّوْضُ مُبْتَهِجُ النَّبَاتِ يُزِينُـهُ * صَـــوْبُ الـحَيَا بِتَهَطُّلٍ مُـتَجَدِّدِ

مَـا بَـيْنَ أَبْـيَضَ كَاللُّجَيْنِ وَأَحْمَرٍ * مِـثْلَ الـعَقِيقِ وَأَصْـفَرٍ كَالـعَسْجَدِ

وَالـغُـصْنُ قَـدْ بَـعَثَ الـصَّبَا بِدَرَاهِمٍ * مِــنْ نُــورِهِ كَـرَماً بِـغَيْرِ تَـبَـدُّدِ

وَالــجَـوُّ يَـنْـفَحُ وَالـنَّسِيمُ مُعَنْبَرٌ * وَالـطَّيْرُ يَصْدَحُ فِي الغُصُونِ الميَّدِ

فَتَمِيسُ مِـنْ طَـرَبٍ لِـذَاكَ وَتَنْثَنِي * وَتَـخِـرُّ إِجْــلاَلاً لَــهُ كَـالسُّجَّدِ

لِـلَّـهِ مَـــا أَشْـهَـى وَأَحْـلَـى لَـيْلَةَ * جَـادَ الـزَّمَانُ بِـهَا بِـرَغْمِ الـحُسَّدِ

عَـجَزَ اللِّسَانُ فَلَمْ يَطِقْ إِحْصَاءَ مَا * طُـوِيَتْ عَـلَيْهِ مِنَ السُّرُورِ السَّرْمَدِي

مَـا رُمْـتُ أَحْصُرُ وَصْـفَهَا إِلاَّ انْثَنَى * عَـزْمِي كَـأَنِّي رُمْـتُ عَـلْيَا أَحْمَدِ

يُـحْصَى الـحَصَا وَالرَّمْلُ دُونَ صِفَاتِهَا * لاَ بَـلْ صِـفَاتِ إِمَـامِنَا ذِي الـسُّؤْدَدِ

لَـــوْ كَــانَ يُــدْرِكُ وَصْـفَهُ مُـدَّاحُهُ * طُـــرّاً لَـكَـانَ أَحَـقُّهُمْ ذُو الـمَقْصِدِ

فَـلَقَدْ أَتَـى فِـيهِ بِـمَا يُـسْبِي النُّهَى * وَيَـزِيـدُ فِــي إِيـمَـانِ كُــلِّ مُـوَحِّدِ

مَـــا إِنْ رَأَى رَاءٍ لَـــهُ شَـبَـهاً وَلاَ * رَاوٍ رَوَى خَـبَـراً كَـهَـذَا الـمُـرْشِدِ

فِـيهِ الـفَضَائِلُ وَالـمَكَارِمُ جَـمَّـةً * مَـا حَـازَهَا فِـي وَقْـتِنَا مِـنْ أَمْجَدِ

نِـعْمَ الذَّخِيرَةُ وَالـجَلِيسُ فَـلَمْ يَـدَعْ * شَـوْقـاً لِـشَخْصٍ مِـنْهُمُ أَوْ مُـنْجِدِ

وَيُـؤَنِّـسُ الـصَّـبَّ الـغَرِيبَ وَيُـنْعِـ * شُ الفَانِي وَيَجْلُو غُبَّةَ القَلْبِ الصَّدِي

سَـرِّحْ لِـحَاظَكَ فِـي رِيَـاضِ صِفَاحِهِ * مُـتَعَجِّباً وَانْـشَقْ شَـذَاهَا تُـرْشَدِ

وَأَنِـخْ رِكَـابَ الـعَزْمِ تَـحْتَ لِـوَائِهِ * وَرِدِ الـمَعِينَ بِـحَوْضِهِ وَتَــوَرَّدِ

يُـغْنِيكَ عَــنْ زَهْـرِ الـرَّبِيعِ وَزَهْـوِهِ * وَالـحَوْضِ وَالـرَّوْضِ الأَنِيقِ الأَسْعَدِ

وَاشْـكُرْ لِـجَامِعِهِ الـمُوَفَّقِ سَـيِّدِي * عَـبْـدِ الـسَّـلاَمِ الـقَادِرِيِّ الأَوْحَـدِ

أَكْـرِمْ بِـهِ مِـنْ سَـابِقٍ فِـي عِلْمِهِ * فَـــرْدٍ بِـأَسْـرَارِ الإلَـــهِ مُـؤَيَّـدِ
مَـاذَا بِـهِ طَيَّبْتَ يَـا ابْـنَ الطَّيِّبِ * الأَسْـمَاعِ مِـنْ خَبَرٍ صَحِيحٍ مُسْنَدِ
وَأَفَـدْتَـنَا مِـــنْ كِـمِيَاءِ عُلُومِكُمْ * بِـبَـدِيـعِ لَـفْـظٍ لِـلـجَمُوحِ مُـقَـيِّدِ
مَـا طَـابَ عَـنْ كَـنْزٍ وَحِـرْزٍ نَافِعٍ * أَوْ عِـــزِّ مِـقْـدَامِ الـشَّـرَى بِـمُـهَـنَّدِ
وَسَـلَـكْتَ مِـنْـهَاجَ التَّـحَقُّقِ لِلْـعُلَى * وَمَـنِ اقْـتَـفَى سُـبُلَ الـمَحَامِدِ يُـحْمَدِ
لاَزِلْـــتَ نَـفَّـاعـاً مُـفِـيداً نَـاصِـحـاً * لِـلْـخَـلْـقِ مَـأْجُـوراً لِـيَـوْمِ الـمَـشْـهَـدِ
تَـسْـرِي مَـوَاهِـبُ رَبِّـنَا مَـا نَـالَـهَا * إِلاَّ الـسَّـعِـيدُ وَمَــنْ أَتَـــاهُ يَـسْـعَـدِ
هَـذَا هُـوَ الـحُـسْـنُ الـبَدِيعُ طِـرَازُهُ * هَـذَا هُـوَ الـكَـنْزُ الَّـذِي لَـمْ يَـنْفَدِ
هَذَا هُـوَ الـسِّـحْرُ الـحَلاَلُ يُرَوِّحُ ال * عَـانِـي وَيُـنْـفِـي كُـلَّ خَـطْبٍ أَنْـكَـدِ
وَيَـزِيـدُ فِـي الـقَـلْبِ الـمَشُوقِ تَوَلُّعاً * وَتَـوَلُّـهـاً وَتَـحَـيُّـراً لَـــمْ يُـخْـمَـدِ
خَــلِّ الـخلـيَّ وَمَــا اقْـتَضَاهُ رَأْيُــهُ * فَـالشَّمْسُ مَا وضحَتْ لِعَيْنِ الأَرْمَدِ
هَـذِي ثَـوَاقِـبُ زَاهِـرَاتٍ فِـي الـدُّجَى * هَـــذِي مَـنَـاقِـبُ فَـــوْقَ كُـلِّ تَـعَـدُّدِ
هَـذِي عَـرَائِـسُ بِـالـمَحَاسِنِ تُـجْـتَلَى * تَـجْلُو الـعَشَا عَـنْ طَرْفِنَا كَالإِثْمِدِ
هَـــذِي رِيَـــاضٌ نُـمِّـقَـتْ أَزْهَـارُهَـا * هَـــذِي حِـيَـاضٌ عَـذْبَـةٌ لِـلْـوُرَّدِ
هَـذِي ثِـمَارُ الـمَجْدِ لَـكِن قطفهَا * بِـاللَّحْظِ يَـحْصُلُ لِلنُّهَى لاَ بِـاليَّدِ
هَـذِي يَـنَابِيعُ الـرِّضَى هَـذِي مَـرَا * تِـعُ الـعُلَى هَـذِي مَـوَاضِعُ أَسْـعُدِ
هَـذِي فَـضَائِلُ لاَ يُـحَاطُ بِـقَدْرِهَا * طُـولَ الـمَدَا هَـذِي شَـمَائِلُ سَيِّدِي
هَـذِي طَـرِيقَتُهُ الـسَّلِيمَةُ أَوْضَـحَتْ * سُـنَنَ الـشَّرِيعَةِ لِـلمُرِيدِ الـمُهْتَدِي
هَـذِي الـحَقَائِقُ بَـعْضُ بَـعْضِ عُلُومِهِ * فَـاعْـجَبْ لِـذَا الـبَحْرِ الـخِضَمِّ الـمُزْبَدِ
هَـذَا أَبُـو الـعَبَّاسِ أَحْـمَدُنَا الَّـذِي * وَرِثَ الـمَـكَارِمَ عَـنْ أَبِـيهِ مُـحَمَّدِ
هَـذَا ابْـنُ عَبْدِ اللَّهِ مِـنْ إِفْـضَالِهِ * عَـمَّ الـوَرَى مِـنْ أَبْـيَضٍ أَوْ أَسْـوَدِ
هَـذَا الَّـذِي أَخَـذَ الـقُلُوبَ فَـأَذْعَنَتْ * طَـوْعـاً بِـنَـظْرَتِهِ بِـغَـيْرِ تَـــرَدُّدِ
أَكْــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ أَكْـمَـلٍ وَمُـفَـضَّلٍ * وَمُـبَـجَّـلٍ وَمُـعَـظَّـمٍ وَمُـمَـجَّـدِ
نَـــالَ الـسِّـيَادَةَ وَالـمَـجَادَةَ وَالإِفَ * ادَةَ وَالـعِـبَادَةَ وَالـسَّـعَادَةَ فِـي غَـدِ
مَـانَالَتِ الـسُّبَّاقُ بَـعْضَ كَـمَالِهِ * كَـــلاَّ وَلاَ ضَــاهَـاهُ كُـــلُّ مُـسَـوَّدِ

أَوْهَـــى تَـقَـدُّمُهُ قُـــوَى حُـسَّـادِهِ * لَـمَّـا تَـفَـرَّدَ بِـالـعَـلاَ وَالـسُّـؤْدَدِ
أَعْـيَا وَأَتْـعَـبَ مَــنْ تَـصَدَّى بَـعْدَهُ * مَــنْ ذَا يَـصُـولُ بِـوَالِـدٍ كَـمُـحَـمَّدِ
فَـجَــزَاهُ رَبُّ الـعَـالَـمِينَ بِـفَـضْلِهِ * عَـنَّـا جَــزَاءَ الـعَـارِفِـينَ الـهُـجَّدِ
وَالــلَّـهُ يُـرْضِـيـهِ وَيُـرْضِـي دَائِـمـاً * عَــنْـهُ وَيَـكْـلَـؤُهُ لِـيَـوْمِ الـمَـوْعِـدِ
وَالــلَّـهُ يُـهْـدِينَا بِــــهِ لِـطَـرِيقِهِ * وَيُـدِيـمُـهُ لِـيُـقِـيمَ كُــــلَّ تَـــأَوُّدِ
وَيُـنِـيـلُـنَا إِحْـسَـانَـهُ بِـقَـبُـولِـهِ * فِـيـنَـا شَـفَـاعَـتَـهُ بِـجَـاهِ مُـحَـمَّدِ
صَـلَّـى عَـلَيْـهِ إِلاَهُـنَا مَـا أَقْبَلَتْ * بُـــزْلٌ تَـجُـوبُ لَــهُ الـفَلاَ بِـالـفَدْفَدِ

انتهت بحمد الله وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

المطلب في إعلام الإخوان بأن الشيخ التجاني رضي الله عنه قد اجتمع بسيدي عبد الله بن العربي بن الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله معن[1] المذكور رضي الله عنهم

قد تعرض في جواهر المعاني عند ذكر من اجتمع بهم الشيخ التجاني رضي الله عنه بأن منهم سيدي عبد الله بن سيدي العربي بن سيدي أحمد المذكور، المؤلف فيه المقصد الأحمد، وقد أخبر مؤلف الجواهر بأنه غسله بيده وجهزه[2]، وسنأتي هناك بحول الله بطرف من ترجمته، وقد وقع إقحام لفظة النجل عند تحليته في قوله:

---

[1]- عبد الله بن العربي بن أحمد بن محمد ابن عبد الله، صوفي جليل، التقى به الشيخ أبو العباس التجاني رضي الله عنه بمدينة فاس إبان زيارته الأولى لهذه المدينة سنة 1171 هـ، توفي عام 1188 هـ، أنظر ترجمته في معلمة المغرب 21: 7203. سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 402-403 رقم 816. موسوعة أعلام المغرب 7: 2404. إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 38.

[2]- أنظر جواهر المعاني لسيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص

ولقي بفاس الولي الصالح، نجل العارف الرابح، سيدي عبد الله، كما وقع سقوط اسم العربي عند التعرض لذكره في جامع[1] العلامة ابن المشري[2] رحمه الله، فإنه قال: ثم تلاقى مع سيدي عبد الله بن عبد الله، ولد سيدي أحمد بن عبد الله صاحب المخفية الشهيرة بمدينة فاس.

ووقع له ذلك أيضا في كتابه مواهب المنان[3]، فحصل الغلط بسبب ذلك لجماعة من الإخوان وغيرهم في إسم من لقيه الشيخ منهم بفاس، حتى أن العلامة الشهير أبو الزمزمي البركة سيدي محمد بن جعفر الكتاني أبقى الله حرمته وقع له الغلط في ترجمة سيدي

---

[1]- أنظر الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، للعلامة ابن المشري ص

[2]- محمد بن المشري السائحي السباعي، أحد أبرز أعلام الطريقة التجانية، توفي بقرية عين ماضي سنة 1224 هـ، ودفن بها بين قبري والدي الشيخ رضي الله عنه. أنظر ترجمته في كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 149-155. رفع النقاب، للمؤلف نفسه3: 191-194. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للمؤلف نفسه 2:65- 68. الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 127 (مخطوط خاص)، تطييب النفوس بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نسبه 208 (مخطوط) ثمرة الفنون، في فوائد تقر بها العيون ، للمؤلف نفسه 58 (مخطوط خاص) نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة168. فتح الملك العلام، بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 25. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 11. جواهر المعاني وبلوغ الأماني، لسيدي الحاج علي حرازم 1:62- 63. بغية المستفيد لشرح منية المريد، لسيدي محمد العربي بن السائح 256. أضواء على الشيخ سيدي أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 106-107. غرائب البراهين، في مناقب صاحب تماسين، للعلامة سيدي محمود بن المطمطية 22. غاية الأماني، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني رقم الترجمة 5. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين، لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1:310. وقد أفردته بترجمة موسعة عند تحقيقي لكتابه نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء 1_18. وأفرده العلامة سيدي محمود بن المطمطية بكتاب سماه: المطلع البدري في التعريف بابن المشري. الدرة الخريدة، للعلامة النظيفي 1:112 التجانية والمستقبل، للفاتح نور 149. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للعلامة إدريس العراقي 119 و 141 و 169. تفضيض ظاهر و باطن الأواني، بتكميل كتاب نيل الأماني، للمؤلف نفسه 2: 418 و 470 و 478 و 515 و 516.

[3]- أنظر مواهب المنان (روض المحب الفاني في مناقب الشيخ أبي العباس التجاني) للعلامة ابن المشري ص

العربي والد سيدي عبد الله المذكور، من كتابه سلوة الأنفاس، فإنه قال: وممن لقيه (يعني المترجم له) هناك بفاس وتبرك به الشيخ أبو العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ذكر في جواهر المعاني[1]. إهـ.. فأنت تراه نسب إلى جواهر المعاني بأنه لقي بفاس سيدي العربي رضي الله عنه، مع أن الشيخ ما لقي بها إلا ولده سيدي عبد الله.

و يدل على صحة ما قلناه أن الذي لقيه الشيخ رضي الله عنه توفي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، وفق ما نص عليه في الجواهر المذكور، بخلاف والده سيدي العربي بن سيدي أحمد[2] رضي الله عن الجميع، فإنه توفي رضي الله عنه سنة ست وستين ومائة وألف، حسبما نص عليه غير واحد، ونقله في السلوة المذكورة، وقد علمت موجب الغلط طبق ما ذكرناه هنا، وسنزيد ذلك بسطا بحول الله عند التعرض لترجمته فيما سيأتي إن شاء الله مع ترجمة سيدي العربي هذا، نقلا عمن ترجم له، والله الموفق.

لاحقة مكملة

للشيخ التجاني رضي الله عنه اتصال حبل برابطة سريه بينه وبين العارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن المذكور، وتمكن الإتصال باجتماعه بحفيده سيدي عبد الله بن العربي المذكور، وذلك قبل الإذن له من الحضرة المحمدية، باكتفائه بما يرد عليه من الإمدادات الخاصة به منها عن سائر الشيوخ،

ولقد اتصلت الرواية في المقصد الأحمد المذكور للشيخ رضي الله عنه بواسطة من ذكر، وقد أجاز في نسخة روايته محبه الخاص الخليفة السيد الحاج علي حرزام برادة، وهي التي أملاها عليه، وكتب على أول ورقة من الجزء الأول وآخر ورقة من الجزء الثاني إجازته، فكان طبق ما نص عليه فيها كلمة منه ورواية عنه.

---

[1]- أنظر سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 335

[2]- العربي بن أحمد بن محمد ابن عبد الله معن، صوفي فاضل، من أعلام مدينة فاس، ولد ضحوة يوم الأربعاء 9 ذي القعدة عام 1079 هـ، وتوفي بالمدينة ذاتها سنة 1166 هـ، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 334- 336. موسوعة أعلام المغرب 6: 2177. زهر الآس في بيوتات أهل فاس 2: 26.

وهذه النسخة هي التي رتب عليها من أعان الخليفة المذكور أبواب جواهر المعاني، وحذف منها مالا يناسب أحوال الشيخ رضي الله عنه، وأبقى من ذلك ما نسب ذكره من غيره تصرف في عبارته بزيادة أو نقصان، إلا فيما قل من ذلك، حسبما قابلناه مقابلة منتقد، حتى تحقق لدينا أن ذلك لا بأس به عند المعتقد، إلا ما كان من إلحاق الإجازة التي كتبها الشيخ عليه أولا وأخيرا، ففي القلب منها شيء، حيث نقلتا من محلهما من نسخة كتاب المقصد وألحقتا بأول ورقة من نسخة جواهر المعاني وآخر ورقة من أخيرها فإني لم أجد لها معذرة سوى كون الخليفة المذكور رأى ذلك الأمر سهلا،

وفي هذا المحل يتحقق أمر المنتسب لهذه الطريقة بما يجده عند وقوفه على هذا المقال، الذي أفصحنا فيه عن وجه الحق في هذا الشأن إلى مراجعة ما أسلفنا ذكره من الأحوال، التي تعتري المريد والمطالع على ما حررناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ذكر إجازة الشيخ رضي الله عنه للخليفة
سيدي الحاج علي حرازم برادة وضمانته له

لمن منَّ الله على صاحب الترجمة بتعرف الشيخ رضي الله عنه له، وأمده من أسراره ما أذهب كافة علله، تاقت نفسه للدخول لحضرة الوصول، بنيل تعجيل الفتح عليه، والظفر بما واعده به رضي الله عنه حين ألقى نفسه بين يديه، فكتب إلى سيدنا رضي الله عنه هذا الكتاب، نائبًا عنه في الخطاب، ليفوز منه بالجواب.

وَرُبَّ كِتَابٍ كَانَ أَنْفَعَ لِلْفَتَى * بِنَيْلِ جَوَابٍ مُنْتِجٍ لِمَطَالِبِهْ
فَيَشْرَحُ فِيهِ مَا تَقَاصَرَ نُطْقُهُ * لَدَى عَرْضِ حَالٍ مِنْهُ عِنْدَ مُجَاوِبِهْ

ونصه الحمد لله بلسان المرتبة الجامعة للكمالات كلها، والصلاة والسلام على من خصه الله بالعلوم والأسرار بأجمعها، وعلى حضرة سيدنا ومولانا وشيخنا أبي العباس السلام التام والقرب العام من حضرة ربها.

أما بعد، فالمطلوب من كمال فضل سيدنا الذي أسدى الله فضلا ورحمة ومددًا إلينا، أن يتفضل علينا سيدنا بما وعدنا بخط يديه الكريمتين إلينا، كما هو معهود من فضل سيدنا من غير استحقاق منا، بل محض فضل وإكرام وامتنان علينا من سورة [illegible] بما لها

من الأسرار والعلوم والوقت، وما لها من اللزوم، ودفع عوارضها من الشرور والهموم، وإعطاء ما لديها من الأسرار والعلوم، وأن يديم عليها بحول الله على عدد الدهر والعموم، وكذلك [illegible] الكتاب أيضا على ما يليق بالحال، ويزيل الإشكال، وإن ظهر لسيدنا أمر آخر فهو أدرى بحالنا، ولا نستحق شيئا على سيدنا، إنما ذلك فضل منه علينا

وأطلب منك يا سيدي الضمان الذي ضمنت لي بخط يديك من مقام مولانا الهمام الشيخ الأكبر أبي عبد الله سيدي محمد بن العربي الحاتمي، بما له من العلوم والأسرار والأحوال وسائر المقامات، وأن نكون وارثا له في جميع ذلك على كمال الأحوال، مع حفظ الشريعة المطهرة، وبشريتي محفوظة علي ضمانا لازما عند وصولي للمقام، وأن تفرغ علي من جلابيب الحكمة الإلهية والأسرار الربانية، وعلوم الشريعة وكنوز الحقيقة عند وصول هذا المقام دفعة واحدة من غير مشقة ولا تعب، وما طلبت مقام ابن العربي حتى عرفت وتحققت أن مقامك أعلى منه، و لا مطمع لي فيه، ولا ينبغي أن أحوم حوله.

وأطلب منك سيدي أيضا أن يدفع الله عني جميع العوارض التي تقطعني عن جميع الخيرات، فإني إن حاولت أمرا قطعتني عنه العوائق، ولا طاقة لي برفعها عني، وهذا الأمر عندي محقق الوقوع، وأنا عبد الله سألتك سيدي بوجه الله وذاته العلية وجاه رسول الله وجاهه عند الله إلا رحمت غربتي، وتوجهت إلى الله في دفع ملمتي التي حالت بيني وبين حقيقتي، فإني تحققت أن الفتح الأكبر لا يقع إلا بعد وصول المقام، ولا مطمع لي فيه الآن،

وأما تنوير باطني واستقامته وإظهار فضلك ومددك علي وحصول الخيرات لدي ظاهرا وباطنا فلا أقبل فيه عذرا من سيدي من الآن إلى حصول المقام، وبعد حصول المقام مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وأن تقبلني قبولا تاما، عاما شاملا، جامعا لأحوالي الظاهرة والباطنة، مع أولادي وإخواني وأحبائي وكل من أخذ عني وردك قبولا لا ينقطع عني إلى دخولي معك في أعلى عليين في جوار النبي صلى الله عليه وسلم.

وأطلب منك الضمان لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ضمانا لازما لا ينفك عني إلى دخولي الجنة، وأطلب منك الضمان أيضا أن كل ما أحاوله ينتج لي من أمر الدنيا

والآخرة، وأطلب من الله جلت قدرته ومن كمال فضلك ومددك الساري إلي أن أكون في جميع ذلك على بصيرة نافذة من ربي،

وأن لا يدخلني خلل في طريقي، ولا في حقيقتي. وأن تكون شريعتي كاملة وحقيقتي جامعة، وأن لا يتصرف فيَّ مخلوق دونك، وأن أكون مأمونا من السلب إلى دخول منزلي في الجنة، وأن تعاهدني أن لا تضرني ولا يحصل لي ضرر من جنابك لتقصيري وتفريطي، وعدم معرفتي لحرمتك وعلو منصبك، فإني لا أقدر أن أقدر قدرك، ولا أعرف أدبا نتأدب به معك، إلا إني ملقى بين يديك، وأسلمت قيادي لك ظاهرا وباطنا، فأنت أولى بي من نفسي، فلا أعرف ما ينفعني وما يضرني، ولا كتبت هذه الحروف إلا جهلا مني، قال أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.

وأطلب منك سيدي الضمان في كل ما يصدر مني من الأسباب المرضية، وممن طلب مني الدعاء أو حاجة من حوائج الدنيا، والآخرة ماعدا الأمور المخزنية، فإني بريء منها، وإن طلب مني أحد شيئا فإني أتوجه إليك بهمتي إليك فأطلب منك، فما أجابني به قلبي فعلته، إما بالترك أو الفعل، ولا أفعل فعلا إلا بالله تعالى ثم بك،

وأحوالي الظاهرة والباطنة كلها موقوفة عليك، وتحت حكمك وطوع يديك من الآن إلى حين وقوفي بين يدي الله، وهذه شهادتي بين يدي الله، فإني تحت حكمك وطاعتك، ولا أخالفك بحول الله وقوته في سرك وجهرك إلى دخولي جنتك، فأنا ولدك وعبدك وخديمك ومريدك، فلا مفر لي من بابك، وإن طردتني عن جنابك فأنا ملازم الباب، اعفر خدي في باب الأعتاب، ومتشفع إليك بحبيب الأحباب سيدنا محمد عليه من الله الصلاة والسلام،

فأقبل طلبتي، وجاوب عما في كتابي ليطمئن قلبي، ولا يخفى عليك حالي كيف خرجت من داري، ولا رجوع لي إليها إلا بهذا الضمان، وحين أفارقك يظهر علي خيرك ومددك الساري، فقد عاقني الدهر، وفارقني النوم، وضاع عمري هملا.

وأطلب منك سيدي أن أكون منك على بال، ولا تنساني سيدي، وراعي أحوالي الظاهرة والباطنة، ولا تقطع عني مددك لمحة واحدة سيدي لوجه الله، وأسألك سيدي بوجه الله العظيم، وبنبيه الكريم، أن تبشرني ببشارة إن كان لي نصيب في هذه الطريق العظيمة أولا

نصيب لي فيها، وهذا سوء أدبي وجهلي، فسامحني و اعذرني لما حل بي من الهجران والقطيعة عن حضرة ذي الجلال والإكرام،

والأهم عندي هو رفع العوارض عني جميعا، ولا أقبل فيهما عذرا لله تعالى، وهذه العوارض والعلائق والعوائد هي المانع لي من جميع الخيرات، فإن صرفت سيدي همتك إليها صارت هباء منثورا، وانزاحت عني، فإن اتكلت على عمل أعمله ضاعت أوقاتي ولا ينتج لي شيئا، فإن توجهت العلية انزاحت عني الهموم والغموم، ورقت إلى الأسرار والعلوم، وربحت ربحا عاجلا وآجلا من فيض علام الغيوب،

فالله الله سيدي لوجه الذات العلية وَجِّهْ وجهتك إلي وقلبك لدي لحظة واحدة تنزاح عني هذه العوارض والعوائق، وتنكشف لدي جميع الحقائق، فإن قبلتني قبولا تاما فبخ بخ، وإلا كنت من الهالكين، وكلا ومعاذ الله أن تردني خائبا خاسئا حسيرا، فأنت سيدي بحر زاخر لا تكدرك الدلاء، ولا ينقص جودك الإنفاق، وفي كل لحظة تأتيك من فيض الله الأرزاق،

ولنقصر العنان، ونطلب منك تطهير الجنان، وأستغفر الله مما كتبت يدي، وإساءة الأدب في حضرة سيدي، فأسألك العفو والتجاوز والصفح والقبول، كما هو معروف منك متداول.

ولولا جهلي ما كتبت حرفا واحدا، إلا لضعف حالي وقلة بضاعتي، ولكن علمت وتحققت أني خديمك وحبيبك وولدك، أسألك وأطلب منك بأني حبيبك ومحبوبك في الدنيا والآخرة، وهذا لا أقبل فيه عذرا، والسلام عليكم، ورضي الله عنكم، وأدام حياتكم لنا، وجعل نفع المسلمين كافة على أيديكم،

وأطلب منك أن يميتني الله على محبتك، وأولادي وأحبائي، وتضمنه لي، والسلام من عبدكم وتلميذكم وخديمكم، أفقر الورى إليكم، والغني بكم، علي حرازم برادة لطف الله به آمين والجواب بما يقر الله به العين، ويطمئن به القلب، وتسكن إليه الجوارح، والسلام من الله عليكم، ورحمة الله لديكم في كل لمحة آمين، انتهى ما كتبه رضي الله تعالى عنه.

فأجابه سيدنا رضي الله عنه وفق مطلوبه بما قرت به عينه، واطمأنت به نفسه، وتيقن بتحقيق الوعد الذي وعد به، ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وعليكم السلام، أما ما ذكرت من العوارض الحائلة بينك وما تقصد من عمل الآخرة فاعلم أن سببه ما تمكن من نفسك من الميل إلى الراحات، واقتحام ما تقدر عليه من الشهوات، فإنها سمعت أن مقام المعرفة بالله حاصل لها بلا تعب، فمالت إلى ما يقتضيه هواها من الراحات، فلو أنها علمت أن مقصودها من المعرفة لا يحصل لها إلا إذا جدت فيما هو من أمر الطريق معروف، وفارقت كل مألوف، لأجابت إلى ما يراد منها من المجاهدة، لأنها تريد الظفر بمطلوبها،

فلما سمعت أنه يحصل لها بلا تعب لم تجب إلى ما يراد منها من المجاهدة ومفارقة الحظوظ، فكل عارض لابد له من ظهور حكمه، فمن ظن أن قيام العارض بالقلب على حاله يمكن معه نقيض حكمه فقد جهل أمر الله عز وجل، ولم يحصل له من ظنه إلا التعب لا غير.

ومثل العارض كالسحاب في السماء، ومثال ما وراءه من المجاهدة كالشمس، فإذا صحا السماء من السحاب طلعت الشمس، وإذا وقع السحاب دونها حال بيننا وبينها فلا يمكن وقوع السحاب في السماء، وطلوع الشمس ضاحية من ورائه، وتعقل هذا وتأمله تستفد منه علما عظيما، وحيث قامت العوارض بالقلب من الميل إلى الراحات، واقتحام ما تقدر عليه من الشهوات، امتلأ القلب بصور الأكوان والميل إليها،

وحيث وقع ذلك تمكن تخليط القلب في أمر الهوى والبعد عن حضرة القدس وعن جميع مقتضياتها، فلا تزول منه هذه الأمور إلا بوارد الفتح الذي يفيض معه بحر المعرفة بالله، و إلا فلا تطمع أن يخلو قلبك من الظلام والكدر ما دامت في قلبك هذه العوارض، وحضرة الحق جارية على النسب، لا تخرج عن نسبها.

واعلم أن ما تطلبه له أجل مقدر، إذا جاء وقته جاء، ولا يتعجل بطلب تعجيلك، ولو رمت الخروج عما أنت فيه إلى تنوير القلب وصفاءه فاذهب وانقطع عما سوى الله، واستغرق أوقاتك في الذكر المفرد ترى العجب من تمكين الصفا، فإن لم تساعفك نفسك على هذا فاعلم أن مراد الله منك ما ذكرنا، واترك عنك ما يتغلغل في قلبك من خواطر السوء المفضية إلى سوء الأدب مع الله ومعنا بطلبك أمورا لا نسبة لها فيك إلا نسبة نقائضها

وهذا القدر كاف إن فهمت، وأما ضمان المعرفة بالله من مقام محي الدين فإنه أضمنه لك، إلا قطبانيته فلا أعلم فيها أمرا ولا غيره، ولا أضمنها، وهي موكولة إلى مشيئة الله وعلمه، وأما محبتك لنا فأنا أضمنها لك أن تموت عليها إن فارقك ما تخوفته عليك، وإني تخوفت عليك من طلبك الأغراض منا أن تنقطع عنا، وليس ذلك من جهتي، وإنما هو من جهة إكثارك منها،

فإذا طال أمرك ولم تر شيئا من أغراضك قال لك الوسواس ليس تم شيء يرجى، ولا فائدة تجتنى، فانهدم قصر اقتصارك علينا برغبتك في غيرنا، فتنقطع المحبة من أصلها، وتقع فيما لا قدرة لك على حمله من الضرر، ولا أذكره لك لعدم إمكانه، وإن انقطعت عنا رأيته ولو بعد حين، فتندم حيث لا ينفع الندم، بل اذهب والزم والتزم ما قلنا لك من الأوراد، مسلما قيادك لله في الرضا ما أقامك فيه، حتى يأذن الله لنا ولك بالفتح فقط، ودع عنك ما عدا هاذان،

وأما ما طلبت من الضمان في المعرفة بالله من كونها صافية من اللبس، ممزوجة حقيقتها بالشريعة، فإن أمرها لا يكون إلا كذلك لا غير، فلا تحتاج إلى ضمانة، وأنا ضامن لك ألا تسلب مادمت في محبتنا، وكل مادونه من دخول الجنة بلا حساب إلى ما وراءه وما قبله.

وسامحتك فيما لا تعلمه مما مقتضاه سوء الأدب، وأما السورة فتداومها 11000 كل يوم وكل ليلة، مختليا وحدك وقت ذكرها فقط، وبدءها أن تقرأ الفاتحة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق مرة، وتهدي ثوابهما لأهل النوبة في ذلك اليوم من الأولياء الأحياء، ثم تقوم وتقف مستقبلا وتنادي ح دستور يا أهل النوبة، جبهتي تحت نعالكم، ح ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين

ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ثم تسأل المدد في سر السورة وفق قضاء الحاجة التي تريدها ثلاث مرات، في كل مرة تناديه ثلاث مرات، وتسأل المدد منه صلى الله عليه وسلم، ثم تسأل المدد من جميع الشيوخ

الحاضرين، أعني الأحياء، تناديهم ثلاث مرات، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم 11 مرة بالفاتح لما أغلق،

ثم تشرع في ذكر الورد إذا لم يك في حاجة، فإذا فرغت منه صل على النبي صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق 11 مرة، و إن كان لحاجة تنوي الحاجة قبل الورد وبعد الصلاة 11 مرة، تذكر الورد بنيتهما، فإذا فرغت فارفع يديك وسل الحاجة منه ثلاث مرات، وصل على النبي صلى الله عليه وسلم في أول كل مرة وبعدها، ثم اقرأ الفاتح لما أغلق 11 مرة، ولا تقطع الورد عدد أيام الحاجة 11 مرة، فإن استجبت فذاك، وإلا أعد 11 يوما حتى تجاب والسلام. إنتهى ما كتبه سيدنا رضي الله عنه.

وهذا الكتاب مع الجواب نقلتهما في ترجمته من كتابنا كشف الحجاب، وذكرتهما هناك لمناسبة الموضوع، وقد ذكرت هناك إجازة سيدنا رضي الله عنه له، ولا بأس بنقلها هنا، ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، إلخ.. الحمد لله الذي عز جلاله، وعز كماله، وتقدست صفاته وأسماؤه، وتعالى عزه، وتقدس مجده وكرمه، وأصلي وأسلم على أشرف مخلوقاته، سيدنا محمد وآله، وبعد: فيقول أفقر العبيد، إلى مولاه الغني المجيد، أحمد بن محمد التجاني، عامله الله بفضله وكرمه في الدارين، أجزت وأذنت لحبيبنا وصفينا، ومحل ودنا وأنسنا، ومن له المحبة الكاملة الذاتية السارية من سويداء قلوبنا وسرنا، كاتب الحروف علي حرازم ابن العربي برادة المغربي الفاسي دارا، ومنشأ وقرارا،

إجازة عامة مطلقة، خالدة تالدة، قلبا وقالبا، وحالا ودواما، وانصباغا بما لدينا من العلوم الظاهرة والباطنة، و الأسرار والفيوضات والتجليات والترقيات والفتوحات والأنوار، وفي مدارج المقامات والإرادات والأحوال والأطوار، في جميع ما أخذناه من النبي صلى الله عليه وسلم تلقيا منه ومشافهة، من العلوم الظاهرة والباطنة والأسرار، والخواص والأحوال والأذكار،

وفي الورد المعلوم الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وإملائه الشريف، وقدره المنيف في الطريقة المحمدية، وبما اشتملت عليه من الأسرار والأنوار

الأحمدية، وفي جميع الطرق والأذكار والصلوات والأسماء والآيات والسور، وجميع الأسماء والمسميات، والإسم الأعظم الكبير الذي هو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي جميع تراكيبه وأسراره، وعلومه وفيوضاته وأنواره، وجميع تصرفاته عموما وخصوصا، تقيدا وإطلاقا، إجازة وإذنا تامًا عاما شاملا لأنواع التصرفات بأسرها، والدعوات بأنواعها وأسرارها، وعلومها وتصرفاتها، أبدا سرمدا، خالدا تالدا إلى يوم الدين.

وقد أقمناه مقامنا بدلا عن أنفسنا وعن روحنا ومقام قدسنا، فهو القائم عنا في حضرتنا وغيبتنا، وفي حياتنا وبعد مماتنا، فمن أخذ عنه فكأنما أخذ عنا، سواء بسواء، لا فرق، ومن عظمه فقد عظمنا، ومن احترمه فقد احترمنا، ومن أطاعه فقد أطاعنا، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله، ومن خالفه فقد خالفنا، ومن خالفنا فقد خالف الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر الاستطاعة.

وقد أجزنا وأذنا له في جميع مالنا مقروء ومسموع، ومفرق ومجموع، وإجازة ورحلة ومشيخة وإفادة ومروي من حديث وغيره، وقد أذنا له أن يأذن للغير ويلقن جميع ما أخذه عنا من العلوم الظاهرة والباطنة، وللطرق والأذكار، والخواص والأسرار، والترقي في مدراج الأنوار، في جميع ما أمليناه عليه من حفظنا ولفظنا، وفي جميع العلوم الظاهرة والباطنة، ويلقن أورادنا، ويعطي طريقتنا بما لها، ويلقن جميع ما سمعه منا، أو رواه عنا، أو أمليناه عليه بشرطه المعروف المذكور المقرر في محله.

وهذا الإذن منا عام له في حياتي وبعد مماتي، وأذنت له وأجزت أن يقدم الغير في إعطاء وردنا المعلوم بالشرط المذكور المحتوم مدة حياته وبعد وفاته، فله الإذن منا في إعطاء طريقتنا ووردنا من الآن إلى الأبد، يأذن لمن رآه أهلا لذلك، ويأذن له أن يأذن للغير، وهكذا سرمدا في مشارق الأرض ومغاربها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين،

فله الإذن الخاص عموما وخصوصا، تقيدا وإطلاقا، قلبا وقالبا، وحالا ومقاما وانصباغا، خالدا تالدا إلى يوم الدين، وقد سامحته وتجاوزت عنه في جميع ما أكل أو أخذ من متاعي بعلمه أو بغير علمه ظاهرا وباطنا، وفي جميع مخالفته لنا ظاهرا وباطنا، وفي جميع

الأحوال الظاهرة والباطنة المتقدمة والمتأخرة مسامحة تامة عامة، خالدة تالدة، قلبا وقالبا، وحالا ومآلا إلى الخلود الأبدي،

وله منا الرضى التام، الأكمل العام، رضى لا سخط بعده أبدا بطريق المحبوبية من الله ورسوله، وعاملته معاملة المحبوبين، الخلفاء الأوداء، أبدا سرمدا إلى الخلود الأبدي، وقد جعلناه الخليفة عنا، وأقمناه مقامنا في العلوم والأحوال والدرجات والترقيات، وأن يكون أحد الآمنين والسلام، وكتب الخديم الجاني، خديم حضرة التجاني الحسني، علي حرازم بن العربي برادة، كان الله له وليا، وبه حفيا، بتاريخ 8 ذي الحجة متم عام 1214هـ. والسلام، وبعدها بخط سيدنا رضي الله عنه ما صورته.

يقول كاتبه عفا الله عنه بعد حمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه، وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه، أجزت لحبيبنا وصفينا سيدي الحاج علي حرازم في كل ما كتب في هذه الفهرسة على صورة ما كتب فيها من أولها إلى آخرها، عينا عينا وحرفا وحرفا، إجازة عامة تامة، مطلقة شاملة، خالدة تالدة، وكتب مجيزا أحمد بن محمد التجاني، عامله الله بفضله وكرمه ورضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، إنتهى

مطلب مهم فيما أورده بعض المنتقدين على مؤلف جواهر المعاني فيما لم يعزه لمؤلف المقصد الأحمد مما نقله عنه

لا شك أن الشيء إذا نسب لمن استفيد عنه أفضل من نقله من غير عزو إليه، سيما في الفوائد العلمية، وقد قيل:

إِذَا أَفَـادَكَ إِنْسَـانٌ بِفَائِدَةٍ * مِنَ العُلُومِ فَلاَزِمْ شُكْرَهُ أَبَدَا
وَقُلْ فُلاَنٌ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً * أَفَادَنِيهَا وَأَلْغِ الكِبْرَ وَالحَسَدَا

وقد تساهل جماعة من العلماء في نقل جملة من المسائل المهمة، ولم ينسبوها لمن نقلوها عنهم، ومنهم من نسبها لنفسه لمقاصد لا ينبغي أن نسيء الظن بسببها، إلا أنهم بذلك وقفوا موقف التهمة في انتحال كل ما دونوه، وقد استحق من وقف في هذا المقام عند

العلماء الملام، ولقد وقع بين القسطلاني[1] والسيوطي تداع ومقال ونزاع، واتهم الثاني الأول بأنه يسرق من كتبه ويستمد منها، ولا ينسب النقل إليه، وادعى عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري، فألزمه ببيان ما ادعاه، فقال :

إنه نقل عن البيهقي وله عدة مؤلفات، فليذكر لنا أنه ذكره في أي مؤلفاته، لنعلم أنه نقله عنه، ولكنه رأى ذلك في مؤلفاتي فنقله، وكان الواجب عليه أن يقول نقل السيوطي عنه، ثم إن القسطلاني قصد إزالة ما في خاطره، فمشى من القاهرة إلى الروضة، وكان السيوطي معتزلا عن الناس بها، فوصل إلى بابه، ودقه، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا القسطلاني جئت إليك حافيا ليطيب خاطرك، فقال له: قد طاب، ولم يفتح الباب له، ذكره في كشف الظنون[2].

وللسيوطي مقامة سماها: الفارق بين المصنف والسارق، قال في كشف الظنون: ألفه في تأليف رجل استعار منه كتاب الخصائص[3]، وساق الألفاظ في تأليفه بعبارته، وادعى أنه له، وهو من مقاماته[4]، قال الجلال فيها: وإنما ورطه في ذلك الجهل بآداب المصنفين، فإنه ليس من أهل هذا المنزل، بل هو عن هذا الفناء بمعزل، أما سمع الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله :

تناصحوا في العلم، فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله. ولا بالأثر الوارد رضي الله عنه ناقله : بركة العلم عزوه إلى قائله، ولا رأى صنع المزني[5] حيث قال في أول مختصره الذي كساه الله لاخلاصه إجلالا ونورا، وزاده في الآفاق سرا وظهورا، كتاب الطهارة،قال الشافعي: قال الله تعالى :وأنزلنا من السماء ماء طهورا[6]، فما كان المزني

---

[1]- المراد به الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري، مؤلف كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، توفي سنة 923 هـ. أنظر ترجمته في الأعلام، للزركلي 1: 232.

[2]- أنظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة 2: 1897 .

[3]- الخصائص النبوية للشيخ جلال الدين السيوطي، تقع في مجلد، ذكر المؤلف أنه تتبع هذه الخصائص عشرين سنة إلى أن زادت على الألف، وله عليها مختصر سماه أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب.

[4]- أنظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة 2: 1215 .

[5]- أنظر مجمع الزوائد، للهيثمي (كتاب العلم) باب النصح في العلم 1: 360 رقم 605.

[6]- سورة الفرقان الآية 48

رءا هذه الآية في المصحف فينقلها منه بدون عزوه إلى إمامه، قال العلماء: إنما صنع ذلك لأن الافتتاح بها من نظام الشافعي لا من نظامه.

وقال في المزهر[1]، فصل: ومن بركة العلم وشكره عزوه إلى قائله، وقال في مقامة أخرى: وقد علم الله والناس من أمري في التأليف أن لا أنقل حرفا من كتاب أحد إلا مقرونا بعزوه إلى قائله ونسبته إلى ناقله، أداء لشكر نعمته، وبراءة من دركه وعهدته، وقال سفيان الثوري: نسبة الفوائد لقائلها من التحدث بالعلم وشكره، وعكسه من جحدان العلم وكفره،

وفي الحديث: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما[2]، قال السيوطي: يؤخذ منه أنه يجب على العالم أو المتعلم إذا استفاد مسألة من العلم أن يعزوها لصاحبها، و إلا فهو من الكتمان. إهـ..

تتميم

ذكرنا فيما سبق بعض ما يقنع المنتقدين، وإن كان المنتقذ لا يميل للإنصاف مع المعتقد، لما يراه من كون ما صدر من بعض أفراد الطريق يواخذ به جميع السالكين على منهاجها القويم، وكان ما ظهر له ذنب لا يغفر في جنب من انتحل كتابا أو قصيدة أو جوابا، ونحو ذلك مما وقع في نظيره من مؤلف جواهر المعاني، مع أنه رحمه الله معذور في ترتيب تأليفه المذكور ترتب المقصد الأحمد.

و قد تعرضت في ترجمته من كتابنا رفع النقاب بعد كشف الحجاب بما يبرد الغلة، ويبرئ العلة، فلننقله هنا تتميما للفائدة، فقلت، و على الله توكلت: إن مؤلف كتاب جواهر المعاني لما كان جمع بعض ما تلقاه عن سيدنا رضي الله عنه ثاقت نفسه إلى أن يكون

---

[1]- المزهر في علم اللغة لجلال الدين السيوطي. قال في كشف الظنون: وقد أجاد وابتكر في ترتيبه، واخترع في تنويعه وتبويبه، لم يسبق إليه غيره، وهو على خمسين نوعا، ثمانية منها راجعة إلى اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر منها من حيث الألفاظ، وثلاثة عشر أيضا من حيث المعنى، وخمسة منها من حيث لطائفها، والثمانية الباقية منها راجعة إلى رجال اللغة ورواتها.

[2]- رواه الحافظ البخاري (كتاب البيوع) باب إذا بيَّنَ البَيِّعَانِ ولم يكتما ونصحا رقم 2055.

مفروغا في قالب المؤلفات العالية النفس، فكان يعرض ما لديه من ذلك على أحبابه من العلماء الجلة، ليكونوا له عونا على مقصوده.

وقد ذكر العلامة ابن المشري في كتابه الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم أن الشيخ رضي الله عنه لما أذنهم في كتب ما تلقوه عنه بعدما أمرهم بحرقه شرع أخونا السيد الحاج علي حرازم رحمه الله ورضي عنه في كتابة هذه النسخة المنسوبة إليه، مع ما هو فائض من بحار سيدنا رضي الله عنه التي لا ساحل لها، واستعان بنا في الإملاء عليه، وفي مناسبة ترتيب النسخة التي بيده، فوضع لها فصولا وأبوابا بموافقتنا معا[1] .

وأمليت عليه نحو خمسة كراريس أو أكثر في القالب الكبير، ثم تفرد لكتابتها، وحده ورتب باقيها على ما ظهر له، فلما بلغ إلى آخر النسخة المنسوبة إليه وقع له السفر إلى الحرم الشريف الذي لم يرجع منه رحمة الله علينا وعليه، لآخر كلامه،

فأخبر أنه استعان به في الإملاء عليه وفي مناسبة ترتيبه، وأملى عليه نحو خمسة كراريس، وهذه الكراريس بنفسها هي التي أشار لها العلامة الشيخ أبو إسحاق سيدنا

[1]- أنظر الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، للعلامة ابن المشري ص

إبراهيم الرياحي التونسي[1] رحمه الله في كتابه المسمى مبرد الصوارم والأسنة، في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة[2]، وقال ما نصه:

ومن صحب الشيخ وانتفع به المرحوم أبو الحسن علي حرازم بن العربي برادة الفاسي، صاحب الأحوال العجيبة، عاشرته كثيرا، وشاهدت من اتباعه للسنة جما غفيرا، وهو الذي جمع التأليف المذكور فيه معارف الشيخ ومناقبه، وأظنه هو الذي وصل مصر، وليس جميع ما فيه عين اللفظ الصادر من الشيخ، ولكن غالب ما فيه مروي بالمعنى، إذ الشيخ لم يكتب ذلك بيده، ولا أن الناقل عنه محتاط كل الإحتياط في ضبط عين عبارته، ولكن إذا

---

[1]- العلامة سيدي إبراهيم بن عبد القادر بن سيدي إبراهيم الطرابلسي المحمودي بن صالح بن علي بن سالم بن بلقاسم الرياحي التونسي، ولد بتستور بتونس عام 1180 هـ، وأخذ العلم والمعرفة عن جماعة من جهابذة علماء وفقهاء تونس، منهم: حمزة الجباص، وصالح الكواش، ومحمد الفاسي، وعمر بن قاسم المحجوب، وحسن الشريف، وأحمد بو خريص، وإسماعيل التميمي، والطاهر بن مسعود، وغيرهم. أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها أولا بتونس عن العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي عام 1216 هـ. وبعدها بسنتين حدثت مسغبة ببلاد تونس، فرشح للذهاب للمغرب وملاقاة سلطانه قصد طلب المعونة، ولما جاء لمدينة فاس كان أول عمل قام به هو زيارة دار شيخه أبي العباس التجاني رضي الله عنه، حيث رحب به وأكرمه غاية الإكرام، كما أجازه في طريقته الأحمدية، وللعلامة سيدي إبراهيم الرياحي العديد من الأجوبة والتقاييد العلمية المفيدة منها: مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة، وديوان شعر مرتب على الحروف الهجائية، ومنظومة في علم النحو، وحاشية على الفاكهاني، وغير ذلك من المصنفات الأخرى. وكانت وفاته رحمه الله في 27 رمضان عام 1266 هـ. أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 132. وفي رفع النقاب، لنفس العلامة ج1 ص 17. وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 264. وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي، رقم الترجمة 12. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 113. وفي نخبة الإتحاف ، لنفس العلامة رقم الترجمة 297. وفي فتح الملك العلام، لنفس العلامة بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 6. وفي شجرة النور الزكية، لمخلوف ص 386 رقم الترجمة 1555. وفي الجيش العرمرم الخماسي لأكنسوس ج1 ص 294. وفي الأعلام، للزركلي ج1 ص 48. وفي اليواقيت الثمينة لظافر الأزهري ج1 ص 89. وفي معجم المطبوعات لسركيس 1381.

[2]- مبرد الصوارم والأسنة، في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة، للعلامة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي التونسي، رَدَّ به على المدعو علي بن محمد الميلي الجمالي، نزيل مصر، وهو كتاب قيم، يقع في جزء، أدرجه حفيد المؤلف العلامة سيدي عمر الرياحي في كتابه تعطير النواحي في ترجمة سيدي إبراهيم الرياحي.

قال شيئا نقله عنه إما صاحبه السيد محمد بن المشري والمرحوم المذكور، بحسب ما فهمناه عنه، نظرا إلى جواز الرواية بالمعنى، وفيه من الخلاف بين أهل العلم ما قد علم،

ولهذا تجد الكلام المنقول عنه مضطرب اللفظ، وغير جار في بعض المواضيع على القانون العربي، وقد كان المرحوم المذكور طلب مني أن أحرره له، فاعتذرت له بعدم الفراغ، وكل ذلك على أن تلك الألفاظ ليست أعيان الألفاظ الصادرة من الشيخ كما ادعاه من أشرب في قلبه حب الاعتراض على أهل الفضل، إلى آخر كلامه.

ولاشك أن صاحب الترجمة بعدما اجتمع بتونس بالعلامة الشيخ الرياحي المذكور ولم يجد منه فراغا لتحريره له وتنقيحه وتهذيبه بقي رحمه الله متشوفا إلى من يقوم له بهذا الإقتراح، حتى استعان بمن رتبه له ترتيب العقد المنظم المنضد، بما طابق المقصد الأحمد، في سبك خطبته وأبوابه وفصوله، حتى جاء نزهة للناظرين.

وقد تمت المناسبة فيه بتنزيل ما اشتمل عليه على أحوال سيدنا رضي الله عنه وانطباع الصفات الجليلة بتلك الألفاظ العذبة والعبارة الحلوة انطباع الصورة في المرءاة، ولم يقع في كلام الشيخ رضي الله عنه زيادة ولا نقصان في جميع رسائله وأجوبته التي هي على حدتها مما لا يرتاب فيه مرتاب، وبمقابلة ذلك لم يدخل لأحد فيما قلناه أدنى ارتياب.

ذكر بعض ما مدح به كتاب جواهر المعاني ومؤلفه رحمه الله

لقد كان مؤلف جواهر المعاني الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة عند أحبائه بمكانة مكينة من المحبة في الحضور والغيبة، وكل من اجتمع به يأخذ بقلبه وقالبه لما له من السمت الحسن وحسن الأخلاق الذي يستولي على القلوب، وكفانا أن أنقل هنا تنويها بشأنه ما كتبه مفتي الحاضرة التونسية، العلامة الذي اشتهر فضله في مشارق الأرض ومغاربها، الشيخ الإمام أبو إسحاق سيدي إبراهيم بن عبد القادر الرياحي، حسبما نقلناه في كتابنا كشف الحجاب، عمن نقله من خطه مباشرة.

وتعرض له حفيده أبو حفص[1] في كتابه تعطير النواحي[2]، ونصه: الحمد الله الذي من علينا بالإجتماع مع شيخنا العالم الهمام، رأس العارفين بلا نزاع، وقطب الواصلين بلا دفاع، ولي الله الذي هو في مراقبة الله وعبادته ومعرفته، حازم مولانا ووسيلتنا إلى الله وعمدتنا لديه، سيدي علي حرازم، أبقى الله نوره لائح الأسرار، وسره المشهور ساطع الأنوار، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار،

إلى أن قال بعد أن ذكر أنه أخذ عنه الطريقة، وسبب معرفته به ما نصه: ولما اشتد به وجدي، ولم يطق إخفاء شوقي ومحبتي به جهدي، أنشدت في مديحه ببركته إنشاد الهائم،

---

[1]- سيدي عمر بن محمد بن علي بن العارف بربه العلامة سيدي ابراهيم الرياحي التونسي. فقيه أديب مؤرخ فاضل. من أعلام الطريقة التجانية في بلده. كان عديم النظير في الصلاح والعبادة والتقوى. من بين مؤلفاته كتاب : تعطير النواحي في ترجمة سيدي ابراهيم الرياحي، يقع في جزءين، طبع بتونس عام 1320 هـ- 1902م، . وهو أديب وشاعر مفلق. ذو اطلاع واسع واستحضار عجيب. له بالعلامة سكيرج صداقة وعهود مثينة. تشهد لها وفرة ما دار بينهما من رسائل وأجوبة ومساجلات. وقد أدرجت جانبا منها في الجزء الأخير من كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج. وهو جزء خاص بما توصل به العلامة المذكور من رسائل. ولهذا سميناه : إتحاف السائل بما توصل به العلامة سكيرج من أجوبة ورسائل.

عموما فقد كان الأديب سيدي عمر الرياحي كثير المحبة لشخص العلامة سكيرج، وقد مدحه بقصائد كثيرة، منها قوله يخاطبه في طالعة إحدى رسائله :

يا من سمى بمحاسن وسداد = يا أحمد الممزوج فيه ودادي

يا أيها العز الفقيه سكيرج = يا عالم الأدباء والأمجاد

إني وحقك دائما أدعو لكم = بالعز والإقبال والإرشاد

سيما لدى جدي إذا ما جئته = أتلو وأذكر عنده أورادي

أبقاك ربي بالغا كل المنى = في النفس والأهلين والأولاد

أنظر ترجمته في تراجم المؤلفين التونسيين، لمحفوظ 2: 401 رقم 213. مشاهير التونسيين، لمحمد بوذينة 403. معجم المؤلفين، لكحالة 7: 314. معجم المطبوعات، لسركيس 1386. إيضاح المكنون، للبغدادي 1: 298.

[2]- تعطير النواحي في ترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، للعلامة سيدي عمر الرياحي، تحدث فيه بإسهاب عن ترجمة جده المذكور، فاستعرض جملة من علومه وتقاييده ورسائله وقصائده وفتاويه، كما ساق فيه تعريفًا شاملا بشيوخه ومراحل تعليمه، ونسبه، وظروف ولادته ووفاته، وما قيل فيه من قصائد الرثاء.

وأنشأت له قصيدة مطرزة ببعض شمائله ولم أخف فيه لومة لائم، فقلت، وعلى فيض سره عولت:

كَـرُمَ الـزَّمَانُ وَلَـمْ يَكُنْ بِـكَرِيمِ * وَصَفَا فَكَانَ عَلَى الصَّفَاءِ نَدِيمِي

وَأَفَـاضَ مِـنْ نِعَمٍ عَلَيَّ سَوَابِغاً * لِـلَّهِ يَشْـكُرُهَا فَـمِي وَصَـمِيمِي

عَظُمَتْ عَلَى الشِّعْرِ البَلِيغِ وَرُبَّمَا * عَـجَزَ الثَّنَاءُ عَـنِ الوَفَا بِـعَظِيمِ

وَأَجَلُّهَا نَظَرِي إِلَـى ابْـنِ حَـرَازِمٍ * وَتَـمَتُّعِي مِـنْ وَجْـهِـهِ بِـنَعِيمِ

وَتَـلَـذُّذِي مِـنْ خُلْقِهِ بِمَحَاسِنٍ * وَتَـمَتُّعِي مِـنْ خَلْقِهِ بِنَسِيمِ

وَتَـعَرُّفِي مِـنْ عَـرْفِهِ بِعَوَارِفٍ * وَمَـعَـارِفٍ وَلَـطَائِـفٍ وَفُـهُـومِ

وَتَــعَــزُّزِي بِـتَـذَلُّلِي لِـجَـمَالِهِ * وَتَـشَرُّفِي مِـنْ نَعْلِهِ الـمَخْدُومِ

ذَاكَ الَّـذِي حَمَلَتْ خَزَائِنُ سِرِّهِ * مَـا لَـوْ بَـدَا لَارْتَـابَ كُـلُّ حَلِيمِ

وَهُوَ الّذِي مُنِحَ المَعَارِفَ فَارْتَقَى * مِـنْـهَا لِأَرْفَــعِ سِرِّهَا الـمَكْتُومِ

وَهُـوَ الَّـذِي نَالَ الرِّضَى مِنْ رَبِّهِ * وَبِـنَيْلِهِ إِنْ شَــاءَ غَـيْرُ مَـلُـومِ

وَهُـوَ الَّـذِي أَذِنَ الرَّسُولُ بِوَصْلِهِ * وَأَمَــدَّهُ مِــنْ عِـنْدِهِ بِـعُـلُومِ

وَهُـوَ الَّـذِي التِّجَانِي أَوْدَعَ سِرَّهُ * فِـيـهِ وَخَــصَّ مَـقَـامَهُ بِـعُمُومِ

وَهُوَ الَّذِي وَهُوَ الَّذِي وَهُوَ الَّذِي * وَهُـوَ الَّـذِي مَعْنَاهُ غَـيْرُ مَـرُومِ

عَظُمَتْ لَدَيْهِ مَوَاهِبٌ أَضْحَتْ لَهَا * هِـمَمُ الـوَرَى تَسْعَى بِـكُلِّ سَلِيمِ

وَسَـعَـتْ مَـحَبَّتُهُ إِلَـى أَرْوَاحِـهِمْ * فَـهِـيَ الـغِـذَاءُ لِـرَاحِـلٍ وَمُـقِيمِ

يَـا سَيِّدِي وَلَـكُمْ دعـوتُ لسيدٍ * حَتَّى عـرفتك فَـاسْتَبَنْتَ رُجُومِي

وَعَـلِمْتُ أَنِّي كُنْتُ أَرْقُمُ فِي الهَوَى * وَأَسِيرُ خَلْفِي وَالـشَّقَاءُ نَـدِيمِي

يَـا مَوْئِلِي وَكَفَى بِفَضْلِكَ مَوْئِلاً * وَمُؤَمَّلِي عِنْدَ الْتِهَابِ سُمُومِي

هَلْ أَنْتَ كَاشِفُ كُرْبَتِي فَلَقَدْ سَطَتْ * وَطَغَـتْ عَـلَيَّ وَسَاوِسِي وَهُمُومِي

هَـلْ أَنْـتَ رَاحِمُ شِقْوَتِي فَـتُرِيحَنِي * فَـخِيَارُ أَهْـلِ الـلَّهِ خَـيْرُ رَحِـيمِ

هَلْ أَنْتَ مُنْقِذُ مَنْ تَـحَيَّرَ لَمْ يَجِدْ * مِـنْ مُسْعِدٍ مُجْلِي الـهُمُومِ زَعِـيمِ

فَـارْحَمْ دُمُـوعاً قَدْ رَأَتْكَ عُيُونُهَا * فَـتَـكَرَّمَتْ بِـاللُّؤْلُؤِ الـمَنْظُومِ

وَجَـوَانِحاً جَعَلَتْكَ فِـي سَوْدَائِهَا * وَقَـدِ اصْطَلَتْ وَتَـكَلَّمَتْ بِـكُلُومِ

وَجَوَارِحاً ضَرَعَتْ إِلَيْكَ يَقُودُهَا * أَصْلُ عَظِيمُ الشَّأْنِ غَيْرُ هَضِيمِ
وَسَرَائِراً لَوْ أَنَّهَا بليَتْ لَمَا * وَجَدُوا سِوَى شَوْقٍ إِلَيْكَ أَلِيمِ
وَمُتَيَّماً لَوْلاَ التَّذَكُّرُ لَمْ يَكُنْ * بِمُجَرَّدِ الأَشْوَاقِ غَيْرَ رَمِيمِ
لاَ تَقْطَعَنْ أَمَلِي وَقَدْ وَجَّهْتُهُ * يَسْعَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ خَيْرُ كَرِيمِ
وَقَدِ اتَّخَذْتُكَ فِي الأَنَامِ وَسِيلَةً * وَتَوَسُّلِي بِعُلاَكَ غَيْرُ خَصِيمِ
وَرَجَوْتُ مِنْ رَبِّي بِفَضْلِكَ مَا أَنَا * أَصْبَحْتُ مِنْ مَعْنَاهُ غَيْرَ عَدِيمِ
يَا مَسْنَدِي يَا مَقْصِدِي يَا سَيِّدِي * يَا مُنْجِدِي يَا مَوْئِلِي وَحَمِيمِي
أَنْتَ الَّذِي رَبِّي اصْطَفَاكَ لِسِرِّهِ * وَحَبَاكَ مِنْ فَضْلٍ عَلَيْكَ عَمِيمِ
فَلَكَ الهَنَاءُ فَأَنْتَ سُلْطَانُ الوَرَى * وَلِيَ الهَنَاءُ بِأَنْ تَقُولَ خَدِيمِي
وَرَسُولُهُ أَوْلاَكَ مَا اعْتَرَفَتْ بِهِ * لَكَ أَهْلُ سِرِّ اللَّهِ بِالتَّقْدِيمِ
فَسَلاَمُ رَبِّكَ كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا * يَغْشَاكَ طِيبُ مِزَاجِهِ المَخْتُومِ

ثم قال رحمه الله تعالى: فلما أنشدتها بين يديه وقد اعتراه من الحال ما لا يذكر، وأسبل من الدمع ما هو من الوابل أغزر، قال: هلم بمحبرة وقرطاس، ودفع بخطه المشرق والناس جلاس ما نصه: يقول لك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عني خيرا، وعن نفسك خيرا، ولك مني المحبوبية التامة، ومن الله جل جلاله، واتصل حبلك بعروة لا انفصام لها، ولك من الله ومني الرضا التام، ولك بذلك معارف وأسرار وسرور، والسلام عليك ورحمة الله انتهى.

ثم قال صاحب القصيدة : فأنظر رحمك الله هذه النعمة ما أكبرها، وتأمل بفكرك هاته العظمة ما أكثرها، فلله الحمد كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه، وله الشكر على ما أسدى من جزيل نواله وجليل إحسانه، فهذا هو الكرم، وهكذا يكون الجود، أبيات من الشعر في عصر كساده تستحق التسليم من أفضل الخلق والرضى التام والمحبوبية من الله تعالى ومن رسوله لقائلها، وذلك أمر دون نليه خرط القتاد، وتفتت الأكباد، وتذوب الأجساد، ولا مطمع فيه ببذل الأموال والأولاد، لولا فضل الله الواسع وكرمه الذاتي، الذي ليس عليه مانع. إهـ..

و قد ذكرت في كشف الحجاب قصيدة للأديب السيد الطاهر السوسي[1] رحمه الله مدح بها هذا الكتاب، ونقلنا في رفع النقاب تخميسها من نظم الفاضل السيد محمد الحافظ بن محمد عال الشنجيطي، ولا بأس بنقل ذلك هنا ونص الجميع:

خَلِيلِيَ دَعْ قَوْلَ الحَسُودِ المُكَابِرِ * وَ طَالِعْ بِإِنْصَافٍ كِتَابَ المَآثِرِ

وَ قُلْ لِلَّذِي يَبْغِي نَفِيسَ الذَّخَائِرِ * أَصَاحِ إِذَا رُمْتَ المَفَازَ فَبَادِرِ

لِفَهْمِ الَّذِي يُمْلِي كِتَابُ الجَوَاهِرِ

فَمِنْ مَنْبَعِ الأَسْرَارِ كَانَ صُدُورُهُ * فَطُوبَى لِمَنْ قَدْ خَامَرَتْهُ خُمُورُهُ

فَذَاقَ مَعَانِي مَا حَوَتْهُ سُطُورُهُ * كِتَابٌ بَدَا فِي مَطْلَعِ السَّعْدِ نُورُهُ

فَأَرْشَدَ أَرْبَابَ النُّهَى وَ البَصَائِرِ

تَبَدَّى وَ لَيْلُ الجَهْلِ جَنَّ بَهِيمُهُ * وَ سَاقَ إِلَى نَهْجِ الهُدَى مَنْ يُشِيمُهُ

وَ هَاجَ مِنَ الشَّوْقِ الدَّفِينِ قَدِيمُهُ * وَ فَتَّحَ أَكْمَامَ القُلُوبِ نَسِيمُهُ

---

[1]- العلامة الأديب الشهير سيدي الطاهر بن محمد بن إبراهيم الإفراني التامانرتي. من ذرية الولي الصالح سيدي محمد بن إبراهيم. دفين تامانرت ببلاد سوس. ونسب هذا الأخير ثابت معروف. ينتهي للصحابي الجليل الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو من مواليد عام 1270 هـ-1853م بأتكرت. من وادي يفرن. حفظ القرآن الكريم في سن مبكر من عمره. ثم اشتغل بطلب العلم. فأخذ عن جماعة وافرة من علماء وقته. كمحمد بن عبد الله بن صالح الألغي. وأخيه علي بن عبد الله الألغي. وأحمد الجيشتيمي التملي وآخرين.

وهو أحد أكابر أعلام الطريقة التجانية بسوس. أخذها على يد المقدم الجليل محمد الولتيتي الروداني. ثم عن العارف العلامة الشهير الحاج الحسين الإفراني. والولي الصالح البركة سيدي محمد أوتلضي. والعارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. ومن مؤلفاته: نظم على الحكم العطائية. ونظم لجزء من مختصر خليل. وديوان شعري مرتب على الحروف الهجائية، في مجلدين. ونظم في رسالة العضد. ووسيلة الجاني إلى القطب التجاني. إلى غير ذلك من التقاييد والأجوبة والأشعار الكثيرة. وكانت له بالعلامة سكيرج صداقة ومحبة قوية. والدليل على ذلك وفرة ما مدحه به من قصائد. فقد وقفت على ما يفوق العشرة منها. وهي في غاية الجودة والإتقان.

توفي في آخر شهر رمضان المعظم عام 1374 هـ- شهر ماي 1955م. بعدما تجاوز عمره القرن بأربع سنوات. أنظر ترجمته في رياض السلوان، للعلامة سكيرج ص 40. وفي المعسول، للمختار السوسي 7: 69-237. وفي سوس العالمة، لنفس المؤلف 209. وفي كتابنا: حديقة المنى والأماني في ذكر بعض أخبار سيدي العربي العلمي اللحياني ص 16. وفي كتابنا: خلاصة المسك الفائح بترجمة سيدي محمد العربي بن السائح. وفي الأعلام، للزركلي 3: 223. وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى، للقباج 1: 19-30. وفي موسوعة أعلام المغرب، لحجي 9: 3300.

فَطَابَ بِعَرْفٍ مِنْ شَذَا الشَّوْقِ عَاطِرِ

حَوَى مَا حَوَى مِنْ غَامِضَاتِ الحَقَائِقِ * وَ مِنْ جَوْهَرٍ مِنْ نَافِعِ العِلْمِ رَائِقِ

فَحَرَّكَ تِلْقَا بَابِهِ كُلَّ صَادِقِ * وَ هَزَّ إِلَى نَحْوِ الحِمَى كُلَّ عَاشِقِ

كَمَا اهْتَزَّ مَشْمُولٌ بِتَغْرِيدِ طَائِرِ

تَأَمَّلْ وَ حَاذِرْ وَعْدَهُ وَ وَعِيدَهُ * وَ جَانِبْ حِمَاهُ الدَّهْرَ وَارْعَ عُهُودَهُ

فَكَمْ قَادَ لِلْخَيْرَاتِ يَوْمًا سَعِيدَهُ * وَ دَلَّ عَلَى نَهْجِ الوُصُولِ مُرِيدَهُ

فَمِنْ مُدْلِجٍ سَارٍ وَآخَرَ سَائِرِ

وَ رِدْ وِرْدَهُ يَشْفِي الغَلِيلَ زُلاَلُهُ * وَ عَاشِرْهُ فَهْوَ الخِلُّ طَابَتْ خِلاَلُهُ

يَدُلُّ عَلَى المَوْلَى العَلِيِّ مَقَالُهُ * وَ ضَمَّ مِنَ العِلْمِ الغَزِيرِ مَنَالُهُ

وَمِنْ كُلِّ سِرٍّ كُلِّ زَاهٍ وَ زَاهِرِ

فَلِلَّهِ مَا مِنْ غَامِضٍ كَانَ أَظْهَرَا * فَمَا العِلْمُ إِلاَّ الصَّيْدُ فَهْوَ لَهُ الفَرَا

وَ مِنْ فَيْضِهِ رَوْضُ المَعَارِفِ أَزْهَرَا * حَقَائِقُ عِلْمٍ بَثَّهَا الشَّيْخُ لاَ أَرَى

لِعِزَّتِهَا تَشْبِيهَهَا بِالنَّظَائِرِ

تَحَلَّى بِهَا يَا حُسْنَهَا نَحْوَ سَيْرِهَا * وَ بَاعَ بِهَا حُلْوَ الحَيَاةِ بِمُرِّهَا

فَطُوبَى لِمَنْ قَدْ نَالَ مِنْ بَحْرِ سِرِّهَا * مَعَارِفَ لَمْ تَخْطُرْ نَفَائِسُ دُرِّهَا

لِكُلِّ فَتَى العِرْفَانِ يَوْمًا بِخَاطِرِ

كِتَابٌ لَهُ لِلسَّالِكِينَ مَسَالِكُ * تُوَصِّلُهُمْ لَمْ تُخْشَ فِيهَا المَهَالِكُ

بِهِ ضَاءَ لَيْلٌ لِلجَهَالَةِ حَالِكُ * كِتَابٌ كَرِيمٌ مُسْتَنَارٌ مُبَارَكُ

يَمُدُّ بِهَامٍ مِنْ نَدَى السِّرِّ هَامِرِ

فَبَادِرْ جِنَاهُ كَيْ تَنَالَ اقْتِطَافَهُ * وَ طِبْ مِنْ شَذَا لُبْنَاهُ وَ اشْرَبْ سُلاَفَهُ

عَلاَ دُرُّهُ حَقًّا فَحَاذِرْ خِلاَفَهُ * كَفَاهُ عُلاً أَنَّ النَّبِيَّ أَضَافَهُ

إِلَى نَفْسِهِ رَغْمًا لِأَنْفِ المُكَابِرِ

وَحَضَّ عَلَيْهِ آمِرًا بِالْتِزَامِهِ * عَلَيْهِ مِنَ المَوْلَى أَعَزُّ سَلاَمِهِ

جَوَاهِرُ عِلْمٍ رُصِّعَتْ مِنْ كَلاَمِهِ * جَزَى اللهُ مَنْ أَبْدَى جَمِيلَ نِظَامِهِ

بِرَوْحٍ وَ رَيْحَانٍ مِنَ الخُلْدِ وَافِرِ

لَقَدْ طَابَ فِـي الآفَـاقِ ذِكْـرُ جَلاَلِهِ * فَـلَمْ تَـأْتِ أَقْلاَمِي بِبَعْضِ خِصَالِهِ

وَلَـيْتَ جَـبِينِي مَـوْطِـئٌ لِنِعَالِهِ * وَ صَـلَّى عَـلَى رُوحِ الـوُجُودِ وَ آلِـهِ

وَأَصْـحَـابِـهِ أَهْـــلِ الـنُّهَـى وَالـمَـآثِـرِ

إِلَـهُ الـوَرَى مَـا اشْتَاقَ عَذْبَ وِصَالِهِ * مُـحِبٌّ وَ لَـوْ وَصْـلاً لِطَيْـفِ خَيَالِهِ

فَـفَـازَ بِـحَـظٍّ وَافِـرٍ مِـنْ نَـوَالِـهِ * وَ سَـلَّـمَ تَـسْلِيمًا بِـقَـدْرِ كَـمَالِـهِ

عَلَى شَيْخِنَا قُطْبِ الهُدَى وَ المَفَاخِرِ

وقلت في جنابه مخاطبا لحضرة الشيخ رضي الله عنه :

صِفُوا لِحَبِيبِي مَا أُلاَقِيهِ فِي الهَوَى * فَـإِنَّ فُـؤَادِي كَـادَ يَفْنَى مِنَ الجَوَى

عَـسَـاهُ عَـسَـاهُ أَنْ يَـجُـودَ بِعَطْفَةٍ * ويقصرُ مَـا قَـدْ مَـدَّهُ بِيَدِ النَّوَى

وَقُـولُـوا لَـهُ لاَ زَالَ لِلعَهْدِ رَاعِيـاً * وَلَمْ يَلْتَفِتْ بَعْدَ الغَرَامِ إِلَى السِّوَى

وَمَـا خَـانَ عَـهْـداً لاَ وَلاَ خَـانَ مَوْثِقاً * حَلِيفَ سِقَامٍ لَـيْسَ يُلْفَى لَـهُ دَوَا

يُـوَرِّقُـهُ تِـذْكَـارُهُ طُـولَ لَـيْـلِـهِ * وَأَشْـوَاقُـهُ نَـزَّاعَـةٌ مِـنْـهُ لِـلشَّوَى

حَنَانِيكَ فَاكْشِفْ عَنْهُ بِالوَصْلِ رَانَهُ * فَـإِنَّ لَـهُ قَلْباً بِنَارِ الجَوَى انْكَوَى

وَلَـيْسَ لَـهُ إِلاَّ الرِّضَى ابْـنُ حَـرَازِمٍ * شَفِيعٌ لِمَا يَبْغِيهِ مِنْكَ مِـنَ الدَّوَا

خَلِيفَتُكَ العُظْمَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ * وَنَـالَ مَقَاماً لَـيْسَ يَبْلُغُهُ السِّوَى

إِذَا ذُكِـرَ الـكَـمَالُ كَـانَ مُـقَدَّماً * بِمَا مِنْكَ مِنْ سِرِّ المَحَبَّةِ قَدْ حَوَى

بِفَضْلِكَ قَدْ أَلْبَسْتَهُ حُلَّةَ الرِّضَى * وَفِينَا عَلَى عَرْشِ المَعَالِي بِهَا اسْتَوَى

فَصَارَ بِصَدْرِ المَكْرُمَاتِ مُصَدَّراً * وَفِي مَجْمَعِ الأَقْطَابِ فِي يَدِهِ اللِّوَا

وَغَـدَّيْـتَـهُ أَلْـبَـانَ سِـرٍّ وَحِـكْـمَـةٍ * وَمِنْ حَوْضِكَ المَوْرُودِ حَقّاً قَدِ ارْتَوَى

هُـوَ الـكَنْزُ إِلاَّ أَنَّ فِـيـهِ عَـجَائِباً * وَلَـكِنْ عَلَى سِرِّ العُلُومِ قَدِ احْتَوَى

فَـمِـنْ بَـحْـرِهِ دُرُّ الـمَعَارِفِ يُقْتَنَى * وَفِي صَدْرِهِ العِلْمُ اللَّدُنِّي قَدِ انْطَوَى

وَإِنِّـي بِـهِ أَدْعُـوكَ يَـا خَيْرَ مُنْقِذٍ * فَخُذْ بِيَدِي إِنِّي سَقَطْتُ مِنَ الهَوَى

عَـلَيْكَ سَـلاَمٌ يُعْبِقُ الكَوْنَ عَرْفُهُ * وَيَشْمَلُ مَنْ فِي مَنْهَجِ الحَقِّ قَدْ ثَوَى

وقلت فيها هذه الأبيات:

جَوَاهِرُ المَعَانِي * تَاهَتْ بِهَا الغَوَانِي* عَلَى المُحِبِّ العَانِي

فِي حَضَرَاتِ القُدْسِ

قَدْ أكسبت سُكْرَهْ * مَا اعْتَادَهَا مِنْ خَمْرَهْ* فِي حَضْرَةِ المَسَرَّهْ

وَلاَ بِوَقْتِ أُنْسِ

فَزَادَ فِيهَا وَجْدُهُ * وَصَحَّ مِنْهَا رُشْدَهُ * وَجَلَّ فِيهَا حَمْدُهُ

* شُكْراً بِطِيبِ نَفْسِ *

كَمْ أَوْضَحَتْ مِنْ فَنٍّ * عَنْ غَيْرِهَا لاَ يُغْنِي * مَعْ مَا بِهَا مِنْ حُسْنِ

* قَدْ فَاقَ حُسْنَ الشَّمْسِ *

وَكَمْ شَفَتْ مِنْ عِلَّهْ * وَكَشَفَتْ مِنْ وَحْلَهْ * بِبَاهِرِ الأَدِلَّهْ

* بِالحَقِّ لاَ بِالحَدَسِ *

وَكَمْ أَتَتْ بِحُجَّهْ * لِسَالِكِ المَحَجَّهْ * بِحُسْنِ صِدْقِ لَهْجَهْ

* تُذْهِبُ كُلَّ لُبْسِ *

بِهَا انْجَلَتْ غُيُونُ * وَقَرَّتِ العُيُونُ * وَسِرُّهَا مَصُونُ

* عَنْ كُلِّ قَالِ نَحْسِ *

فَاللَّهُ قَدْ شَرَّفَهَا * وَبِالجَلاَلِ حَفَّهَا * فَفَازَ مَنْ أَلَّفَهَا

* بِحَضَرَاتِ الأُنْسِ *

وَهْوَ الرِّضَى حَرَازِمْ * مَنْ فِي الطَّرِيقِ حَازِمْ * يُرْشِدُ بِالمَكَارِمْ

* لِجَنَّةِ الفِرْدَوْسِ *

خَلِيفَةُ التِّجَانِي * مُنَاوِلُ الأَمَانِي * لِطَالِبِي الأَمَانِي

* مِنْ جِنَّةٍ وَإِنْسِ *

مُرِيدُهُ مُرَادُ * تَمَّ لَهُ المُرَادُ * وَهْوَ الَّذِي الأَسْيَادُ

* تَعْنُو لَهُ بِالرَّأْسِ*

وقلت في ترجمة الخليفة المذكور في جنة الجاني:

وَمِنْهُمُ الأَرْضَى عَلِي حَرَازِمْ * مَنْ هُو فِي نَهْجِ الرَّشَادِ حَازِمْ
أَقَامَهُ سَيِّدُنَا مُقَامَهْ * فلَمْ يَنَلْ مِنْهُ السِّوَى مَقَامَهْ
فَهْوَ الخَلِيفَةُ عَلَى الحَقِيقَهْ * عَنْ شَيْخِنَا فِي هَذِهِ الطَّرِيقَهْ
وَ كَانَ يُدْعَى عِنْدَهُ خَلِيفَهْ * حَتَّى ارْتَقَى بِالرُّتْبَةِ المُنِيفَهْ
وَ حِينَ حَلَّ بِمَقَامِ الفَتْحِ * سَافَرَ بِالإِذْنِ لِنَيْلِ الرِّبْحِ
وَ كَانَ فِي مَنَامِهِ وَ اليَقْظَهْ * يَرَى النَّبِيَ وَ بِودٍّ لَحظَهْ
يُحِبُّهُ مَحَبَّةَ الأَوْلاَدِ * وَ مِنْهُ نَالَ غَايَةَ المُرَادِ
وَ كَمْ لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ عَظِيم * وَ مِنْ مَقَامِ فِي العُلاَ مُقِيم
لَهُ التَّصَرُّفُ بِالإِسْمِ الأَعْظَمِ * وَ فِي التَّوَكُّلِ أَجَلُّ قَدَمِ
أَبْدَى لَنَا جَوَاهِرَ المَعَانِي * فِي ضِمنِهِ مَوَاهِبُ المَنَّانِ
وَ كَنْزُهُ المُطَلْسَمُ العَجِيبُ * صَنِيعُهُ بَيْنَ الوَرَى غَرِيبُ
وَ شَرْحُهُ العَجِيبُ لِلهَمْزِيَّةِ * دَلَّ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ مَزِيَّةِ
وَ كَمْ سَقَانَا سِرَّهُ المَخْتُومَا * أَوْدَعَهُ كُنَّاشَهُ المَكْتُومَا
وَ قَدْ تَلاَقَى مَعَ شَمْهَرُوشِ * وَ عَنْهُ يَرْوِي هَاجِمِ الجُيُوشِ
عَنْهُ تَلَقَّى سِرَّ حِزْبٍ يَمَنِي * بِإِذْنِهِ المُطْلَقِ طُولَ الزَّمَنِ
وَ حَازَ مِنْ سَيِّدِنَا إِدْرِيسَا * كَمَالَ أَسْمَاءٍ حَوَتْ تَقْدِيسَا
وَ مَوْتُهُ تَارِيخُهُ فِي الأُمَّهْ * رِحْلَتُهُ لِنَيْلِ بِرٍّ رَحِمَهْ

رجوع لتمام الإفادة ببقية التعريف بالخليفة السيد الحاج علي حرازم برادة رحمه الله

قد اشتهر أصلهم بأولاد برادة بمدينة فاس، ولم يثبت عندي شيء في تحقيق معنى هذه النسبة، وكل من أخبرني عن سبب اشتهارهم يعول في ذلك على التخمين، وعلى كل حال فبيتهم بفاس بيت فضل وعلم وتجارة وأمانة،

وقد وقفت على إجازة كبيرة القدر مكتوبة لجد صاحب الترجمة الفقيه الأستاذ سيدي محمد بن محمد برادة[1] في رق غزال مؤرخة في سادس ذي الحجة متم ثلاث ومائة وألف من الذخائر الثمينة عند امرأة صالحة من حفدته، عليها خطوط جماعة من العلماء الجلة، وهي طويلة الذيل، ربما تسع كراسة إن استخرجت من هذا الرق.

وقد اشتملت على التنويه بالعلم وفضل القرآن وحملته في السر والإعلان، وذكر السند المتصل إلى سيد الوجود من طرق مختلفة، مصدرة بخط المجيز الأستاذ الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الرايس[2] رحمه الله، أشهد على نفسه بالإجازة له، فلننقل هنا منها بعض ما سمحت لنا به الظروف مما لم يدخله تلاش فيها، ونص ذلك مباشرة من خط العلماء المذكورين:

الحمد لله كما يجب لجلاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله، وبعد فيقول أفقر الورى إلى ربه، الخائف من سوء كسبه، عبد الرحمان بن محمد الرايس، إني أجزت الطالب المجيب، المجود الأريب، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد برادة في القراءات السبع، إجازة تامة مطلقة، فنطلب من ساداتنا الشرفاء الكرام ومن أئمة العلماء الأعلام أن يشهدوا علي وعلى المجاز بوضع خطوطهم، مسلما عليهم وملتمسا منهم الدعاء الصالح، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما،

---

[1]- محمد بن محمد برادة جد العلامة العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم برادة (والد والده) كان أستاذا ماهرًا في علم القراءات، شهد له بالريادة في هذا الفن جماعة من كبار المقرئين بفاس، كانت له مشاركة في علوم عديدة أخرى كالفقه والحديث والسيرة والفرائض وغيرها، توفي بموطنه بفاس عام 1159 هـ.

[2]- عبد الرحمان بن محمد المدعو الرايس الفاسي، أستاذ مجود مقرئ، من حفاظ القراءات السبع، كان يدرس الطلبة بمدرسة العطارين، ويقرؤهم القرآن بالروايات، كما كان يدرس أيضا الشاطبية والألفية والرسالة وما إلى ذلك من المقررات الأخرى، وكان يؤم بمسجد القفاصين من عدوة فاس القرويين، توفي عام 1109 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1844-1845).

عبد ربه تعالى أحمد بن محمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر كان الله له. ومحمد بن علي مروان[1] لطف الله به ورحمه آمين. أحمد بن عبد الهادي بن طاهر الحسني لطف الله به، وأحمد بن عبد القادر الحسني القادري[2] كان الله له.

أحوج الخلق إلى مغفرة مولاه، إدريس بن علي بن إدريس، القاطن بدار القيطون[3]، كان الله له ورحمه أمين. وعبد ربه الأعلى عبد العزيز بن علي الطاهري الحسني غفر الله له ولوالديه. وعبد الواحد بن محمد بن محمد الشريف البوعناني[4] وفقه الله بمنه تعالى ورحمه. وعبد ربه الأعلى محمد بن عبد العزيز الطاهري الحسني الجوطي وفقه الله بمنه. وعلي بن أحمد بن جارية القصري أصلح الله حاله بمنه ويمنه،

وعبد الله تعالى الفقير لرحمته عبد السلام بن الطيب القادري الحسني[5] رحمه الله. أحمد بن محمد العربي بن الحاج[6] كان الله له. عبد ربه وأسير ذنبه محمد الصغير بن الحسن العلمي تاب الله عليه آمين. ومحمد بن محمد الكوهن لطف الله به. وعبد القادر بن علي

---

[1]- محمد بن علي مروان الأندلسي، فقيه أستاذ، له شهرة في علم القراءات وتجويد القرآن، توفي بفاس عام 1106 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1831)

[2]- أحمد بن عبد القادر القادري الحسني، فقيه مؤرخ صوفي، توفي بفاس يوم الإثنين 19 جمادى الأولى عام 1133 هـ، ودفن خارج باب الفتوح، قرب مصلى العيد بالجنان الموقوف لدفن أصحاب سيدي أحمد اليمني وسيدي أحمد بن عبد الله معن، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1969-1972).

[3]- إدريس بن علي المدعو ابن ادريس العمراني الجوطي الحسني، توفي بالردم سنة 1105 هـ، ودفن بحانوت بظهر الحائط الشرقي من مسجد الشرفاء بفاس، ثم أدخلت هذه الحانوت في مسجد الشرفاء عند توسيعه زمن السلطان المولى إسماعيل، وجعلت مزارة لضريح المولى إدريس من ناحية الطريق المجاورة لشرق قبته، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1830)

[4]- عبد الواحد بن محمد أبو عنان، فقيه مدرس خطيب مفتي، توفي بفاس بتاريخ 18 صفر عام 1106 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1831)

[5]- سبق التعريف به ضمن ص 122

[6]- أحمد بن العربي ابن الحاج، فقيه مدرس قاض، من أعلام مدينة فاس، توفي عام 1109 هـ، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1844)

السقاط كان الله له بمنه آمين. وعبد ربه عبد الكريم بن أحمد الشريف العراقي الحسيني كان الله له آمين. وأحمد بن علي الجرندي[1] كان الله له.

ومحمد بن عبد القادر الفاسي[2] كان الله له آمين. ومحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر[3] كان الله له. ومحمد الطيب بن محمد الفاسي[4] كان الله له بمنه ورحمه آمين. إدريس بن محمد العراقي الحسني[5] لطف الله به. وهناك خطوط أخرى وأشكال علامات لم أقرأها لتلاشيها بطي الرق المذكور وتمزيقه، فالمجاز المذكور من أجداد هذا الخليفة المكرم رحمه الله.

إعلام للإخوان بأن نسل الخليفة لهم في الطريقة التجانية كبير اعتناء و خدمة صادقة في هذا الجناب الأحمدي و محبة الشيخ رضي الله عنه لهم

إعلم أن لسيدنا القطب التجاني رضي الله عنه نظرة خصوصية ينظر بها أولاد الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة منذ سفره من الحضرة الفاسية، وقد ترجمت في كشف

---

[1]- أحمد بن علي الجرندي الأندلسي الفاسي، فقيه مدرس، من أعلام مدينة فاس، كان إمامًا بمسجد الشرفاء، وهو من أصحاب الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن، وبه سلك وانتفع، توفي بعد العشاء يوم الجمعة 11 محرم عام 1125 هـ، ودفن بجوار ضريح سيدي أبي غالب بحومة سريوة داخل باب الفتوح بفاس، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1946)

[2]- محمد بن عبد القادر الفاسي، فقيه مدرس، من أشهر علماء مدينة فاس، له مؤلفات كثيرة، توفي بتاريخ 28 رجب عام 1116 هـ، ودفن عن يسار المحراب بزاوية عم جده سيدي عبد الرحمان الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من مدينة فاس، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1899- 1901)

[3]- محمد بن عبد الرحمان الفاسي، فقيه مؤرخ مدرس صوفي، من أعلام مدينة فاس، توفي بتاريخ 5 جمادى الثانية عام 1134 هـ، ودفن مع والده وجده بزاويتهم بحومة القلقليين بفاس، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1974-1977)

[4]- محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي، فقيه مدرس فاضل، من أعلام مدينة فاس، توفي عام 1113 هـ، ودفن بجانب قبر جده سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 1892)

[5]- إدريس بن محمد العراقي الحسيني، فقيه فاضل، من أعلام مدينة فاس، توفي يوم الجمعة 7 صفر عام 1150 هـ، ودفن بروضة سيدي أحمد الشاوي بحومة الجرف من فاس القرويين، أنظر ترجمته في نشر المثاني، للقادري (موسوعة أعلام المغرب 5: 2079- 2080)

الحجاب ورفع النقاب لولده البركة المقدم سيدي بوعزة برادة، وسيدي عبد الواحد برادة، ولغيرهما من هذه العائلة، وترجمت لمن عرفت اتصاله من بني أعمامهم الذين أخذوا عن سيدنا رضي الله عنه مشافهة، ولا بأس بالإلمام بشيء يسير مما ذكرناه هناك تتميما للفائدة، وتبركا بذكر أسمائهم، فعند ذكر أهل النسبة تتنزل الرحمات

أُسْرُدْ حَدِيثَ الصَّالِحِينَ وَسَمِّهِمْ * فَبِذِكْرِهِمْ تَتَنَزَّلُ الرَّحَمَاتِ

الإلمام بطرق من ترجمة المقدم سيدي بوعزة[1] بن الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة

قد اشتهر بين الإخوان ما للمقدم البركة سيدي بوعزة المذكور من تقدمه على غيره من أقرانه من المقدمين في هذه الطريقة التجانية، وأنه من ذوي الخصوصية فيها الملحوظين عند الشيخ رضي الله عنه قيد حياته بعين الاعتبار، وعند أصحابه بعده بعيون التجلة والاحترام.

وقد تلقى التقديم في هذه الطريقة عن جماعة من فحول المقدمين فيها، بعد أن تلقى الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه مشافهة، ورشحه لتلقين الأذكار بعد أن لقنه بجملة منها مما لقن به الخاصة من أصحابه، ولكنه لم يتصدر لذلك في ذلك الوقت حتى أجازه بذلك

---

[1]- أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 218-219.رفع النقاب، للمؤلف نفسه 1: 226، الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية،27 و 78. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) أسنى المطالب، فيما يعتني به الطالب. للمؤلف نفسه 13-17 (مخطوط خاص) نخبة الإتحاف، في ذكر من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف. للعلامة الحجوجي 20-21. رقم الترجمة 2. أضواء على الشيخ سيدي أحمد التجاني وأتباعه، لعبد الباقي مفتاح 93. أزهار البساتين في الرحلة إلى السوادين لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة، لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 19. رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 291. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 332. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 109.الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 21. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي10. تفضيض ظاهر و باطن الأواني بتكميل كتاب نيل الأماني، للمؤلف نفسه 2: 388 و 507.

من أجازه، منهم المقدم الشهير أبو عبد الله سيدي محمد الغالي بوطالب[1]، فقد وقفت على خط يده بالإجازة له، وشهادة المقدم الكبير سيدي الطيب السفياني عليه بذلك. كما كتب الخليفة بالسماع عنه بذلك سيدي الحاج محمد الكبير لحلو، ونحن ننقل ذلك هنا من خطهم مباشرة، حفظا لذلك هنا، فإنه قال ما نصه:

---

[1]- سيدي محمد الغالي بوطالب، أحد أكابر أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، توفي بمكة المكرمة سنة 1244 هـ، ودفن بجانب مرقد أم المؤمنين مولاتنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها. أنظر ترجمته في كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 262-268. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص) ثمرة الفنون في فوائد تقر بها العيون، للمؤلف نفسه110 (مخطوط خاص). الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 59 و62 (مخطوط خاص). تطييب النفوس، بما كتبته من بعض الدروس و الطروس، للمؤلف نفسه 214 (مخطوط خاص). نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 8. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة إلى سيدي محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال. للمؤلف نفسه 15- 18 (مخطوط خاص). لوامع أنوار، وفيوض أسرار، للمؤلف نفسه 24. جلاء القلب الحزين العاني، في التمسك بالعهد الأحمدي التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط). شفاء القلب الكئيب، في مخاطبة الحبيب، للمؤلف نفسه (مخطوط). سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 9. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة. لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 5. بغية المستفيد لشرح منية المريد، لسيدي محمد العربي بن السائح 259-260. الرماح، لعلامة سيدي عمر الفوتي، في مواضع متفرقة منه، غاية الأماني، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 36 رقم الترجمة 17. ضالة الأديب، لسيدي عبد الله بن محمد الصغير ابن أنبوجه العلوي، بتحقيق المرحوم أحمد ولد الحسن 149. رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 303. أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين. لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 122. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 19. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 13. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 138. تفضيض ظاهر و باطن الأواني، بتكميل كتاب نيل الأماني للمؤلف نفسه 2: 261. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي.1-6، رفع العتاب، عمن ترك الزيارة من الأصحاب، للعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون 23. الفتح الرباني، فيما يحتاج إليه المريد التجاني، للطصفاوي 65. الترغيب والترهيب، لسيدي العربي العلمي 38. التجانية والمستقبل، للفاتح نور 147.

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما طلب من كاتبه عفا الله تعالى عنه وغفر ذنبه وهو محمد الغالي بوطالب التجاني الحسني فقال : حبا وكرما، فقد أذنت محبنا البركة أخانا سيدي بوعزة، ولد الخليفة الحبيب الأجل، العارف بالله الأكمل، سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي رحمه الله ورضي عنه، أن يلقن ورد سيدنا القطب المكتوم، مولانا أحمد بن محمد التجاني لمن طلبه منه، مع شروطه الأربعة، عدم الزيارة، والورد صباحا ومساء، والوظيفة، وذكر يوم الجمعة، والله تعالى يجعل الفتح لعباده على يديه بفضله وكرمه، وكتبه في عشية يوم الأحد 17 من جمادى الثانية عام 1280 هـ رزقنا الله خيره، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ونص المطوق به أعلاه: الحمد لله، يشهد كاتبه على نفسه أنه سمع من الشريف سيدي الغالي بوطالب المجيز أسفله أنه أذن لمجازه سيدي أبي يعزى ولد سيدي الحاج علي حرازم أن يقدم أربعة مقدمين، كل واحد يقدم أربعة مقدمين لا زائد، وذلك كله أذن فيه سيدنا الشيخ رضي الله عنه لسيدي الغالي المذكور، سمعنا ذلك كله من سيدي الغالي، وتحققناه، وكتب عبد ربه سبحانه الطيب بن محمد الحسني الشهير بالسفياني، وكذلك سمع منه عبد ربه محمد الكبير لحلو كما سمع الشريف سيدي الطيب حرفا بحرف، قال ذلك وتقلده. إهـ..

فمن نظر نص لفظ الإجازة التي كتبها بخط يده سيدي محمد الغالي رأى فيها التنصيص منه على التلقين للورد فقط دون تقديمه للغير[1]، ومن نظر إلى شهادة سيدي الطيب المذكور ومن معه رأى فيها الإذن له بالتقديم في العدد المذكور، وقد عمل على ذلك صاحب الترجمة، فقدم بعض ذلك العدد، ووصلنا حظ منه بإجازة شيخنا القاضي العدل

[1] ـ إشارة للتقديم المقيد، وقد عرف به العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب فقال : و أما المقيد فهو على قسمين أيضا :

الأول : أن يجيز الشيخ رضي الله عنه المقدم في تلقين أوراده فقط ، أو مع بعض الأذكار الخصوصية من غير إذن له في تقديم أحد . و هذا القسم إنما هو مقصور على صاحبه فلا يقُومُ مقَامَهُ غَيْرُهُ إذَا مَاتَ .

الثاني : أن يأذن له في إعطاء الورد فقط ، أو مع الأذكار الخصوصية أيضا كالأول منهما ، لكنه يزيد عليه بجواز تقديم عدد مخصوص إن احتاج إليه هذا المقدم من غير زيادة على العدد المقيد له فيه . فإذا نفد العدد لم يجز له و لا للمأذون له فيه أن يقدم إلا بإذن خاص أيضا .

سيدي حميد بناني[1]، عن المقدم سيدي علال الفاسي[2]، عن صاحب الترجمة، وهذا النوع هو المعروف بالتقديم المقيد، ولصاحب الترجمة التقديم المطلق من غير سيدي الغالي المذكور، وهو أن يقدم من شاء بما شاء من أذكار هذه الطريقة، وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا المحل، وقد كنت عقدت سندي في التقديم لتلقين الطريقة التجانية من إجازته الواصلة إلينا فقلت:

أَخَذْتُ الطَّرِيقَةَ عَنْ سَادَةٍ * عَلَى غَيْرِهِمْ فِي العُلاَ قُدِّمُوا
وَقَدَّمَنِي فِي الطَّرِيقِ رِجَالْ * هُمُ فِي البَرِيَّةِ قَدْ عُظِّمُوا
وَلِي سَنَدٌ فِي عُلاَهَا عَلاَ * وَأَعْلاَهُ عِنْدِي هُوَ الأَعْظَمُ
وَأَذْكُرُ لِي هَاهُنَا سَنَداً * بِهِ لِلعَلاَ انْتَصَبَ السُّلَّمُ
بِهِ قَدْ تَرَقَّى مُجِيزِي حُمَيْدْ * إِلَى مَنْصِبٍ قَدْرُهُ أَفْخَمُ
عَنِ الحَبْرِ عَلاَّلٍ المُرْتَضَى * فَأَكْرِمْ بِهِ سَيِّداً يُكْرَمُ
عَنِ المُرْتَضَى ابْنِ عَلِيٍّ حَرَا * زِمَ وَهْوَ بُوعَزَّةُ الأَكْرَمُ
عَنِ المُرْتَضَى وَهْوَ بُوطَالِبٍ * عَنِ الشَّيْخِ مَنْ فَضْلُهُ يُعْلَمُ

وقلت في ترجمته من نظمنا المسمى بجنة الجاني :

وَمِنْهُمُ بَدْرُ الدُّجَى بُوعَزَّا * نَجْلُ الخَلِيفَةِ الَّذِي قَدْ عَزَّا
قَدْ كَانَ عِنْدَ الشَّيْخِ فِي مَكَانَهْ * قَدْ رَفَعَ اللَّهُ بِهَا مَكَانَهْ
فَكَانَ فِي مَحَبَّةِ الشَّيْخِ لَهُ * قَدَمُ صِدْقٍ أَخْلَصَتْ عَمَلَهُ
أَقَامَهُ الشَّيْخُ مَقَامَ وَالِدِهْ * فِي الحُبِّ وَالوُدِّ بِرَغْمِ حَاسِدِهْ

---

[1]- أنظر التعريف به ضمن ص 192 من هذا الكتاب.

[2]- علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري، فقيه خطيب مدرس، من أعلام الطريقة التجانية بمدينة فاس، وهو من ذرية العلامة العارف بربه سيدي عبد القادر الفاسي، توفي عند زوال يوم الجمعة 12 جمادى الأولى عام 1314 هـ، ودفن خارج باب الفتوح، بقبة مجاورة لقبة الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي، أنظر ترجمته في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 219. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 66. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 151. الأعلام، للزركلي 4: 246. سلوة الأنفاس، للكتاني 2: 302.

وَكَـانَ مَلْحُوظاً بِعَيْنِ الإعْتِبَارْ * لَدَيْهِ فِـي أَصْحَابِهِ مَـعَ اخْتِيَارْ

وَكَـانَ مِـنْ جُمْلَةِ رُسْلِ الشَّيْخِ فِي * مَـارَامَ فِـي الصَّحْرَاءِ بِالتَّصَرُّفِ

فَـكَانَ فِـي الأَوْطَـارِ مَهْمَا أَرْسَلَهْ * أَتَـى بِـهَا وِفْـقَ الَّـذِي قَـدْ أَمَّـلَهْ

يَـبْذُلُ فِـي مَرْضَاتِهِ المَجْهُـودَا * فَـكَـانَ فِـي أَحْـوَالِـهِ مَـحْمُـودَا

فَـضَمِنَ الـشَّيْخُ لَـهُ مَـا أَمَّـلَهْ * مَـعَ ضَـمَانِ المُصْطَفَى لِلْفَتْحِ لَـهْ

وَلَـقَّـنَ الـشَّـيْـخُ لَـهُ الأَوْرَادَ * وَزَادَهُ مِـنْ سِـرِّهِ إمْـدَادَا

وَبَـعْدَ مَـوْتِ شَيْخِنَا التِّجَانِي * قَـدَّمَـهُ مُـحَـمَّدُ بَـنَّـانِـي

نَـزِيلُ مِـصْـرَ وَلَـهُ قَـدْ أَطْـلَقَا * فِـي الإِذْنِ مِثْـلَ مَـا بِـهِ تَحَقَّقَا

وَهُـمْ عَـنِ الشَّـيْخِ وَعَـنْ خَلِيفَتِهْ * يَـرْوِيـهِ بِـالإطْـلاَقِ فِـي طَرِيقَتِهْ

وَقَـدْ رَوَى التَّقْدِيمَ أَيْضاً فِيهَا * مُـقَـيَّـداً فَـزَادَهَـا تَـنْـوِيـهَا

عَـنْ شَيْخِهِ القُطْبِ التَّمَاسِنِي عَلِي * عَنْ شَيْخِنَا الخَتْمِ التِّجَانِي فِي العُلِي

بِـإِذْنِ مَـوْلاَنَـا الحَبِيبِ فَحُبِي * مِـنْـهُ بِـإِذْنِـهِ كَـمَـالَ الـمَطْلَبِ

وَذَاكَ حِـيـنَ طَـلَبَ الـتَّـقْدِيمَا * مِـنَ الـحَبِيبِ زَادَهُ تَـفْـخِيمَا

وَكَـانَ قَـبْـلَ ذَاكَ قَـدْ رَوَاهُ * عَـنْ سَيِّدِي الغَـالِي الَّـذِي ارْتَضَاهُ

فَـنَـوَّهَ ابْـنُ شَيْخِنَا الحَبِيبُ بِـهْ * وَذَاكَ مِـنْ كَـمَالِ حُـسْنِ أَدَبِـهْ

فَـكَـانَ يَـأْذَنُ كَـمَا أُذِنَ لَـهُ * لِـمَـنْ غَـدَا مُـؤَهَّـلاً إنْ أَمَّ لَـهْ

وَقَـدْ تَـخَـرَّجَ عَـلَـى يَـدَيْـهِ * جَـمَـاعَـةٌ فَـازُوا بِـمَا لَـدَيْـهِ

تَـقَدَّمُـوا فِـي هَـذِهِ الطَّـرِيقَهْ * عَـلَـى سِوَاهُمْ مِـنْ ذَوِي الحَقِيقَهْ

وَلِـي إلَـيْـهِ سَـنَـدٌ مُـتَّـصِلُ * بِـهِ إلَـى الـشَّيْخِ كَـمَا سَأَنْقُلُ

عَـنْ شَـيْخِنَا بَـرَكَـةِ الـزَّمَـانِ * حُـمَيِّدَ الـقَاضِي الـرِّضَى بَـنَانِي

عَـنْ شَيْخِهِ الفَاسِي الرِّضَى عَلاَلِ * عَـنْـهُ بِـنَوْعَيْهِ فَـلاَ إعْـلاَلِ

وَالـلَّـهَ أَرْجُـو أَنْ أَرَى مُـؤَيَّـدَا * فِـي مُطْلَقٍ وَفِـي الَّـذِي قَـدْ قُيِّدَا

الإلمام بطرف من ترجمة ولد الخليفة

سيدي عبد الواحد برادة[1]

تربى هذا السيد بين أولاد الشيخ رضي عنه في داره، حتى كان من لا يعرف أولاد الشيخ رضي الله عنه يظن أنه منهم، لاعتناء سيدنا رضي الله عنه به في حال صغره لترك الخليفة له في كفالة الشيخ قدس سره، وهو أصغر أولاده الذكور، وأمه من أولاد ابن زكري[2] وقد كان سيدنا رضي الله عنه مهتما بشؤون أهل دار الخليفة المذكور، حتى أنه أجرى عليهم النفقة من عندياته إلى أن توفي رضي الله عنه.

وقد تبعه على ذلك أنجاله الكرام، فنفدوا لنسل الخليفة المذكور نصيبا من مدخول الزاوية الفاسية، ولازال ذلك إلى الآن، وكان صاحب الترجمة على قدم صادقة في الأخذ بالحزم في القيام على ساق الجد في هذه الطريقة، معروفا عند جلة الإخوان بالصدق والفتح، حتى توفي رحمه الله وهو ملحوظ عند الجميع بعين الرضى، وعقدت ترجمته في جنة الجاني بقولي:

وَمِنْهُمُ السَّيِّدُ عَبْدُ الوَاحِدْ * إِبْنُ عَلِي حَرَازِمٍ لِلْقَّاصِدْ

حَبَاهُ شَيْخُنَا بِمَا حَبَاهُ * مِنْ بَعْدِ مَا فِي حِجْرِهِ رَبَّاهُ

تَظُنُّهُ فِي نَسَبٍ وَ أَدَبِ * مِنْ وَلَدِ الشَّيْخِ مِنَ التَّقَرُّبِ

أَلِفَهُ أَوْلاَدُهُ وَ أَهْلُهُ * فَجَلَّ بَيْنَ الأَوْلِيَاءِ فَضْلُهُ

وَ لَمْ تَكُنْ أُلْفَتُهُ بِغَيْرِهِمْ * بِمَا تَعَوَّدَ بِهِمْ مِنْ خَيْرِهِمْ

وَ هَذِهِ مَنْقَبَةٌ قَدْ بَانَتْ * مِنْ شَيْخِنَا لِغَيْرِهِ مَا كَانَتْ

---

[1]- أنظر ترجمته في كشف الحجاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 223-224. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 4: 69. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 1: 99 رقم 3. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 3.

[2]- ابن زكري، أسرة أندلسية، هاجرت إلى فاس وتطوان وتلمسان قبل سقوط غرناطة، أنظر زهر الآس في بيوتات أهل فاس، للكتاني 1: 470. معلمة المغرب 14: 4683.

الإلمام بطرف من ترجمة السيد الحاج أحمد
بن الخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة[1]

قد وقفت على رسالة بخط الخليفة سيدي الحاج علي حرازم كتبها من الحاضرة من تونس إلى أولاده يشرح لهم فيها أحواله و ما أصابه من التقلبات في مقامه وارتحاله، قال في صدرها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن خطه نقلت مباشرة :

من عبد الله سبحانه علي حرازم بن العربي برادة أمنه الله بمنه، إلى أولادنا وأعز الناس لدينا، وثمرة فؤادنا أحمد وبوعزة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فنسأل الله لكم خير الدارين الذي سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونعيذكم مما استعاذ منه صلى الله عليه وسلم، ويفيض عليكم بحور رضاه في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ثم أخبرهما بأنه بعدما اكترى في المركب في القاهرة مع رفيقه ابن عبد الرحمان، تأخر عن السفر لما أصابه من المرض الذي ألزمه التأخر إلى مركب آخر، خشية أن يلقي بنفسه للتهلكة بالسفر الذي لا طاقة له على تحمله مع الحاصل له، إلى أن يفرج الله عنه بالموت أو بالشفاء، وأن الناس بتونس قد انكبوا عليه بالأخذ للطريقة والتبرك، مع أنه في غاية الضعف والمرض، ثم استوصى بجميع أولاده وأهله خيرا.

ثم جعل عنوان هذه الرسالة الموجهة إلى أولاده، هكذا بيد أخينا الحاج مسعود برادة بالعطارين بفاس، أمنها الله آمين، بيد ولدنا الحاج أحمد برادة بدرب الطويل بفاس أمنها الله. إهـ.. ولم يبلغني عن صاحب هذه الترجمة إلى الآن سوى أنه من أحباب الشيخ رضي الله عنه الآخذين لطريقته مشافهة، مقتديا بوالده في خدمة جنابه رحم الله الجميع.

[1]- أحمد برادة، أكبر أبناء الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم، كان رجلا متواضعًا هينًا لينًا، متشبثًا بآثار والده، آخذا بأهذاب الطريقة التجانية، يُعَدُّ من جِلَّةِ رجالاتها بِالعاصمة العلمية فاس، غير أنه لم يعمِّرْ طويلا بعد وفاة الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه. توفي بفاس دون سن الستين من عمره، ومعلوماتنا حوله ضئيلة لا تتعدى ثلاثة أسطر.

الإلمام بطرف من ترجمة السيد الحاج مسعود[1]

أخي الخليفة سيدي الحاج علي

ترجمنا له في كشف الحجاب، ولم أعرف أنه أخ للخليفة سيدي الحاج علي إلا بعد ذلك، وقد كان معظما محترما عند الشيخ قدس سره وعند خاصة أحبابه، لقرابته من خليفته، وحسن سيرته وتنور سريرته، وفي ترجمته قلت في نظمي المسمى جنة الجاني:

وَمِنْهُمُ مُحِبُّهُ مَسْعُودُ * أَخُو الخَلِيفَةِ الرِّضَى المَحْمُودُ

أَثْنَى عَلَيْهِ الشَّيْخُ فِي المَشَاهِدِ * بِمَا بِهِ اتَّصَفَ مِنْ مَحَامِدِ

وَبِأَخِيهِ فِي الطَّرِيقَةِ اقْتَدَى * فَنَالَ فِي سُلُوكِهِ مَا قَصَدَا

قَامَ عَلَى قَدَمِ صِدْقِ الخِدْمَهْ * بِحُسْنِ سِيرَةٍ وَرَفْعِ هِمَّهْ

فَكَانَ مَلْحُوظاً لَدَى الإِخْوَانِ * بِمَا بِهِ قَدْ فَاقَ فِي الأَقْرَانِ

وَهَكَذَا الصَّادِقُ فِي الأَحْوَالِ * يُحْرِزُ مَا رَامَ مِنْ الآمَالِ

---

[1]- سيدي مسعود برادة، من قدامى تلامذة الشيخ أبي العباس التجاني بمدينة فاس، قال عنه العلامة سيدي أحمد سكيرج في الجزء الثالث من كتابه رفع النقاب : بلغني أن سيدنا رضي الله عنه وجهه مع بعض أصحابه إلى الحاضرة التونسية، لتفقد حال ابنة الخليفة سيدي الحاج علي حرازم بعد وفاته، وليعمل المتعين شرعا في حقها بالمحكمة الشرعية بتونس مع والدتها.إهـ..

وفي هذا الصدد أيضا ساق العلامة نفسه في ذات الكتاب ضمن ترجمة السيد المكي بن إسماعيل الأغواطي، ساق رسالة لهذا الأخير بعثها لمولانا الشيخ رضي الله عنه يخبره فيها ببعض الإجراءات الشرعية التي قام بها في هذا المجال بتونس، وذلك صحبة السيد مسعود برادة، قال في طالعة هذه الرسالة :

أما بعد السلام التام، والتحية والإكرام، إعلامكم لا جفت أقلامكم، أول ما نستفيده إن شاء الله صحتكم وسلامتكم، إعلام سيادتكم أننا بلغنا إلى محروسة تونس بجاهكم وسعدكم في أمان الله و حفظه لحضرة السيد حمودة باشا، صحبة السيد الحاج مسعود، وتلاقينا مع زوجة السيد علي حرازم وابنته، وتكلمنا معها في شأن البنت وانتقالها من عندها، فامتنعت الزوجة من إعطاء البنت، فرفعنا أمرها إلى السيد حمودة باشا، فأرسلنا للشرع، واجتمعنا لدى الشرع العزيز، فكلفنا الوكالة تكون بيد السيد الحاج مسعود. إلخ..

أنظر ترجمته في كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج، رقم الترجمة 25. رفع النقاب، للمؤلف نفسه، 3 رقم الترجمة ،إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للفقيه الحجوجي 2 رقم الترجمة 172. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 6.

الإلمام بطرف من ترجمة السيد الحاج عبد الرحمان[1]

برادة ابن عم الخليفة المذكور

هذا السيد من خاصة أحباب سيدنا رضي الله عنه، الذين كانوا عنده بمكانة من المحبة، المضمون لهم الفتح في الطريقة التجانية، وقد ظفر على يد الشيخ بما وعد به، فأحرزه طبق ما يتمناه، وقد كان حريصا على الأخذ بخاطر الإخوان قيد حياة الشيخ قدس سره وبعدها، وكانت لديه جملة وافرة من الذخائر التي أكرمه بها الشيخ رضي الله عنه وحازها من حضرته، وقد تبركت بكثير من المآثر المذخرة منه لدى حفدته، منها العصا التي كان سيدنا رضي الله عنه يتكئ عليها، وفيها قلت حين تبركت بها:

بُشْرَايَ قَدْ جَادَ لِي دَهْرِي بِأُمْنِيَتِي * وَحَازَ كَفِّيَ سِرّاً لَمْ يَكُنْ حَازَهْ

إِنْ فَاتَنِي مِنْ يَدَيْ شَيْخِي مُصَافَحَةٌ * فَالْيَوْمَ هَا أَنَا قَدْ صَافَحْتُ عُكَّازَهْ

وقلت في ذلك أيضا:

شَيْخِي التِّجَانِي لَهُ بَيْنَ الوَرَى رُتَبٌ * بِنَيْلِهَا رَبُّهُ عَنْ غَيْرِهِ مَازَهْ

إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَنِي التَّقْبِيلُ مِنْ يَدِهِ * فَالْيَوْمَ هَا أَنَا ذَا قَبَّلْتُ عُكَّازَهْ

وقد شاع أمر هذه العصا عند نسوان فاس، وأن من صعب عليها الطلق تمسكها بيدها وتقف فتضع بإذن الله، حتى صار ذلك عندهن من الأمور التي جربت فصحت، ومن ذلك

---

[1]- الحاج عبد الرحمان برادة، من أعلام الطريقة التجانية بمدينة فاس، وبها توفي عام 1234 هـ، ودفن بروضة سيدي ابن عمر داخل باب عجيسة، أنظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الحجوجي 2 رقم الترجمة 125. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للمؤلف نفسه رقم الترجمة 4. كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج، رقم الترجمة 22. تطييب النفوس بما استفدته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 232 (مخطوط). الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 28 (مخطوط). كناش الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي 109 و 170 (مخطوط). إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 125. معلمة المغرب 4: 1153. موسوعة أعلام المغرب 7: 2505. غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 31 رقم الترجمة 12.

التبرك بسرد سبحة اليسر[1] التي كان يعد سيدنا رضي الله عنه بها أذكاره، غير أنها يخص عدد المائة منها بعض الحبات، أخذها منها بعض الورثة بقصد التبرك بها[2]، وتلوت بها والحمد لله عددا من الذكر تبركا بقبوله.

ومن ذلك شعرات مدخرة لديهم من شعر الشيخ رضي لله عنه المأخوذ من شعره بقصد التبرك بذلك[3]، مما لابأس به عند من لم ينطوي باطنه على سوء اعتقاد وقبح انتقاد، وفي ترجمته قلت في جنة الجاني:

وَمِنْهُمُ الْمُحِبُّ عَبْدُ الرَّحْمَانْ * بَرَّادَةٌ قَدْ فَاقَ بَيْنَ الأَقْرَانْ
كَانَ لَهُ قَدَمُ صِدْقٍ فِي السُّلُوكْ * وَهِمَّةٌ مَا نَالَهَا إِلاَّ الْمُلُوكْ
مَا مَالَ لِلدُّونِ وَلاَ لِلدُّنْيَا * وَإِنَّمَا هِمَّتُهُ فِي الْعُلْيَا
صَعِدَ فِي مَدَارِجِ الصُّعُودِ * حَتَّى غَدَا مِنْ أَسْعَدِ السُّعُودِ
وَلَمْ يَزَلْ مُسْتَغْرِقاً فِي الذِّكْرِ * حَتَّى ارْتَقَى إِلَى مَقَامِ الشُّكْرِ

---

[1]- اليسر : شجر له حب شديد السواد طيب الرائحة، وفيه يقول بعضهم :

هو اليسر إن أردت عزا وراحة * وكنزا من الخيرات لا يتبدد
جليل محبب لدا الناس كلهم * ولونه صاف ذو نظارة أسود
يفوح بعطر المسك في كل ساعة * لتعلم باليقين أنه الأجود
ويكفي افتخارا أنها السبحة التي * بها يذكر الشيخ التجاني أحمد

[2]- قال العلامة سيدي أحمد سكيرج في كتابه الشمائل التجانية: كانت لسيدنا رضي الله عنه سبحة يذكر بها أذكاره اللازمة وغيرها، وكانت من النوع المسمى باليسر، ولم يكن فيها ترصيع بفضة ولا غيرها كما يستعمله من دأبه الفخر، وإنما اختار هذا النوع لسبحته والله أعلم لأمرين، أحدهما أن هذا النوع طيب كما أن الذكر طيب، فاختار الطيب للطيب، ثانيهما أن هذا اليسر فيه فأل حسن، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن، وكان عدد حبات سبحته مائة بلا زيادة ولا نقصان. وعلى هذا العدد تعقد كل سبحة تجانية اقتداء بشيخنا رضي الله عنه.

[3]- كان سيدنا رضي الله عنه منور الوجه بالشيب، غاب اسوداده في بياضه، بل عمه الشيب، وهو في فرح تام من ذلك الوقار الإبراهيمي الذي طالما تمنى أن يناله قبل الوفاة، لما تحققه في عالم سره بما للشيب من كبير الحرمة عند الله، ويعجبه سماع قول القائل في خضاب مولاه :

إن الملوك إذا شابت عبيدهم * في رقهم عتقوها عتق أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما * قد شبت في الرق أعتقني من النار

مُـعَـمِّراً أَوْقَـاتَـهُ فِـــي عُـمْـرِهْ * مُـشَـمِّـراً أَذْيَـــالَـهُ لِـوَطَـرِهْ
فَنَالَ طِبْقَ مَا تَمَنَّى فِي المَلاَ * وَفَـتْـحُـهُ بِـشَـيْـخِهِ قَـدْ كَـمُـلاَ
وَكَـمْ لِـهَـذَا الـسَّـيِّـدِ الـمُـبَـجَّـلِ * مِـنَ الـمَـآثِرِ وَمِـنْ سِـرٍّ جَلِي
وَصَاحِبُ الصِّدْقِ يَفُوزُ بِالمَرَامْ * وَلَمْ يَزَلْ يَحْظَى بِهِ طُولَ الدَّوَامْ
فَاصدقْ تَرَى بِالعَيْنِ سِرَّ الصِّدْقِ * فَـالصِّدْقُ مِـنْ عَـادَةِ أَهْلِ الحَقِّ

خاتمة،

وهي في الحقيقة كالمقدمة

بعدما دعتني الدواعي إلى شرح هذا الكتاب وشرعت فيه وقفت أمامي عقبات، كادت أن تحول بيني وبين الغاية التي نويت الوصول إليها، وأنا راكب على مطية العزم، لكن داخلني الفشل حين نظرت للنتيجة التي أحصل عليها بعد الوفاء بالوعد طبق القصد، وأي نتيجة في شرح كتاب يراه المعتقد واضح المعنى، سالم المبنى، وتوضيح ما اشتمل عليه من تحصيل الحاصل، وما هو كالشمس في الظهور لا يقال فيه للبصير هذا شيء خفي أو ظاهر أو ناقص أو كامل، فإن تفسير الواضحات من المفضحات، وليس في ذلك إلا تسويد وجه الورق بلا طائل، وتضييع العمر عند العاقل.

ويرى المنتقد كون هذا الشرح والمشروح مما لا نفع فيه للشبيبة الناشئة في حجر العلوم العصرية، فإنهم ينظرون إلى كتب التصوف بعيون ملؤوها استخفافا بمن انخرط في حزب شيوخ الطرق والزوايا، أو اعتقد كرامات من تقدم، مما عدوه من المضحكات، وما في ضمن ذلك من البلايا، فالشرح والمشروح والموضوع فيما هو من هذا القبيل في أنظارهم لا طائل تحته، ويعدون كل من ألف في مثل هذا ممن ضيع وقته، سيما والمستقبل قاض برفض الدين.

وقد ظهرت مبادئ ذلك في المتمدنين، فتكون كتب التصوف وما كان من معناها من كتب الفقه عندهم موضوعة في خزائن الكتب التي يعدونها من نوع الآثار القديمة الموضوعة في المتاحف، فلا ينظرون إليها إلا من جهة الإعجاب بأهلها الذين ضيعوا أوقاتهم في

تأليفها، مستهزئين بهم في ما ألفوه، وكأن أهلها الذين صرفوا في تأليفها نفائس أنفاسهم لا عقل عندهم، ولو كانت عند مؤلفيها عقول لعمروا دنياهم التي هي النتيجة الكبرى الواضح منفعتها في نظرهم، وكفى بهؤلاء المنتقدين خسارة في الدين، وعدم وصولهم للغاية التي وصل إليها غيرهم من المتمدنين غير المتدينين.

ولقد نظرت لنظر المعتقد فوجدته مصيبا في الجملة، ولنظر المنتقد فوجدته يناسب عقله، غير أن خير الأمور التوسط في كل شيء، فعملت على ما رأيته في كتبي لهذا الشرح، غير مبال بما يخطر بالبال من أوهام توقع التردد أو التأخر عن المقصد الذي لا يلتفت في الظفر به إلا اقتحام مخطرات الأهوال في أوحال الأحوال،

وليس كل معتقد يستغني عن الشرح، ولا كل منتقد تمكن فيه بغض ذوي الفتح، فرفض ما يقصده مفيدا إخوانه لخطرات وهمية لا ينبغي له بين أقرانه، ولعله ينفع من اطلع عليه في الحال، أو غابر الاستقبال، كما يضر بآخرين لم أرد فيهم إلا الإصلاح ما استطعت، برفع النقاب عن وجه الحقيقة، وكشف الحجاب عن مخدرات المعارف لإخواني في هذه الطريقة، ويجد فيه غيرهم ما تقر به أعينهم، وإن كانوا من ذوي الاعتقادات المرضية في أهل الحق، وإني أرجو الله أن ينفع الجميع، بجاه النبي الشفيع، صلى الله عليه وسلم.

وَقَدِ اعْتَذَرْتُ بِمَا اعْتَذَرْ * تُ بِهِ فَهَلْ مِنْ عَاذِرِ

مَنْ لَامَنِي مِنْ بَعْدِهَا * ذَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ

ولقد أعربت أولا عن النهج الذي أسلكه في هذا الشرح، وفاتني أن أبين الخطة التي أجري عليها في تطبيق لفظ المشروح على لفظ المقصد الأحمد، بذكر عباراته أو إتمام ما نقص منها، ليعمل المنتقد على شاكلته إن لم يقتنع بالأعذار المتقدمة، وليتحقق المعتقد بما ذكرناه، فيقول بما قلناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحيث وصلنا إلى هذا المقام، فلا بد أن نتكلم هنا على مالنا من الإذن والإجازة في هذه الطريقة فنقول :

سندنا في الطريقة الإجازة فيها

قد تلقيت الطريقة التجانية عن جماعة من أجل المقدمين فيها، كما تلقيت التقديم فيها عن بعض الخاصة من المفتوح عليهم فيها، فأجازني في ذكر أورادها اللازمة شيخنا العارف

بالله العلامة الكبير مولاي عبد المالك الضرير[1]، بعد أن لازمت ذكرها من غير إذن فيها، وكنت في بعض الأحيان أحضر في الزاوية الشريفة مع جدي بركة السلف سيدي الحاج عبد الرحمان سكيرج[2]، لذكر الوظيفة فيها وحضور ذكر الجمعة، كما كنت أرافق والدي في

---

[1]- عبد المالك العلوي الضرير، من أعلام الطريقة التجانية، توفي صبيحة يوم الجمعة 16 جمادى الثانية عام 1318هـ، بسبب حمى خفيفة مرض بها نحو أربعة أيام، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن بالزاوية الناصرية بحومة السياج من مدينة فاس، و قد أفرده تلميذه عبدالسلام بن عمر العلوي بتأليف سماه : الروض النظير في الإعلام بأحوال مولاي عبد المالك الضرير، ورثاه تلميذه العلامة سيدي أحمد سكيرج برائية قال في مطلعها :

ما بال صبرك بعد الحزم قد قهرا * ودمع نوحك طوفانا على ما جرى

أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 234، وفي قدم الرسوخ لنفس العلامة رقم الترجمة 7، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 68، وفي نيل المراد لنفس العلامة ج 1 ص 14، وفي فهرسة العلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري ص 38. معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي 2: 208 رقم الترجمة 88. إتحاف المطالع، لابن سودة 1: 348. الأعلام، للزركلي 4: 164. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 246_ 247. موسوعة أعلام المغرب 8: 2823. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة 1: 214. إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، للعلامة حسن مزور 39_43. نخبة الإتحاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 154. الشكل البديع في النسب الرفيع، لعبد الكبير بن هاشم الكتاني (مخطوط خاص). الدرر البهية و الجواهر النبوية، للفضيلي 1: 241. مختصر العروة الوثقى، للحجوي 51. فهرس العلامة المؤرخ محمد (فتحا) سكيرج (مخطوط خاص)..

[2]- الحاج عبد الرحمان سكيرج كان معاصرا للشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه. محبا فيه متمسكا بطريقته. عاضا عليها بالنواجذ. لكنه لم يأخذ عنه الورد مباشرة لصغر سنه وقتذاك. بل أخذه بعد وفاته عن بعض الخاصة من المقدمين بفاس المحروسة. وقد ترجم له حفيده الحاج أحمد سكيرج في كتابه كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب. ص 239 فقال في حقه بعد كلام ما نصه: وكان يدعو كثيرا لمن تسبب له في الدخول في هذه الطريقة ويجازيه بالخير. ويقول له: قد كنت في غفلة عن هذا الخير العظيم الذي أنعم الله به على هذه الأمة. والآن أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني للدخول فيها. وكان يذكر في كل يوم صلاة الفاتح لما أغلق أزيد من 3000. مرة إلى أن توفي رحمه الله وفاة الصالحين. بعدها قرأت عليه الوظيفة الشريفة. وهو يقرأها. وعند فراغها قال لأهله: أين الكأس الذي أتاني من عند الإله. وصار يبحث فوق الفراش عنه. حتى أخذوا كأسا ودفعوه له. فقال لهم: سبحان الله إنه سقط ولم يهرق. ثم شربه فبمجرد شربه اضطجع وتشهد وخرجت روحه رحمه الله تعالى في 7 ذي الحجة الحرام عام 1311 هـ وعمره يناهز 90 سنة. ودفن بأعلى يسار خارج باب عجيسة بفاس قرب سور البلد رحمه الله. انظر ترجمته في كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 6. وفي تحقيقنا لكتاب مورد الصفا في محاذاة الشفا للعلامة سكيرج ص 7.

ذلك، فقد كان جدي المذكور له الإذن فيها عن بعض المقدمين فيها، أما والدي رحمه الله فإنما كان يذكرها من غير التزام شروطها، اعترافا منه بعدم قدرته على القيام بها، وإن كان أذنه في ذكر أذكارها بعض خواص المقدمين من غير التزام شرط، لماله من صدق المحبة في هذا الجناب.

ثم تلقيت الإذن في ذكرها عن مجيزنا العلامة المتضلع من بحر الفنون، أبي الفتح سيدي الحاج محمد بن عبد السلام كنون[1]، وهو جالس بمحراب الزاوية الشريفة، وقد حضرت لدى سرد كتاب جواهر المعاني بمجلسه هناك، وكان يحضر في حضرة سردها جماعة من جلة الطريقة، منهم شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي، وشيخنا الرئيس،

---

[1]- محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، من كبار أعلام الطريقة التجانية، له مؤلفات كثيرة تناهز الخمسين، توفي بعد عصر يوم الجمعة 28 شعبان الأبرك عام 1326هـ، وصلي عليه بعد صلاة المغرب بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، ودفن بضريح الولي الصالح سيدي أبي غالب، عن يسار الداخل للقبه، وقبره متصل برجل الولي المذكور. أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 8، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج7 ص1_39، وفي نيل المراد لنفس العلامة ج 1 ص 46، وفي فتح الملك العلام لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 125، وفي معجم المطبوعات لسركيس 717، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 77، وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ج 1 ص 44-46 رقم 13. دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة 1: 143. إتحاف المطالع، لابن سودة أيضا 1: 378. موسوعة أعلام المغرب 8: 2853. معلمة المغرب 20: 6833. نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 163. نسمات القرب و الإفضال المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للعلامة الحجوجي أيضا 52. الجواهر الغالية في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 32. اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني و بطريقته و زاويته الأم التجانية، للمؤلف نفسه 92_94. الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للعلامة سكيرج 50. إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، للعلامة حسن مزور31. معجم المؤلفين، لكحالة 11: 234. الفكر السامي للحجوي 2: 372_374 رقم 819. مختصر العروة الوثقى، للمؤلف نفسه 37: 42. المطبوعات الحجرية في المغرب رقم 52، رقم 92، رقم 152، رقم 160، رقم 515. كناش العلامة أحمد بن الطيب الفلالي (مخطوط خاص)

سيدي الحاج عبد الكريم بنيس[1] وغيرهما، ولقد كان يتكلم أثناء سردها بما سنح له وامتد به باعه الطويل في العلوم والمعارف، وما تنشرح به الصدور مما يبديه من اللطائف.

ولقد تكلم مرة في مسألة تعرض لها في جواهر المعاني، و استلفت الأنظار بما قرره فما نحا نحوه لاعتراض على تلك المسألة، فأسكته شيخنا العبدلاوي المذكور، وقال: لا تصل في هذا الميدان برأيك، ولا تحسب نفسك أنك من فرسانه، فإنك لست من العلماء، و قصد رضي الله عنه بهذا السُّلُوكَ به من المقام الذي تصدر فيه، واستولت عليه النفس بالإنتصار لحظوظها على عادة علماء الظاهر،

فاستنكف من هذا المقال في هذا المقام، الذي كان يحضره نحو المائة من أعيان الطريقة وغيرهم، فقال: كيف لا أكون من العلماء وأنا محرر المعقول والمنقول، وحافظ من العلوم

---

[1]- الفقيه العلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس. الفاسي دارا ومنشأ. الأندلسي نسبا. ولد بالعقبة الزرقاء بفاس في شهر ذي القعدة الحرام عام 1267 هـ، وبها نشأ وشب، فحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا. ثم تعاطى لطلب العلوم. فأخذ عن جماعة من أكابر علماء القرويين. كوالده العلامة الحاج العربي بن محمد بنيس. وسيدي محمد بن المدني كنون. وأحمد بن سودة. والهادي الصقلي. ومحمد التدلاوي. وأحمد ابن الخياط. وجعفر الكتاني وآخرين.

وله رحمه الله تآليف كثيرة منها: نظمه للحكم العطائية المسمى: بواضح المنهاج بنظم ما للتاج. ومنظومة في علم التجويد. في أكثر من خمسمائة بيت. وفتح الجليل في بيان مجادلة الخليل. والنفحة السرية في مدح البرية. ورفع الشجب عمن ذكر رجب. وبردة المديح من الهمزية. في 459 بيتا. والأنوار الوهبية من الأحاديث النبوية المقتطفة من الأدعية. وتقييد في السواك. وعقد اللآلئ الوامض بدرر من جملة الفرائض. ودرة التاج وعجالة المحتاج. وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.

أخذ الطريقة التجانية عام 1316 هـ على يد العلامة المقدم سيدي محمد (فتحا) كنون. وكان عمره إذ ذاك 49 سنة. ثم أخذها بعد ذلك على وجه التبرك عن جماعة من الأفاضل الآخرين. كالعارف بربه سيدي العربي العلمي اللحياني. والولي الصالح سيدي أحمد العبدلاوي. والشريف المقدم سيدي الطيب السفياني. توفي رحمه الله في الساعة التاسعة من صبيحة يوم الإثنين 1 جمادى الأولى عام 1350 هـ- 14 شتنبر 1931م. وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين. ودفن خارج باب الفتوح بفاس. أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج ت 45. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للفقيه سيدي محمد الحجوجي 7: 262-263. وفي فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لنفس العلامة بتحقيقنا عليه ت 165. وفي موسوعة أعلام المغرب، لحجي 8: 3004. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج 1: 40.

ما يبهر العقول، فقال له: قلت لك إنك لست بعالم لتراجع نفسك، وانظر في مرءاة معنى حسك، وقام شيخنا العبدلاوي من المجلس قائلا: لا تقف مع النفس، وكان ذلك المجلس آخر اجتماع.

وقد انتصر بعض عوام الطريقة لمجيزنا كنون المذكور، إلى أن وقع ما وقع من افتراق بينهم غير محمود، وأصيب جلهم بما حملهم على استعطاف خاطر شيخنا العبدلاوي في مسامحتهم، فسامح بعضهم ممن اعترف له وتعلق به، ولقد رأينا والله جل من خاصموه أصيبوا بمصائب دينية وبدنية ومالية[1]. وممن سامحه فيما صدر منه الفقيه المدرس السيد

---

[1] ـ ساق العلامة سيدي أحمد سكيرج هذه الواقعة في كتابه جناية المنتسب العاني، فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني فقال في آخرها : و ممن كان تداخل في قضيته من علماء الطريقة الذين كانوا يحضرون لسرد ما ذكر الفقيه المدرس الأديب سيدي علال بن شقرون، فإنه بعد تلك الواقعة التي انتصر فيها للفقيه المذكور (يعني العلامة سيدي محمد كنون) مرضَ مَرَضَ مَوْتِهِ وَعَادَهُ في مرضه جميع من كان يعرفه بما داخلهم من الشفقة عليه، ولا عِلْمَ لشيخنا العبدلاوي بمرضه. و لما طال المرضُ بالفقيه المذكور واشتد به المرضُ أخبر أحبابه بأنه رأى النبي صلى الله عليه و سلم قائلاً له : إنك آذيتني في العبدلاوي و طلب منهم أن يستعطفوه للحضُورِ لديه ليطلبَ منه المسامحة، ووجه له كتاب جواهر المعاني مداخلاً عليه به لِيَعُودَهُ.

فحضر رضي الله عنه لديه فكاد الفقيه المذكور أن يطير فرحا بزيارته له و عيادته، وصار يتمرغ بين يديه استعطافاً لخاطره، وطلب منه المسامحة، و أخبره بما خاطبه به في شأنه النَّبِيُّ صلى الله عليه و سلم. فأخذه حَالٌ وقال : إني سامحتك لوجهه صلى الله عليه و سلم. و خرج من عنده منشرح الصدر بتلك البشارة التي تحقق بها في عالم سره أنه على صواب فيما قاله من تلك المقالة، وحصل للفقيه ابن شقرون المذكور اطمئنان كبير بعدما كان في جزع مفرط، و بعد ذلك بيسير توفي رحمة الله عليه وأشاع أحبابه تلك الرؤيا، و تراجع كل من كان جاداً في إذاية شيخنا العبدلاوي رضي الله عنه.

و حصل لفقيه الزاوية أبي الفتح كنون جزَعٌ بما أَلَمَّ به من السقمِ الذي لم يجِدْ له معالجاً، مع ما بلغه من مقالة الرسول صلى الله عليه و سلم للفقيه المذكور، فصار يستعمل الوسائل في استجلاب خاطره إليه بما أمكنه، ويتخذ الوسائط في مسامحته، فقال لهم : أما أنا فقد سامحته إلا في مقالة واحدة، و هي قوله إني جاسوس للنصارى، فهذه لا مسامحة فيها، لأني كما يعلم الله قد هاجرت من بلدي لمجاورة الشيخ رضي الله عنه، و قد رماني بهذه المقالة و لا ينبغي مسامحته فيها.

و لم يجد الفقيه المذكور إلى الاجتماع به من سبيل لكونه قد ازداد به الحَالُ لاَ يَقْدِرُ أن يقومَ من الفراشِ من الوَهَنِ الذي أصابه. فَمِنْ أصحابِ المتحزبينَ له من كان يقول : إن العبدلاوي قد تَصَرَّفَ فِيهِ، فأصابه ما أصاب مثله. و بعد ذلك بأيام قلائل توفي الفقيه المذكور، غفر الله لنا و له، و تفرق جمع المتحزبين في جانبه.

علال بن شقرون[1]، فقد مرض عقب ذلك الإنتصار مرضه الذي توفي فيه، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم و قال له: لقد آذيتني في العبدلاوي، فاطلب منه المسامحة، وأخبره بهذه الرؤيا، فسامحه، وعقب ذلك اجتمع جل الإخوان بعدما أصيب مجيزنا كنون المذكور بالأوهام التي ألزمته ملازمة بيته إلى أن توفي رحمه الله، وتعلقوا بشيخنا العبدلاوي في مسامحته، وعملوا نزهة مهمة وجمعوه معه، واستعطف خاطره في ذلك، فقال: أما أنا فقد سامحتك، ولكن قد وقع ما وقع، فاستنكف شيخنا كنون من ذلك، وافترق الجمع، وبعد أيام توفي شيخنا كنون رحمه الله.

---

[1]- العلامة الأديب، المقدم الجليل، سيدي علال بن أحمد بن شقرون الفاسي، من خيرة فقهاء فاس، اجتمع بالعارف بربه سيدي محمد العربي بن السائح مرتين، الأولى عام 1304 هـ، والثانية عام 1308 هـ، لكنه لم يأخذ عنه أوراد الطريقة، وتأخر أخذه لها إلى سنة 1313 هـ على يد العارف الشهير سيدي العربي اللحياني العلمي، وأجازه فيها جماعة منهم العلامة الأديب سيدي الطاهر بن محمد التمنارتي.

وله رحمه الله قصائد كثيرة في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه، منها قصيدة قال في مطلعها:

سعد الذي حط الرحال بفاس * في روضة المولى أبي العباس

ومن قصائده كذلك قصيدة في مدح الشيخ رضي الله تعالى عنه حين وفد التابوت التونسي المزركش للضريح الشريف، قال في مطلعها:

مولاي هذا العبد أصبح لائذا * بحمى ضريحك يا أبا العباس

ومن أبياته التي نقشت بمقر الزاوية الميمونة بفاس قوله:

إن تـرد مـاء العيون * أو تـرد كـحل العيون
فشفاء الصدر عندي * فـأنا عـين العيون
فالرضا في حسن وجهي * وبـهائي وفـنوني
وجميع الخير فاقصد * لـو يـكن فـوق الظنون
مـددي مـولاي أحـمد * قـطب أقطاب القرون
التجاني خاتم في * سـره كـتم الشؤون
فتوضأ صاح واشرب * دون تـقدير مـعون
وإذا تـقرا فـأرخ * نـور شكلي في الجفون

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 128. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية، لنفس المؤلف ج 7. وفي نخبة الإتحاف، لنفس المؤلف كذلك، رقم الترجمة 168. وفي رفع النقاب، للعلامة سكيرج ج1 ص 157.

وتلقيت الطريقة والتقديم عن شيخنا العبدلاوي المذكور، وهو عن القطب سيدي الحاج علي التماسيني، عن الشيخ رضي الله عنه، وأجازني أيضا في هذه الطريقة شيخنا العلامة مفرد القضاة الثلاث، القاضي سيدي حميد بناني، والمقدم البركة سيدي الحاج الطيب السفياني[1]، والشريف المنيف سيدنا ومولانا محمود[2] بن مولانا البشير بن مولانا الحبيب بن الشيخ رضي الله عنه، كما أجازني أخوه سيدنا ومولانا محمد الكبير[3] بما اقترحته عليه وطلبته منه بما أجازني به، وختم عليه بطابعه الشريف، وقد نقلت إجازات الجميع فيما قيدته من كتب الطريقة وغيرها، ويناسب نقل ذلك هنا ليطلع عليه من تشوف إليه.

---

[1]- الطيب بن أحمد بن الطيب الودغيري السفياني، أحد كبار مقدمي الطريقة التجانية بالزاوية الكبرى بمدينة فاس، و هو حفيد الفقيه البركة سيدي الطيب السفياني مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، و المعروف عن جده المذكور أنه كان من خاصة أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه.

أما المترجم فهو من مواليد مدينة فاس عام 1262هـ، و بها نشأ في بيئة دينية فاضلة، فما إن أتم الثامنة عشر من عمره حتى تمسك بورد الطريقة التجانية إسوة بوالده و جده، اللذان يعدان من خيرة أعلام الطريقة المذكورة، و كان والده أحمد السفياني هو أول من لقنه أوراد هذه الطريقة، و ذلك في خضم سنة 1280هـ، ثم أجازه فيها بعد ذلك جماعة من الأفاضل، في مقدمتهم الشريف البركة سيدي محمد البشير التجاني، و أحمد العبدلاوي، و علال بن عبد الله الفاسي، و الحسين الإفراني و آخرون.

توفي بعد زوال يوم الأربعاء 26 ذي القعدة الحرام عام 1357هـ_17 يناير 1939م، و صلي عليه بعد صلاة العصر بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، و دفن خارج باب عجيسة بجانب قبري والده و جده، و قد رثاه تلميذه العلامة سكيرج بقصيدة افتتحها بقوله:

أأحباب قلبي هل تعيرون لي صبرا * على حمل ما في اليوم ضقت به صدرا

فقد فقدت نفسي اصطبارا عهدته * لديها إذا ما غيرها وجد الصبرا

إلى أن قال:

هو الطيب الأرضى المقدم في العلا * لنفع مريدي الخير بالذكر و الذكرى

على فقده فليبك من كان باكيا * و لم يعتذر في حقه من بطن الدهرا

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 52. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوي 2: 63_65. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 42.

[2]- أنظر ترجمته في ص 201

[3]- أنظر ترجمته في ص 205

نص إجازة شيخنا العارف بالله سيدي

ومولاي أحمد العبدلاوي[1] رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، الحمد لله جل جلاله، وعز كماله، وتقدست صفاته وأسماؤه، وتعالى عزه، وتقدس مجده وكرمه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وبعد: فيقول أفقر العبيد، إلى مولاه الغني الحميد، أحمد بن محمد، ثم العبدلاوي خديم التجاني، عامله الله بفضله وكرمه في الدارين، أجزت وأذنت لولدنا السيد أحمد بن الحاج العياشي سكيرج في إعطاء طريقة شيخنا القطب التجاني، وهو الورد المعلوم الشريف، الذي هو من ترتيب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وهو: أستغفر الله مائة، وصلاة الفاتح لما أغلق. إلخ.. مائة مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وهذا الورد هو لازم للطريقة المحمدية يتلوه صباحا ومساء.

والوظيفة الشريفة هي أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، والهيللة مائة مرة، وجوهرة الكمال اثني عشرة مرة، وتكفي في وقت واحد إما في الصباح أو في المساء، وإن تيسر في الوقتين فحسن، وتقرأ مع الجماعة، وهي شرط فيها إن كان في البلد إخوان، وإن كان وحده ولم يجد الجماعة قرأها وحده.

ومن لوازم الطريقة ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة إن وجد إخوانا، و إلا ذكرها وحده، ويجعل عددا ملزوما على نفسه من عشر مائة إلى اثني عشر مائة، انتهى ما أملاه على ولده حفظه الله، وكتب بخطه المبارك ما نصه: الحمد لله، يقول كاتبه العبد الفقير إلى الله خطي شاهد علي، أجزت ولدنا الأرضى الناسك سيدي أحمد فيما كتبه ولدنا سيدي محمد نفعه الله ونفع من أخذ عنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله. إهـ..

---

[1]- أنظر ترجمته في ص 35

نص إجازة مجيزنا القاضي العدل

سيدي حميد بناني[1] رضي الله عنه

الحمد لله مجيز سائله وقاصده، ومانحه أسباب المعالي وقائده، تفضل على هذه الأمة بنبيها خاتم الرسالة، وجعلها خير الأمم وأفضلها على كل حاله، وأمد أولياءه بمعارف أنواره، وخصصهم بمظاهر آياته وأسراره، نشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو، ساتر العيوب، المتفضل على عباده بمحو الآثام وكبائر الذنوب، اصطفى من شاء للإهتداء به، فجعلهم إبريزا خالصا، فرقى به كاملا، وكمل به ناقصا.

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله، الفاتح لما أغلق من المسائل وأشكل، والخاتم لما سبق، فهو الآخر صورة، والأول الساري سره في جميع أولياء أمته، أصل الوجود ومعظمه وطرازه وأساس طلعته، هو طبيب القلوب ومربيها، ودالها على سبل رشادها ومنجيها، صلى الله وسلم عليه وعلى آله العارفين الكمل، وأصحابه الهداة المرجوين في كل مؤمل، صلاة وسلاما دائمين بدوام الليالي والأيام، طالعا يمنهما بمطالع خاتمة الصدر وبدر التمام،

---

[1] - حميد بن محمد بناني، فقيه محدث قاض، من مواليد مدينة فاس، وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، أجازه فيها العلامة الخطيب سيدي علال الفاسي، عن البركة سيدي بوعزة برادة، وكانت وفاته رحمه الله في ضحوة يوم الخميس 11 صفر الخير عام 1327هـ 4 مارس 1909م، وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين، ودفن بالزاوية الصقلية داخل باب عجيسة، أسفل ضريح العلامة القاضي مولاي محمد فتحا العلوي، بفاصل قبر واحد مما يلي الحائط، وكان لجنازته احتفال باهر حضره الجم الغفير من الناس.

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لمحمد الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 73. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، للمؤلف نفسه، الجزء السابع (مخطوط خاص). قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 21. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). فهرس الفهارس و الأثبات، للكتاني 346_347 رقم 146. الأعلام، للزركلي 1 : 249. إتحاف المطالع، لابن السودة 1: 381. دليل مؤلف المغرب الأقصى، للمؤلف نفسه 1: 142. معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي 2: 155 رقم 64. معجم المؤلفين 4: 83_84. زهر الآس في بيوتات أهل فاس 1: 159_160. الدرر الفاخرة، لعبد الرحمان بن زيدان 107. إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة، للصديقي 102. جامع القرويين، لعبد الهادي التازي 3: 817 رقم 202. معلمة المغرب 5: 1476. موسوعة أعلام المغرب 8: 2856.

هذا وقد سألني من لا أستطيع رده ومخالفته، ولا أروم إنجاز قصده وموافقته، أخونا ومحل ودنا، ونزيل ضميرنا وخلدنا، الفقيه الألمعي، المتفنن الأديب النجيب اللوذعي، الذي وجه همته للمعالي، ورام التشبث بما تنافس فيه الهمم العوالي، فلا تراه إلا على المكارم يعرج، سيدي أحمد بن الأبر الحاج العياشي سكيرج، أسمى الله درجته، وأمد بفيض العرفان ملكته،

حيث جمعتنا معه دائرة القطب المكتوم، والغوث المختوم، صاحب المقام الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، أعاد الله علينا جميعا من بركته، وأثابنا على محبته ولزوم طريقته، أن أجيزه فيما طلب مني الإجازة فيه، مما يرجع إلى الطريقة الأحمدية التجانية المحمدية، ظنا منه أنني أهل لذلك، أو ممن سلك أدنى شبر من تلك المسالك،

وهيهات هيهات أَنَّى لي بلحوق أولئك الرجال، والعبور على سبيلهم الحسنى في كل مجال، ولكن لما قوت في هذا الجانب محبته، وخلصت بنيته طويته، أجبته حينئذ إسعافا لرغبته، وعملا بصدق محبته ونيته، فقلت والله المستعان، وعليه جل جلاله التكلان.

قد أجزت الأخ المذكور في تلقين أوراد شيخنا العامة والخاصة، بشروطها المقررة، وآدابها المعتبرة، كل على قدر مشربه، ورجحان عقله ومطلبه، مع الإذن له في التقديم المطلق لتلقينها، لكن مع وجود الأهلية، ومراعاة الاستحقاق والتزكية، كما أخذنا ذلك بالإذن الثابت الصحيح، والخطاب الرقمي والشفاهي الصريح، عن القدوة المقدم المواسي، الفقيه الخطيب البليغ البركة سيدي علال الفاسي،

و هو عن القدوة المقدم سيدي أبي يعزى، جزاه الله بأحسن ما به المجيز يجزى، ابن مؤلف جواهر المعاني الخليفة البركة أبي الحسن سيدي علي حرازم برادة، رزقنا الله وإياه الحسني وزيادة، وسيدي أبو يعزى المذكور عن سيدي محمد بن عبد الواحد بناني

المصري[1]، لكن في التقديم المطلق وغيره من تلقين الأوراد. إلخ.. و عن أبي الحسن سيدي الحاج علي التماسيني في تلقين الأوراد و الإذن في التقديم خمسين تقديما مقيدا لا يتسلسل، وقد أذن أبو يعزى لبعض من العدد المذكور المأذون له فيه، وأذن لسيدي علال الفاسي المذكور في تكميل ما بقي، فأذن لمن أذن له في ذلك، وأذن لنا في تقديم ستة من العدد، فأذنا لمن أذنا له منها، ونحن نأذن للأخ أيضا في تقديم واحد من العدد الباقي، بعد إذن من أذنا له في بعضها.

وعليه بتقوى الله ومراقبته، وملاحظة طريقته ومعاملته، فإن بتقوى الله ينال العبد سائر المزايا، ويسود بفضل الله على كل البرايا، إذ ما وصل من وصل في القديم والحديث إلا بتقواه تعالى كما تشهد لذلك آيات متكاثرة وأحاديث، ونسأله سبحانه التوفيق بمنه، وأن يختم بالخير أعمالنا، ويبلغ من رضاه وقربه آمالنا، ويمن علينا بما منّ به على أهل حضرته ومحبته وطريقته، وأماتنا على السنة المحمدية، وجنبنا البدع الردية، بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم،

فمن أجاز من ذكر فيما ذكر أمر بكتبه لسائله، وقيد في حادي عشر رمضان المعظم عام 1324هـ رزقنا الله خيره، ووقانا شره وضيره، وهو أحمد بن محمد بناني، وفقه الله بمنه وجميع المسلمين. إهـ..

---

[1]- محمد بن عبد الواحد بناني المصري، من أعلام الطريقة التجانية، استوطن مصر وبها توفي، أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف، في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 356. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للمؤلف نفسه 39. سر الإكسير المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 18. كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 272-273. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 160. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط) الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 30. تطييب النفوس، بما كتبته من بعض الدروس والطروس، للمؤلف نفسه 232. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 171. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 4-5. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية، للعلامة إدريس العراقي 16. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 6. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 332.

نص إجازة مجيزنا المقدم سيدي الحاج

الطيب السفياني رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه[1]، لا إله إلا هو الواحد الأحد الملك القهار بالاختيار، الذي يخلق ما يشاء ويختار، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه المرجع في الإيراد والإصدار،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، الذي جعلنا الله تعالى به إخوانا، وأمرنا فيما أنزل عليه أن نكون على البر أعوانا، وأرشدنا على لسانه أن نعض بالنواجد على شريعته الغراء وسنته الزهراء سرا وإعلانا، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين حازوا بصحبته السبق، وحسنت منهم الأخلاق، وكرمت منهم الأعراق، فأمنوا به وعزروه ونصروه وبذلوا في محبته المهج والأحداق، صلاة ينتظم بها شملنا في سلك أهل المحبوبية الكاملة الصرفة أي انتظام، وسلاما يلحقنا بدرجة من قال الله ربي ثم استقام.

أما بعد فقد طلب منا التقديم أخونا في الله الفقيه الفاني عمره في مدح مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح مولانا الشيخ رضي الله عنه، العالم العلامة السيد أحمد سكيرج، طلب منا الإجازة في التقديم زيادة على ما عنده ليحصل على مزية التخصيص بأخذ الإذن من هذه الحضرة الأحمدية، فاتخذنا الله تعالى في إسعافه، فها نحن طالبا معتصما بحول وقوة من له المنة والطول، مستمدا من أنوار الحضرة المحمدية، وأستفيض من أسرار الحضرة الختمية الكتمية، مجيزا له في ورد سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الأكبر، والقطب المكتوم الأشهر، سيدنا ومولانا أحمد أبي العباس التجاني الحسني رضي الله عنه وأرضاه، ومتعنا وسائر الأحبة برضاه،

---

[1]- أنظر الحكم العطائية الكبرى لابن عطاء الله الإسكندري رقم 156

و كذا في وظيفته المعلومة، و ذكر الهيللة بعد صلاة العصر يوم الجمعة، التابعين الأصل، المشمولين باللزوم معه ذكرا وتلقينا، ولمن طلب منك التقديم لإعطاء الورد. ويعطى هذا الورد لمن رغب فيه من المسلمين والمسلمات ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا كبيرا أو صغيرا بعد أن تعرض عليه الشرط المشروطة، والآداب التي هي في كتب الطريقة منوطة، وكذا في جميع ما ثبت لديه أنه مروي عن الشيخ رضي الله عنه في الأذكار والأحزاب والأدعية والنوافل الموقتة بالأوقات المرعية، إجازة في إعطاء الورد شافية كافية.

وسندنا في هذه الإجازة المباركة بما أجازني به العالم العلامة الأشهر، العارف بالله تعالى الشريف الجليل المقدم البركة سيدي الحاج الحسين الإفراني المدعو بالسوسي[1]، وهو بما أجازه به العالم العلامة العارف بالله تعالى المقدم البركة أبو عبد الله سيدي محمد

[1] ـ سيدي الحاج الحسين بن أحمد الإفراني من أشهر أعلام الطريقة التجانية بمنطقة سوس، توفي رحمه الله ضحوة يوم السبت 4 شوال عام 1328 هـ، وتولى الصلاة عليه العلامة الجليل مصطفى ماء العينين، ودفن بالزاوية التجانية بمدينة تزنيت.

من مؤلفاته : ترياق القلوب، في أدواء الغفلة والذنوب، والخواتيم الذهبية، في الأجوبة القشاشية، وقمع المعارض المفتري الفتان، فيمن نسب ما لاينبغي لأهل الفضل من البهتان، وكشف الغطا، فيمن تكلم في الشيخ التجاني بالخطا، والمجالس المحبرة الفائضة، من بحر الختمية الفائضة، وإظهار الحق والصواب، فيمن لا يبالي بحكم الحجاب، وروض الأكياس، ومهب الرحمات، على طلاب المسرات، وتعليق على كتاب الدرة الخريدة، في شرح الياقوتة الفريدة، للعلامة سيدي محمد بن عبد الواحد النظيفي وغيرها.

أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه سيدي محمد الحجوجي، بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 112، وفي المعسول للمختار السوسي ج 4 ص 26-83. وفي سوس العالمة لنفس المؤلف ص 203، وفي رجالات العلم العربي في سوس لنفس المؤلف كذلك ص 182، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 232، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 8 ص 2860. وفي تأليفنا المسك الفائح في ترجمة سيدي محمد العربي بن السائح، وخصصه بالترجمة العلامة الحاج علي الإيسيكي وهو من جملة تلامذته الآخذين عنه.ولتلميذه العلامة محمد (فتحا) بن عبد الله السملالي هو الآخر تقييد في ترجمته

الكنسوسي[1]، وهو أخذ عن أربعة أناس من أركان الطريقة، كلهم أخذوا من الشيخ رضي الله عنه بلا واسطة بينهم وبين الشيخ رضي الله عنه، أولهم الشريف الجليل المقدم البركة

مولاي امحمد أبو النصر[1] عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه، والثاني الشريف الجليل المقدم البركة سيدي محمد الغالي أبو طالب عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه،

---

[1]- العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، أحد مشاهير رجالات الطريقة التجانية، ولد بسوس عام 1211 هـ، وتوفي بمراكش بتاريخ ليلة الثلاثاء 28 محرم عام 1294 هـ، ودفن خارج باب الرب، قرب ضريح الشيخ أبي القاسم السهيلي، أنظر ترجمته في الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى 9: 161. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 8 -17 رقم 852. إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 7: 2656. الأعلام للزركلي 6: 19. آداب اللغة العربية 2: 21-22. إيضاح المكنون 1: 418. بروكلمان 2: 884- 885. رسائل معلمة معالم سوس، سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، للعبد المذنب محمد الراضي كنون. الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، للعلامة أكنسوس، تحقيق حفيده العلامة أحمد الكنسوسي. تاريخ الشعر والشعراء بفاس، للنميشي 36. تاريخ المكتبة الإسلامية ومن ألف في الكتب، للعلامة عبد الحي الكتاني 89. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، لمحمد الأخضر 431- 444. حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار، لمحمد بن المعطي السرغيني (مخطوط خاص) دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1: 38- 145 165- 205 -207- 260 و2: 379 – 391- 427- 454- 272. ذكريات مشاهير رجال المغرب، لعبد الله كنون، العدد الرابع. رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 202. روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 25. رجالات العلم العربي في سوس 207. رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 2: 111- 139. السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لابن الموقت 2: 417- 418 رقم الترجمة 304 . شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1: 577 رقم رقم 1630، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 328-334. فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 43 . فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان 7: 40. فهرس المخطوطات العربية 2: 75، الكتابة والكتاب، للرندي 25، معلمة المغرب2: 632 -634. معجم المؤلفين 8: 310. معجم المطبوعات المغربية، للقيطوني 23 رقم الترجمة 38. المعسول 11: 276 و 14 : 29. مؤرخو الشرفاء، لبروفنسال 200- 213. مجلة المجمع العلمي العربي 12: 384. نخبة الإتحاف، فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي، رقم الترجمة 333. النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون 1: 317. هدية العارفين للبغدادي 2: 38.

والثالث الشريف الجليل المقدم البركة جدنا سيدي الطيب السفياني الحسني، مؤلف الإفادة الأحمدية، عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه وأرضاه، والرابع المقدم البركة العارف بالله تعالى سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر عن سيدنا الشيخ القطب المكتوم سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه بلا واسطة بين هذه الأربع وبينه، عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأوصي المجاز المذكور إياه وإياي بتقوى الله في السر والعلانية، وأن يستوصي بإخوانه خيرا، وأن يجل كبيرهم ويرحم صغيرهم، ويتفقد غائبهم ويعود مريضهم، ويسعى في إصلاح

---

[1]- محمد بن أبي النصر العلوي السجلماسي، من أكابر أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، توفي بموطنه بفاس سنة 1273 هـ. أنظر ترجمته في كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سيدي أحمد سكيرج 158-170. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 214-222. جنة الجاني، في تراجم أصحاب الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). تطييب النفوس، بما كتبته من بعض الدروس و الطروس، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الدر الثمين، من فوائد الأديب بلامينو الأمين، للمؤلف نفسه 9 (مخطوط خاص). نيل الأماني، في الطب الروحاني و الجثماني المروي عن الشيخ التجاني، للمؤلف نفسه، الجزء الثاني (مخطوط). الجواهر الغالية، المهداة لذوي الهمم العالية، للمؤلف نفسه 25 (مخطوط خاص) نخبة الإتحاف فيمن منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 11. نسمات القرب والإفضال، المبعوثة إلى سيدي محمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال. للمؤلف نفسه 43. سر الإكسير، المسوق من الحضرة الختمية لمولانا محمد الكبير، للمؤلف نفسه 20. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بمشاهير أهل الطريقة. لأحمد بن محم العلوي الشنقيطي رقم الترجمة 7. كناش الفقيه سيدي محمد بن يحي بلامينو الرباطي 26 (مخطوط) غاية الأماني، في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التجاني، لمحمد السيد التجاني 21-24 رقم الترجمة 7. رسائل معلمة معالم سوس، أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس. للعبد المذنب محمد الراضي كنون. 1: 74. إتحاف المطالع. لابن سودة 1: 210 . موسوعة أعلام المغرب 7: 2607. مصابيح البشرية، في أبناء خير البرية. لأحمد الشباني 1: 78. أزهار البساتين، في الرحلة إلى السوادين. لمحمد بن أبي بكر الأزاريفي 117. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 298. الجواهر الغالية، في الجواب عن الأسئلة الكرزازية. للعلامة إدريس العراقي 28. إجازة العلامة إدريس العراقي لمحمد بن عبد القادر العلمي 13. الورود العاطرة النشر، في الجواب عن الأسئلة العشر، للمؤلف نفسه 172 و 174 و 177 و 178. تفضيض ظاهر و باطن الأواني، بتكميل كتاب نيل الأماني، للمؤلف نفسه 2: 45 و 76 و 387 و 407 و 482 و 484 و 532 و 546. إفادة السامع والراوي، في الجواب عن أسئلة الأخ سيدي محمد الشاوي، للأستاذ محمد الأمزالي 6 و 17، التجانية والمستقبل، للفاتح نور 156-157.

ذات بينهم، وأن يعرض عما بأيديهم من أغراض الفاني، إلا ما جاءه من غير تشويف ولا استشراف،

ختم الله بالخير أعمالنا، وبلغ من رضاه بقربه آمالنا، ومنَّ علينا بما مَنَّ به على أهل حضرته ومحبته وطريقته، بجاه أشرف خلقه، وسراج أفقه، نور الأنوار، وإمام المتقين الأبرار، صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم، كتب في 20 من شوال الأبرك عام 1334هـ عبد ربه خديم الأعتاب التجانية، الطيب بن أحمد الحسني المدعو السفياني لطف الله به آمين.

نص إجازة مجيزنا سيدنا ومولانا محمود[1] رضي الله عنه، مع نص الإجازة التي كتبها له والده سيدنا ومولانا البشير قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله حمدا لمن ألهم الإنسان وفهمه وعلمه بما لم يكن يعلم، وأهل أقواما بمحض كرمه ومشيئته لحمل أمانته وشريعته، ورفعهم بذلك درجات، إذ فتحوا أبوابا متبرجات، فنهجوا للعباد طريق الهدى والرشاد، وسلكوا بهم ما هو في الشرع معروف ومعتاد، والصلاة والسلام المضمخان بعبير التعظيم، المتوجان بتاج المبرة والتكريم، على عروس

---

[1]- سيدي محمود بن سيدي محمد البشير التجاني، هو أول الشرفاء التجانيين القادمين للمغرب بعد وفاة جدهم الأعلى الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه وارتحال أنجاله لقرية عين ماضي بالصحراء الشرقية، وكان دخوله لمدينة فاس في يوم مشهود بتاريخ يوم السبت 17 شعبان عام 1329هـ ـ 12 غشت 1911م، توفي بالأغواط ليلة الأحد 14 محرم الحرام فاتح سنة 1353 هـ- 29 أبريل 1934م. ونقل إلى قرية عين ماضي. ودفن داخل ضريح جده سيدي محمد الحبيب التجاني، وقد أفرده العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج بتأليف سماه: غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود.

أنظر ترجمته أيضا في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 56. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). الزرابي المبثوثة، للمؤلف نفسه 87 (مخطوط خاص). النفحات الربانية في الأمداح التجانية، للمؤلف نفسه 54_57. رفع النقاب، للمؤلف نفسه 3: 262_264. أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب، للمؤلف نفسه 12 (مخطوط خاص). نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للعلامة الحجوجي 1: 90. إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية للمؤلف نفسه 1: 80 (مخطوط). التعريف بالبلدة التنانية ذات المواهب الربانية، لأحمد بن علي الكشطي التناني (مخطوط). رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون 1: 43.

المملكة الربانية، وواسطة السلوك إلى الحضرة القدسية الرحمانية، وعلى آله السراة، وأصحابه الصالحين الهداة، ما أجيب داع، وأجيز في سماع، ورضي الله تعالى عن سادتنا الأولياء الكرام، خصوصا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله و جميع المحبين من بحره الرباني آمين.

و بعد فيقول أفقر الورى و أحوجهم إلى عفوه، محمود بن البشير بن محمد الحبيب بن أحمد التجاني، بلغه الله من الخير كله الأماني، أن ممن شمَّر في طلب العلم عن ساعد اجتهاده، حتى بلغ منه بيمن الله نهاية مراده، وصدق عليه المثل السائر، كم ترك الأول للآخر، سند الأفاضل الأعلام، وبدر العلماء الكرام، من حوى جميع الفضائل، وحاز من محاسن الشيخ ما لم تحزه الأواخر والأوائل، الفقيه الوجيه، المدرس النزيه، صاحب الفهم الغواص، الذي يعجز عنه كثير من الخواص، حبيبنا وصفينا، رفيع القدر والمكانة عندنا، الشيخ سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، أدام الله وجوده، وأرقى في سماء المعالي صعوده[1].

طلب من العبد الحقير، المعترف بالقصور والتقصير، أن يجيزه فيما عنده من أصول وفروع في طريقه التجانية الأحمدية، حمله ما جبل عليه من حسن النية، وخلوص الطوية، ظنا منه أني أهل لذلك، ولست كذلك، فأجبته لذلك جبرا للخاطر، ورعيا لما عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر، إذ ليس سلوك هذا السبيل سهلا، ولكن لي قصد جميل في سلوك هذا السبيل، وهو ضمانة النبي صلى الله عليه وسلم المختار لشيخنا وأولاده، ولحسن ظننا عولنا، وعليه توكلنا، فأقول :

وعلى قدم الشكر أجول، قد أجزت له في جميع ما هو في جواهر المعاني، وأذنت له إذنا مطلقا من الأوراد اللازمة وغيرها، كما أجازني شيخي ووالدي سيدي البشير رحمه الله

[1] ـ بلغت محبة العلامة سيدي أحمد سكيرج مبلغا عظيمًا في قلب مجيزه الشريف سيدي محمود التجاني، فكان يثنني عليه بالخير والعلم والمعرفة، ويذكره بالورع والزهد، ويحمد سيرته بما هو أهله من الفضل التام، ومزيد الجلالة والإحترام، وينسبه إلى الصلاح ويحسن القول فيه.

وقد وقفت بالخزانة السكيرجية على مجموعة من الرسائل المبعوثة له من طرف الشريف المذكور، وتحمل هذه الرسائل من صفات التنويه ما لا مزيد عليه،

رحمة واسعة، والله أسأل أن يمنحنا وإياكم الرضى والقبول، فإنه أكرم مسؤول، وندعوه لكم في سنائح نسائم الأسحار، أدعية خالصة بدوام المجد والوقار، وبدوام بقاءك، وعلو ارتقائك، وأن يقر عينيك بما يرتاح له الفكر، وينظر إليك بعين عنايته الربانية، ويجعلك في زمرة نبيه المصطفى، ووليه المرتضى، دنيا وأخرى،

والله يجمعنا وإياكم ووالدينا ووالديكم وأشياخنا وأشياخكم في أعلى عليين، مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين، إن شاء الله مطمئنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ودمتم محفوفين بالتكريم، مخصوصين بأفضل التحية والتسليم، كتب في 12 شوال عام 1329 هـ.

ولا بأس بذكر إجازة سيدنا ومولانا محمد البشير المشار لها في هذه الإجازة تبركا بها وحفظا لها من الضياع ونصها:

الحمد لله وحده، وصلى وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، بعد حمد الله جل ثناؤه وعز كبرياؤه، وتقدست أسماؤه وصفاته، فإني أذنت في تلقين ورد جدنا الأكبر، والعلم الأخضر، والكبريت الأحمر، القطب المكتوم، والخاتم المحمدي الأشهر، مولانا أبي العباس أحمد بن محمد التجاني الحسني، أدامنا الله في حماه في الدارين،

قد أجزت بعد الاستخارة بعلم الله، والإستقدار بقدرة الله، مستعينا به سبحانه ومستندا إلى حوله وقوته، لولدنا البار سيدي محمود أن يلقنه لكل من طلبه منه ورغبه إليه فيه، وقبل شروطه قبولا تاما، أنس صدقه فيه من المسلمين والمسلمات، أيا كان، وعلى أي حالة كان، جاعلا له في هذا الإذن وهذه الإجازة أن يقدم من ظهر له لإعطائه وتلقينه، سواء طلب منه التقديم أو لم يطلبه إن دعت الحاجة إلى ذلك، كبلد فيها بعض الفقراء وليس فيهم مقدم، أو كبعد المسافة على البلد الذي فيها المقدم، أو نحو ذلك،

لكن لابد في التقديم من مراعاة الأهلية المعتبرة بشؤونها المقررة، وهي مسطرة في كتب طريقتنا، مفصلة تفصيلا كافيا شافيا، وأقل مراتبها الواجب اعتبارها معرفة حقيقة الورد

اللازم وأحكامه، ومعرفة شروطه المعتبرة فيه صحة وكمالا، ومعرفة الأذكار اللازمة بلزومه، وما يقضى و ما لا يقضى إذا خرج وقته، وما ينجبر به السهو إن وقع شكا أو تحقيقا،

فهذا أقل ما يعتبر فيمن يراد للتقديم، وليأمره من قدمه أن لا يباشر كفه كف امرأة ليست بذات محرم منه عند التلقين، بل يلقنها بواسطة محرم منه، ولو لم يكن من أهل هذه الطريقة، وإن كانت متجالة أو أمة فلا بأس أن يلقنها بنفسه، لكن باللفظ من غير مصافحة، فلا يظن ظان أننا نسقط في الطريق شيئا قَلَّ أو جَلَّ مما لم يبلغنا نص فيه عن الشيخ رضي الله عنه، عياذا بجلال الله من ذلك، وعليك يا ولدي بتقوى الله في السر والعلانية بقدر الاستطاعة، كما قال تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم[1].

وعليك أن تعامل إخوانك في الله بالرفق واللين والتسهيل والتيسير ما أمكنك، مراعيا فيهم كونهم عبيدا لله وسره سبحانه خفي علينا، وأن تلاحظ فيهم أيضا حرمة الشيخ المضافين إليه، فرب إضافة بأدنى ملابسة تلحق العبد بأعلى مراتب أهل الله إذا وقعت عليه المحبوبية، وكان ممن سبقت له العناية بفضل الله، وعليه أن يأمر من يقدمه أو يلقنه الورد بذلك، وبالتباعد من الرياسة وأسبابها، فإن حب الرياسة كعبة تطوف الشرور بها، من ابتلي بها لا يفلح أبدا،

نطلب الله العظيم أن يجعل ذلك طهارة لآبائنا، ومحوا لسيئاتنا وإجرامنا، بفضله والحمد لله رب العالمين، وقع بتاريخ 8 ذي الحجة الحرام متم 1324هـ البشير بن محمد بن أحمد التجاني، ثم طابعه الشريف بداخله: محمد البشير بن محمد التجاني سنة 1301هـ، وبدائرته مطوقا : يا منفردا بالقدرة ليس لك ثاني كن لعبدك هـ.

نص إجازة مجيزنا سيدنا ومولانا محمد الكبير[2]

[1]- سورة التغابن الآية 16

[2]- سيدي محمد الكبير بن سيدي محمد البشير التجاني، شريف مبارك، موضع ثقة العلماء والأفاضل من أهل عصره، يحبونه ويجلونه، كما كان عفيفا، دائب العمل، نشيطا، لا يحب الظهور، حاضر البديهة، يتعرض للناس

بن مولانا البشير رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، حمدا لمن وفق عباده، إلى أقوم عباده، وجعل الواسطة في النعم سيدنا محمدا ينبوع الفضل والكرم، وجعل خليفته في الإمداد والإرشاد، خاتم الولاية ويتيمة عقد السادة الأمجاد، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله من بحر أسراره بأكبر الأواني،

وبعد فيقول الواضع طابعه عقبه، رفع الله رتبه، وبلغه في الدارين طلبه، إن خديم الحضرة الأحمدية، ومادح الحضرة المحمدية، فقيه الطريقة التجانية، وعالمها الظافر بالحظ الوافر من المواهب العرفانية في معالمها وعوالمها، سمي الشيخ، السيد أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، أسعده الله، وبلغه ما تمناه،

هو منا وإلينا، يعمه ما يعمنا من الضمان المسدول رواقه علينا، وهو ملحوظ عندنا بعين الرضى والقبول في أقواله وأفعاله، وفي سائر أحواله، سائلا من المولى بجاه سيدنا الجد أن يحفه برداء الرضى دنيا وأخرى، ويقبل عليه في حضرات القدس بما تقر به عينه سرا

بالنصيحة، يقول الحق لا يتردد فيه. توفي بقرية عين ماضي بالصحراء الشرقية عام 1350 هـ- 1931م، وبها دفن. وقد مدحه العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج بقصيدة ميمية لدى وفوده على مدينة فاس بقصد زيارة جده الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله عنه في شهر صفر الخير سنة 1337 هـ- نونبر 1918م، ومطلعها:

أهلا وسهلا بأهل الفضل والكرم * ومن هم النور في غياهب الظلم

شرفتموا كل أرض تنزلون بها * مذ شاع فضلكم في العرب والعجم

إلى أن يقول فيها:

وأنت يا سيدي الكبير واسطة الـ * ـعقد الثمين رفيع القدر والشيم

نجل البشير الذي جلت مناقبه * وجل مقداره في الحل والحرم

نجل الحبيب الذي تعنوا الأسود له * مبدي الكرامة بحر الجود والكرم

أنظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سيدي أحمد سكيرج رقم الترجمة 57. فهارس الشيوخ، للمؤلف نفسه (مخطوط خاص). رفع النقاب، للمؤلف نفسه 1: 242-248 و3: 260-262. رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج، للعبد المذنب محمد الراضي كنون الجزء الأول.

وجهرا، ويعامله باللطف الخفي، ويجريه على عوائد بره الخفي، هو وأحبابه ومن تنسل منه إلى يوم القيامة، إنه رب ذلك والقادر عليه.

هذا وإني أقدم همة سيدنا الجد خاتم الأولياء قدس سره في الإذن لهذا الخديم الصادق، والمحب الحبيب الفائق، بطريقته الأحمدية المحمدية التجانية، بما اشتملت عليه من أسرار وأذكار، وفتوحات وأنوار، وفضائل ومواهب، ومراتب ومناقب، وخواص وترقيات، وأسماء ومسميات، وجميع ما فاض على قلب الشيخ رضي الله عنه وجرى على لسانه من الفيوضات الوهبية من الحضرة القدسية على يد الحضرة المحمدية عليها أفضل الصلاة والسلام، سائلا من المولى أن يؤيده بالألطاف الخفية، وأن يعمه بالنعمة الوافرة الوافية الوفية، ويقويه على حمل ذلك مع السلامة والعافية.

وقدمناه لتلقين الطريقة وما شاء من أذكارها وأسرارها لمن طلب ذلك منه تقديما وإذنا عاما، لما فيه من الأهلية لذلك، وسلوكه على أقوم المسالك، وأوصيه وإياي بتقوى الله، والنظر بعين الاحترام لجميع أهل الله، والرفق بخلق الله، والاعتماد على الله في جميع أموره، في وروده وصدوره، والدلالة على الله، وملاحظة سر الله في سائر خلق الله، وأن لا يهمل المظاهر التي أظهر الله، فإنه ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله[1]،

سائلا من المولى أن يفتح عليه وبه وعلى يديه، ويدخل به في حضرات التداني، وينعم عليه بقضاء ما يأمله من المنى والأماني، محوطا بسور الأمان في سائر الحركات والسكنات، وأن يريه ما يسره في سائر الحضرات، بجاه سيد السادات، عليه أفضل الصلوات وأتم التحيات، آمين والحمد لله رب العالمين.

وعندي إجازات من غير ما ذكرناه، والذي أعتمد عليه من جميع ما ذكرته هو إجازة شيخنا العبدلاوي رضي الله عنه، طبق ما شافهني به، زيادة على ما كتبه لي مما نقلته ولم يمكني كتب جميع ما عنه تلقيته هنا لضيق المقام، وفي ضمن جميع ما تقدم الإجازة بكتاب جواهر المعاني وغيرها من كتب مؤلفها ومؤلفات العلامة ابن المشري التي من

[1]- أنظر الحكم العطائية الكبرى، للشيخ ابن عطاء الله الإسكندري رقم 17.

جملتها الجامع لما افترق من درر العلوم، ومواهب المنان، وشرح ياقوتة المحتاج، ونحو ذلك، والله يأخذ بيدنا، ويسلك بنا مسالك النجاة بالتوفيق لما فيه رضاه آمين.